

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٢٩٧ - ربيع الأول ١٤٢٢ هـ - مايو/يونيو ٢٠٠١م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 297- MAY./JUN. 2001









الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك

سمو الغاية وجلال الإنجاز



الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

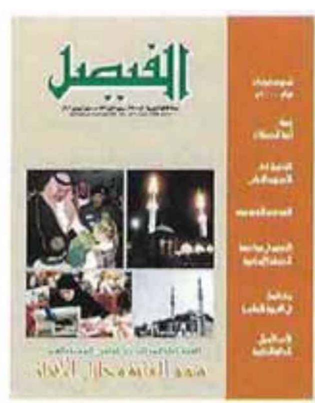
الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٧٠ ديناراً ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٨٠ ديناراً ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة السعودية للتوزيع ـ هاتف ٦٥٣٠٩٠٩(٠٢)، فاكس ٦٥٣٣١٩١(٠٢). مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢٠٠، سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٤٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١ ـ ٩٦٣٠٠، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣نهج المغرب ـ فاكس ٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ١ ـ ٢١٦٠٠، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٩٧٤٠٠، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ ـ ٩٦٢٠٠، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٩٧٣٠٠، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٩٧١٠٠، الجزائر ـ مؤسسة E.B.D PRESSE لتوزيع الصحافة، ت ٤٨٦١٥٥٥ فاكس ٤٨٦٢٤١٥ ـ ٢١٣٠٠، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٩٦٥٠٠، السودان شركة النحوي للتجارة والتوزيع ص.ب ١٠٣٧١ ت: ٧٧١٥٤٧/٢٧ فاكس ٧٧٤٣٣٦، المغرب SOCHPRESS - CASABLANCA - TEL:2400223, Fax:00212-240404l/32 - MOROCO، باكستان PAKISTAN
PARADIS BOOKS & DISTRIBUTORS- KARACHI 75400, TEL:4314981/2 FAX: 0092-21-4554410.
الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢١٨٦١٥ ـ ٣ ـ ٩٦٧ فاكس ٢٢٣٣٢٨



الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك:

سمو الغاية وجلال الأهداف

التفاعل مع القضايا العربية والإسلامية أساس ثابت في سياسة المملكة العربية السعودية، وكانت مأساة البوسنة والهرسك واحدة من المآسي الإنسانية التي تفاعلت معها المملكة حكومة وشعباً، وجاء تأسيس الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز دليلًا على الحرص على تواصل الدعم السعودي الإنساني لإخوانهم البوسنيين واستمراريته، فما حجم هذا الدعم؟ وما صوره؟

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:
١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ٠٢٥٨ ـ ١١٤٠

كاريكاتير

أرسل رسالتي هذه أولاً، لأعبر عن إعجابي وتقديري للجهد المبذول لإخراج الفيصل بكل هذا الجمال في الشكل والمضمون. فشكراً لكم.

أما ثانياً، فهو بخصوص خبر جاء في عدد ذي الحجة سنة ١٤٢١هـ رقم (٢٩٤) في الصفحة رقم ١٣٠ في باب «الملف الثقافي» وهو خاص بإصدار جريدة جديدة في سورية باسم «الدومري»، وكان الخبر على لسان الرسام علي فرزات. وأنا أرجو منكم أن تساعدوني في الحصول على عنوان الفنان علي فرزات أو أي عنوان يمكن مراسلته عليه، لأنني من عشاق فن الكاريكاتير العربي، وأريد أن يكون لي نصيب في الحصول على أعداد هذه الصحيفة وأكون ممتناً وشاكراً لكم.

وبخصوص الكاريكاتير أيضاً فقد ظهر في العدد نفسه رقم ٢٩٤ رسوم كاريكاتيرية مرافقة لموضوع «ليس الوهم احتكاراً عربياً» وكان للفنان الرسام حجاج، وكم كانت جميلة ومعبرة! فلماذا لا تستعينون بالكاريكاتير بوصفه عنصراً أساسياً في الفيصل، وتنشرون الكثير من الأعمال لرسامين من الوطن العربي أمثال: علي فرزات - عبدالهادي الشماع - محمد الزواوي - مؤيد نعمة - عبدالرحيم ياسر - العربي الصبان - سلمان المالكي - محمد الخنيفر - محمود كحيل - فارس - حامد - مصطفى رحمة «ناجي العلي» - أحمد هلال الوهيبي. وغيرهم من مبدعي هذا الفن الجميل؟

أتمنى أن يجد اقتراحي هذا عندكم القبول، وأن تساعدوني في طلبي الآخر عنوان الرسام علي فرزات.

لا يسعني في نهاية رسالتي إلا أن أتمنى لكم الخير ودوام التقدم لكم وللفيصل العزيزة.

طه محمد جمال الدين طه

المرماح - خلف مجمع المحاكم - شارع جمال الصراف - محافظة بني سويف - مصر.

التحرير:

عنوان الفنان علي فرزات هو عنوان صحيفة الدومري نفسه لأنه هو صاحبها ورئيس تحريرها، ونأسف لعدم توافر عنوانها لدينا.

ونشكر لك اقتراحك بخصوص الاستعانة بالكاريكاتير، ونأمل أن نستطيع توظيف هذا الفن الجميل في أعداد قادمة إن شاء الله.

البيئة وحمايتها

يجور الإنسان على البيئة جوراً عظيماً، ويأتي بسلوكيات فيها كثير من الأضرار ببيئته، فالهجمة الشرسة التي يقوم بها بعضنا على الضب في فصل الصيف، قد تكون سبباً في انقراض هذا الحيوان الذي له دوره في حفظ التوازن البيئي.

وهناك اليربوع الذي كنا نراه ونحن نرعى الأغنام، وقد جعل لنفسه جحراً يختبئ فيه بالنهار خوفاً من الجوارح والطيور الكاسرة، والآن أصبح يباد تحت الأضواء بعد أن أحال الإنسان ليله نهاراً ونهاره ليلاً.

إنني أدعو عبر «الفيصل» كل الحادبين على سلامة بيئتنا أن يعملوا على حمايتها من تغول الإنسان وجوره، وأن تتبع من السبل ما نرفع الوعي البيئي في مجتمعاتنا الدينية والإسلامية.

ذاعر بن صليبان الحربي

ص.ب ٢٠١٦٤ - الخرج ١١٩٤٢ - المملكة العربية السعودية.

التحرير:

نضم صوتنا إلى صوتك، ونتمنى أن يرتفع مستوى الوعي البيئي لدى الإنسان، حتى يدرك أنه الخاسر الأول في حال الإضرار بالبيئة، وأن بعض السلوكيات الحضارية كفيلة بحفظ التوازن البيئي.

أين التنويع والتطوير؟!

ثمة ما يحضرني إزاء عدد المحرم ١٤٢٢هـ رقم (٢٩٥) فقد لا أضيفُ جديداً إن أطريتُ وأثنيتُ على المستوى الرفيع الذي وصلت إليه سفيرتنا العريقة والأنيقة الرفيقة! ولكن لا بُدّ لي هنا من إضفاء بعض ما أراهُ بصدد هذا العدد، حرصاً وتقديراً على سلامة رسولتنا الأمينة، وإيصالاً لها إلى شاطئ الأمان، بكُلِ ما توفر عليه حتى اليوم من موفقية وازدهار، وقد بلغت من العمر ربع قرن فنيّة لم تعرف التثاؤب، ولم نجلس القرفصاء إلا لتنهض من جديد، باحثة لها عن مصافّ راقية تليقُ بطلعتها البهيّة، وسُمعتها الأبيّة الرفيعة بين زميلاتها، حتى بلغت شأواً بعيداً بتوفيق منه تعالى وفضل، وبتضافر جهود أسرتها الخاصة والعامة بجهازيها التحريري والإداري، إضافة إلى رصيدها من المحبّين كتّاباً وقرّاءً ومحتفين بها مع كل إشراقة وإصدار!

عفواً محرري الكريم لهذا الإسهاب الذي حلّق رُغماً عنّي في فضاء مجلتكم وتقديركم وأنتم تتسنّمون ذرا هرمنا الثقافي، وصرحنا المجيد الفيصل العملاقة التي ما برزت إلى حيّز الوجود لولا جهود الخيّرين.

لكنّ هذا لا يعفيني أن أهمسَ اليوم إليكم بملاحظات عابرة عجلى على استحياء منكم بعد هذه (المقدمة الخلدونية)!

ثمّة تراكمية غير مسوّغة في عصر تفجر معرفي هائل يسابق الزمن، أن تنشروا موضوعين ذوي صلة وامتداد لكاتبين مختلفين في عدد واحد (٢٩٥)!! فلماذا لا يترك المجال للتنويع والإضافة بدلاً من التراكم، وما مسوّغ

نشر موضوعي: آلية صنع القرار، وموضوع: التربية الذاتية وصناعة القرار في عدد واحد هو المذكور آنفاً؟

وبصدد الإثراء والتطوير لمجلتكم بل مجلة أهل الضاد أينما وجدوا «الفيصل» الزاهرة فقد سبق أن أشرت - من بين من أشار - إلى ضرورة استعادة باب ثابت بشكل - في تقديري وتقدير المتابعين - الشريان الناجي لمطبوعتنا، ألا وهو باب «دائرة المعارف»، وقد أبديتم تفهماً، ووعدتم بإعادته تدريجياً، وكان هذا منذ انطلاقتكم وثبتكم الثالثة التي واكبت رمضان المبارك سنة ١٤١٩هـ نوفمبر عام ١٩٩٨م مع العدد (٢٦٥).

وأخيراً لا آخراً، بصدد المسابقة، كنتم وعدتم ومازلتم عند نيتكم الجادة بتطوير شمولي لها، لكن الوعد طال عليه الأمد! وربما كنت من أوائل المنوهين لكم بضرورته فمضيتم تكتفون بالإيماء إليه مجرد وعد إثر وعد مع كل عدد تقريباً. فحتام تسمعونا عن هذا التطوير المزمع منذ نحو ثلاثين عدداً!؟

لقد صار التطوير بحاجة إلى تطوير! وبسبب ما تمثله هذه الزاوية الحيوية (المسابقة) من أهمية لشريحة عريضة من قرائكم، فإن تطويرها أمسى لا يحتمل إطالة وتسويفاً!!

إن هذا بحد ذاته يشكل مجرى هوائياً قارصاً نخشى أن يجمد من تقتنا المتنامية بجهازكم، وربما يعرقل أو يعيق من نسغ محبتكم أمام ما تصرفون من مواعيد يعتريها التسويف! وأنتم أغنى عن هذا من غيركم ولا شك!

كما لا يخفى عليكم أهمية التطوير المدروس والسريع المتجاوب مع رغبات الجميع أو الأكثرية وأحاسيسهم الصادقة النبيلة.

وبعد، لقد باتت المعرفة شلالاً ينحت الصخر من دون استئذان من أحد، ويهدم حدوداً، ويقتلع سدوداً، ويحطم قيوداً، فماذا نحن فاعلون إزاء هجمة العولمة وعاصفتها العاتية؟! والله المستعان أولاً وآخراً.

عبدالغني عبد الهادي
ص.ب ٨٥٤٥ عمان ١١١٢١ - الأردن.

التحرير:

نشكر لك شهادتك في حق الفيصل، كما سرنا كثيراً ملاحظاتك واقتراحاتك القيمة، الدالة على متابعتك الدقيقة لما ينشر.

وفيما يخص نشر موضوعين يبدوان قريبين بعضهما من بعض في عدد واحد، نشير إلى أن التنويع من أهم ما تحرص عليه المجلة، وهو يتعلق بالموضوعات، وبجنسيات الكتاب، وقد يكون الموضوع في حقل واحد، ولكن تناوله من أكثر من جانب يجعله أكثر عمقاً وفائدة للقراء، وإذا كان موضوع «آلية صناعة القرار» قد تناول عملية اتخاذ القرار من جوانب مختلفة، فإن موضوع «التربية الذاتية وصناعة القرار» ركز في أثر التربية في تنمية القدرات الذاتية المؤهلة لاتخاذ القرار، مما يجعل موضوع «صناعة القرار» يبدو متكاملاً بقراءة المقالين.

أما المسابقة فقد طرأ عليها ما وعدنا به من تطوير، إذ تضاعفت جوائزها لإتاحة الفرصة لعدد أكبر من الإخوة القراء للفوز بها.

ولأهمية التطوير المدروس - كما أشرت - نحرص على الدراسة الوافية لكل خطوة، ومن ذلك النظر في إمكان إعادة بعض الأبواب السابقة كدائرة المعارف والشكل الجديد الذي ينبغي أن تكون عليه ما دمنا ننشد التطوير.. ولك أولاً وأخيراً التحية على اهتمامك بمجلتكم «الفيصل».

ردود سريعة

الأخ محمد عمر شمو - دمشق - سورية:

نرحب كثيراً بمشاركتك، ويسرنا أن تكون «الفيصل» نافذتك الأولى للتعبير عن موهبتك في كتابة «القصة».

الأخوان بروك بن الطاهر - ولاية بشار، عبدالسلام بن خليفة - ولاية المسيلة، الجزائر:

صدر العدد الأول من مجلة الفيصل في رجب ١٣٩٧هـ/يونيو /حزيران ١٩٧٧م، وهي ثقافية عامة، وتوزع في مختلف دول العالم، ونرحب بمشاركات جميع الإخوة القراء، وفق معايير محدودة، أهمها التزام الموضوعية والاهتمام بالتوثيق، ومن ثم الاحتكام إلى متخصصين في موضوع المقالة، أو الأعمال الإبداعية من قصة وشعر لتقويمها والحكم عليها.

ومرحباً بكما صديقين للمجلة.

الأخ هاشم حمادي - كييف - أكرانيا:

لقد تعذر إرسال مكافأتك لعدم وجود عنوانك الجديد لدينا، فنأمل موافاتنا به.

الأخ توفيق ونوس - سورية:

نأمل موافاتنا بعنوانك الجديد، وبأصول القصص المترجمة التي أرسلتها، حتى يمكن لنا تقويمها، وإشعارك بإمكانية النشر.

نأمل من الإخوة الكتاب من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالأحرف العربية واللاتينية، تفادياً لأي خطأ عند كتابة شيكات المكافآت.

الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك

سمو الغاية وجلال الإنجاز

إعداد: حسين حسن حسين
قسم التحرير

التفاعل مع القضايا العربية والإسلامية أساس ثابت في سياسة المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن، يرحمه الله، انطلاقًا من كونها مهبط الوحي، ومهوى أفئدة المسلمين أينما كانوا.

واعتمادًا على شرع الله الحنيف الذي تحتكم إليه، فإن المملكة تسارع إلى مدّ يد العون إلى أي دولة في العالم عند الملمات والكوارث من منطلق إنساني بحت، وهي تعمل دومًا على إيجاد القنوات التي تضمن وصول الدعم بمختلف أنواعه إلى المستهدفين بأسرع وقت ممكن وأفضل مستوى.



استقبال بالورد والأزهار للأمير سلمان

ولقد كانت مأساة البوسنة والهرسك واحدة من المآسي الإنسانية التي تفاعلت معها المملكة العربية السعودية حكومة وشعبًا، استجابة للتوجيه الإلهي المؤكد أهمية التعاضد بين أبناء الإسلام، والوقوف كالبنيان المرصوص في مواجهة الملمات والنكبات.

وجاء تأسيس الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود أمير منطقة الرياض دليلاً على الحرص على تواصل الدعم السعودي الإنساني لإخوانهم البوسنيين واستمراريته حتى يتجاوزوا محنتهم، ويتمكنوا من تأسيس دولتهم وسط التحديات العاتية التي قصدت إلى اقتلاع الإسلام من أوربا.



مسجد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

جهود المملكة في دعم القضية البوسنية

ولم يقف الدور السعودي عند حد الدعم الإنساني والمساعدات المادية، وإنما عمدت المملكة إلى توظيف كل طاقتها السياسية والاقتصادية ووزنها الحضاري من أجل شرح القضية البوسنية، وانتزاع الاعتراف بالتجاوزات الصربية وإدانتها، وإيجاد الآليات المناسبة لتحجيمها، وتأكيد مشروعية إقامة دولة بوسنية لها كيانها المستقل وحضورها الدولي.

وكانت المملكة العربية السعودية سباقة إلى الاعتراف باستقلال جمهورية البوسنة والهرسك بعد انهيار يوغسلافيا السابقة، وأكدت ذلك في بيان أصدرته بتاريخ ١٧ أبريل/نيسان ١٩٩٢م، وتلا ذلك اعتراف الدول الإسلامية بهذا الكيان الوليد، وأعلنت المملكة وقوفها إلى جانب إخوانها البوسنيين عندما تمادى الصرب في اعتداءاتهم عليهم محاولين إزالة أي أثر للوجود الإسلامي في أوربا.

ودعت المملكة الدول الإسلامية والدول الصديقة إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع جمهورية الصرب، وعدم قبولها عضواً في الأمم المتحدة وعدم إحلالها محل يوغسلافيا السابقة.

وكان انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الاستثنائي في إستانبول بتركيا خلال يومي ١٧ و ١٨ يونيو/حزيران عام ١٩٩٢م من ثمرات جهود المملكة لكشف المؤامرة الصربية، ودعم مسلمي البوسنة والهرسك.

وتحركت الدبلوماسية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز لفضح الجرائم الصربية، وتأكيد حق البوسنيين في إقامة دولتهم المستقلة.

واتخذ مجلس الوزراء السعودي في ١٧ أغسطس/آب عام ١٩٩٢م قراراً تاريخياً لتطبيق الإجراءات التي أقرها مجلس الأمن، ومن بينها منع استيراد السلع والمنتجات من جمهورية الصرب والجبل الأسود، ومنع التصدير وتحويل الأموال إليها، ومقاطعة السفن والطائرات التي ترفع علم صربيا، وعدم دعم أي مشاريع تجارية وصناعية خاصة بالصرب والجبل الأسود، ومنع حركة الطيران منها أو إليها عبر الأراضي السعودية، واتخاذ الخطوات اللازمة لمنع مشاركة جمهورية الصرب والجبل الأسود في النشاطات الرياضية، وتعليق التعاون العلمي والتقني والتبادل الثقافي معها.

وفي هذا الإطار الداعم للقضية البوسنية، كانت دعوة خادم الحرمين الشريفين إلى عقد اجتماع طارئ لوزراء خارجية منظمة المؤتمر الإسلامي في جدة، أكدت فيه

المملكة ضرورة تضافر الجهود لضمان وصول المساعدات الإنسانية عبر الأمم المتحدة إلى مواطني البوسنة والهرسك.

وسارعت المملكة إلى ترجمة مواقفها إلى صورة عملية، عندما أمر خادم الحرمين الشريفين بإقامة معسكرات سكنية للاجئين في ألبانيا، وعندما حالت سياسات بعض الدول إلى عدم إقامة هذه المعسكرات تم استغلال المبلغ المخصص لها في ترميم مساكن البوسنيين عندما استتب الأمن في البوسنة.

وقامت المملكة بنقل الجرحى والمصابين بطائرات الإخلاء الطبي السعودي إلى مستشفياتها لتلقي العلاج اللازم، إلى جانب التزامها استضافة مئات الحجاج من مسلمي البوسنة والهرسك كل عام لأداء فريضة الحج.

مسجد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في توزلا

تأسيس الهيئة العليا

أصدر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز الأمر السامي رقم ١٧٤١٩ بتاريخ ٢ من ذي الحجة سنة ١٤١٢هـ القاضي بتشكيل هيئة عليا برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض لمساعدة مسلمي البوسنة والهرسك وجمع التبرعات وإيصالها إلى المتضررين هناك.

وقد حققت الهيئة كثيراً من الغايات التي أنشئت من أجل بلوغها، فكان أن استحقت نيل جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، التي رعى حفلها نيابة عن خادم الحرمين الشريفين صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني، وقد تسلم الجائزة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز رئيس الهيئة العليا، وجاء في حيثيات هذا الاستحقاق: «أنه تقرر منح الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك في المملكة العربية السعودية جائزة الملك فيصل العالمية هذا العام (١٤٢١هـ/٢٠٠١م) وذلك لقيامها بأعمال جليلة تتلخص فيما يأتي:

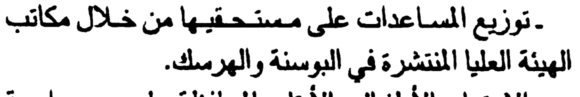
- برامج إغاثة: شملت دعم حكومة البوسنة والهرسك للصمود أمام أعدائها، وتأمين المواد الإغاثية لمواطنيها من طعام وكساء وأدوية وعلاج، وإقامة مخيمات للمهجرين منهم.
- برامج مساعدة اجتماعية: شملت إيجارات السكن وتكاليف الكهرباء ووسائل التدفئة، كما شملت إمداد الأسر المحتاجة بالنقود، وكفالة الأيتام الذين بلغ عددهم ثلاثين ألفاً.
- برامج إعمار وتنمية: شملت بناء المساجد والمدارس والكليات والمساكن وترميمها، وإعادة تأهيل خط سكة الحديد وشبكات الكهرباء، وتوفير البذور الزراعية وآلات الزراعة.
- برامج دعوة وتعليم: شملت، إضافة إلى بناء الوسائل المادية كالمدارس والكليات، وضع الخطط والمناهج التعليمية، وطباعة الكتب، وتوزيع المصاحف، وتقديم المنح الدراسية، وإعطاء مرتبات الأئمة والدعاة ومعلمي القرآن الكريم».

وما لخصته هذه الحيثيات من جهود إنما يمثل مسيرة عطاء دامت سنوات، وكانت البداية تكمن في تحديد الأهداف التي يمكن تلخيصها في الآتي:

- التعريف بمأساة المسلمين في البوسنة والهرسك، وحاجاتهم.
- حث المواطنين والمقيمين على التبرع لهم لتخفيف معاناتهم.
- الإشراف على جمع التبرعات ومتابعة الحسابات في البنوك ومراجعتها بدقة.



أكاديمية الأمير سلمان الإسلامية في بيهاتش



- توزيع المساعدات على مستحقيها من خلال مكاتب الهيئة العليا المنتشرة في البوسنة والهرسك.

- الاهتمام بالأطفال والأيتام والمحافظة عليهم، ومواجهة المحاولات المشبوهة لإبعادهم عن دينهم تحت مظلة التبني.

- تحقيق مبدأ التكافل والتعاضد بين المسلمين وإبراز الهوية الإسلامية لمسلمي البوسنة والهرسك.

تكوين اللجان

ولتفعيل العمل تمَّ تشكيل اللجان، وفي مقدمتها اللجنة التنفيذية برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض ورئيس الهيئة العليا، وتشكلت لجنة إعلامية للإشراف على الجوانب الإعلامية من حملات إعلامية، وإصدار النشرات والكتيبات والإعلانات، وإعداد البيانات والتقارير الموضحة لنشاطات الهيئة.

ولضبط الأمور المالية تكونت لجنة مالية من مهامها تقديم تقرير مالي بصفة دورية عن حجم التبرعات، وإيضاح الأرصدة في البنوك، وبيان حجم المصروفات، كما تمَّ تشكيل لجنة لتنشيط التبرعات والاتصال بالمحسنين، وحثهم على التبرع، وعرض برامج الهيئة ومشروعاتها عليهم.



سموه يوجه كلمة إلى مستقبليه من أبناء البوسنة

وقد تشكلت في مناطق المملكة لجان محلية لجمع التبرعات، إلى جانب لجان فرعية في المحافظات.

جهود جمع التبرعات

اتخذت الهيئة وسائل مختلفة لتنشيط عملية جمع التبرعات منها:

- مخاطبات سمو رئيس الهيئة: فقد خاطب سموه المقام السامي من وقت إلى آخر لدعم برامج الإغاثة، ووجه خطابات إلى الجهات المسؤولة ذات الارتباط بجمع التبرعات كوزارة الداخلية، ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ووزارة الشؤون البلدية والقروية، وأمانة مدينة الرياض، ورؤساء اللجان المحلية والفرعية في مناطق المملكة ومحافظاتها، وجميع الوزارات والمؤسسات والمصالح الحكومية، وسماحة المفتي العام للمملكة، ورؤساء تحرير الصحف والمجلات، ووزارة الإعلام بشأن تنشيط التبرعات بالوسائل المرئية والمسموعة والمقروءة، ومجلس اتحاد الغرف التجارية، ورؤساء مجالس الغرف التجارية، وكبار التجار ورجال الأعمال، ومختلف الجهات الحكومية والمؤسسات العامة والخاصة والأفراد.

ونفذت الهيئة حملات إعلامية ضخمة موسمية وطارئة، ونظمت أسابيع للبوسنة والهرسك، إلى جانب حملات بريدية.

وقامت الهيئة بتنظيم جمع التبرعات في المساجد وفي أثناء المحاضرات والندوات الدينية، وفي الأسواق والمراكز التجارية والترفيهية، ونظمت عدداً من الأسواق الخيرية، وقد كان لها دور كبير في تطوير فكرة هذه الأسواق، كما نظمت حفلات لجمع التبرعات في أسابيع البوسنة والهرسك، وأعدت زيارات، وأجرت الاتصالات بوسائل مختلفة مع المحسنين، وأعدت برامج ترويجية لمشروعاتها الخيرية ككفالة الأيتام وتفطير الصائمين، وتأمين الأضاحي وترميم المنازل، وبناء الكليات والمدارس الإسلامية، وبناء المساجد وترميمها، وترجمة الكتب الإسلامية وطباعتها، وإقامة المكتبات المركزية، ومكتبة طالب العلم، ومكتبة الأسرة البوسنية، وتوفير الأجهزة واللوازم الطبية.

حملة خادم الحرمين الشريفين

في تزامن مع تفاقم مأساة مسلمي البوسنة والهرسك، واجتياح الصرب لمدينتي جيبا وسربرنتسا، أطلقت المملكة العربية السعودية في شهر ربيع الأول سنة ١٤١٦هـ حملتها التي عرفت باسم «حملة خادم الحرمين الشريفين للتضامن مع مسلمي البوسنة والهرسك»، من أجل جلب الدعم المادي والإغاثي الذي يعينهم على تجاوز المأساة، والوقوف في وجه الاعتداء الصربي الشرس، وكان من أهداف هذه الحملة كذلك تقديم الدعم المعنوي الذي كان مسلمو



مسجد كلوتش في بيهاتش



افتتاح دار الوالدين للأيتام في سراييفو

البوسنة والهرسك في حاجة متزايدة إليه، للدفاع عن هويتهم الإسلامية، وتأكيد حقهم في إقامة دولتهم.

وجاء تعريف وسائل الإعلام لهذه الحملة بمسمى «حملة الخير في بلاد الحرمين» حاملاً المضامين التي رسختها الحملة بتقديم نموذج فريد وبيان عملي للتكافل بين المسلمين، إذ شارك كل فئات المجتمع السعودي من مسؤولين وعلماء وخطباء مساجد ومفكرين ورجال أعمال وتجار وطلاب ورجال ونساء وأطفال في الجود بما يستطيعون من دعم كل حسب طاقته.

وكان استهلال هذه الحملة بتبرع سخي من خادم الحرمين الشريفين بمبلغ خمسين مليون ريال، وكان - حفظه الله - قد وجه كلمة دعا فيها المسلمين في كل أنحاء العالم إلى ضرورة نجدة الشعب البوسني المسلم بكل ما تجود به النفوس لأنهم «إخوان لنا يرزحون تحت تأثير العدوان الآثم»؛ وندد - حفظه الله - بهذا العدوان قائلاً: «إن الاعتداء الصربي على المسلمين في البوسنة والهرسك من أطفال ونساء وشيوخ يعبر تعبيراً عملياً، ويقدم صورة مخزية لما



سموه والرئيس علي عزت بيجوفيتش يدخلان مسجد خادم الحرمين الشريفين في سراييفو

اعداد: حسين حسن حسين

ستؤول إليه الأمور في حال سيادة شريعة الغاب ووجود أطراف امتهنت التنصل عن قواعد الشرائع السماوية وأسسها والأعراف الدولية التي كفلت للإنسان العيش بكرامة وأمان واستقرار بين جدران بيته وتحت سماء وطنه».

وتكونت مراكز لاستقبال التبرعات في كل مناطق المملكة، ونظمت حملة إعلامية وإعلانية ضخمة شاركت فيها وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية من أجل دفع المواطنين إلى التفاعل مع قضية هذا الشعب المسلم، وتم إصدار عدد من الكتب التي تناولت القضية البوسنية، إلى جانب عدد وثائقي خاص بمناسبة أسبوع البوسنة والهرسك في سنة ١٤١٥هـ، كما تم إصدار نشرة صحفية بعنوان «الباذلون».

ونظمت الهيئة برامج ثقافية تضمنت محاضرات وندوات وأمسية شعرية، وتشكلت وفود إعلامية زارت البوسنة والهرسك، وكان الوفد الإعلامي للهيئة الأول على مستوى العالم الإسلامي الذي يزور البوسنة خلال فترة الحرب.

وكان للتلفاز والإذاعة ومختلف الصحف ووسائل الإعلام السعودية دور كبير في تبني قضية البوسنة والهرسك والتعريف بها، مما ساعد كثيراً على نجاح حملة خادم الحرمين الشريفين وتحقيق غاياتها بنجاح منقطع النظير.

إجمالي التبرعات

بلغت جملة التبرعات النقدية والعينية التي قدمت لمسلمي البوسنة والهرسك عن طريق الهيئة العليا ملياراً وستمئة وخمسة وسبعين مليوناً وثلاثمئة وثلاثة آلاف وسبعمئة وسبعة وعشرين ريالاً، منها مليار وأربعمئة وتسعة وعشرون مليوناً وخمسمئة وثمانية عشر ألفاً وواحد وثمانون ريالاً تبرعات نقدية، أما التبرعات العينية فمقدارها مئتان وخمسة وأربعون مليوناً وسبعمئة وخمسة وثمانون ألفاً وستمئة وستة وأربعون ريالاً.

وقدمت المملكة العربية السعودية عن طريق وزارة المالية والأجهزة الأخرى مساعدات بلغت أربعمئة وثمانية وعشرين مليوناً وخمسمئة وخمسة وستين ألفاً ومئتين وأربعة وتسعين ريالاً، ليكون إجمالي ما قدمته المملكة مليارين ومئة وثلاثة ملايين وثمانمئة و تسعة وستين ألفاً وواحداً وعشرين ريالاً.

جهود وإنجازات

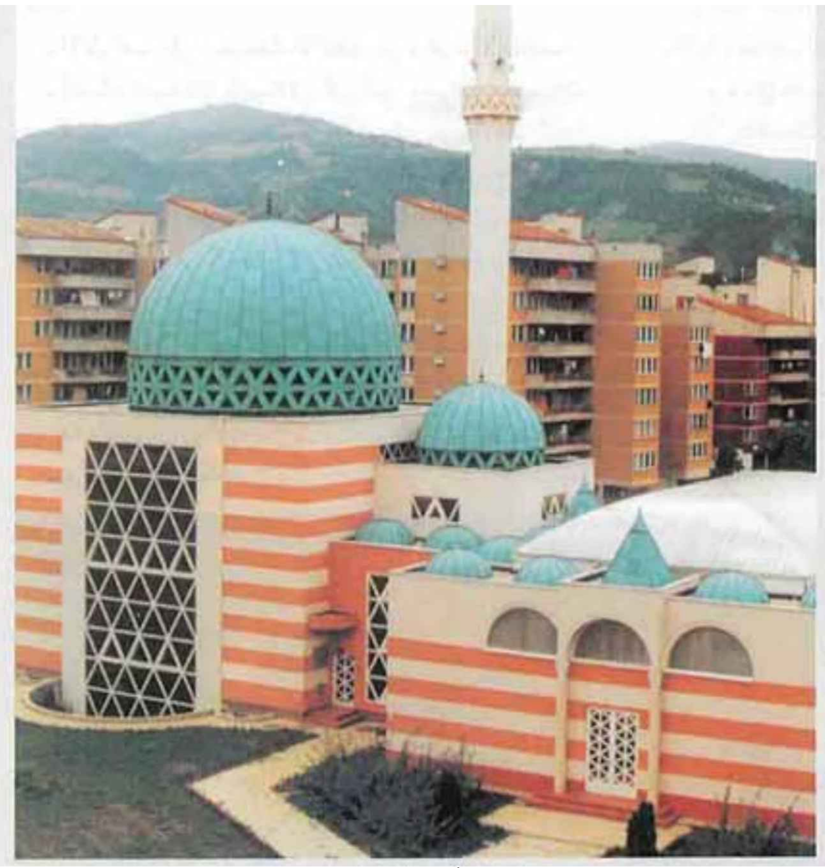
كانت الهيئة في السنة الأولى تتعاون مع مكتب هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في تنفيذ برامجها ومشروعاتها، وفي أغسطس/آب عام١٩٩٣م تم تشكيل إدارة جديدة في المكتب الإقليمي الذي استقل عن مكاتب هيئة الإغاثة الإسلامية



جموع محتشدة من الشعب البوسني لاستقبال سموه، وكلمة ترحيبية من رئيس العلماء الدكتور مصطفى سيريتش

العالمية. وقد استكملت الهيئة العليا إجراءات تسجيلها رسميًا في كرواتيا في ٨ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٩٣م فاكتسبت صفة هيئة إغاثية جديدة، وعلى مدى ثماني سنوات حققت إنجازات يمكن إيجازها في ثلاثة محاور رئيسة هي: برامج الإغاثة ومشروعات الإعمار، والدعوة والتعليم.





مسجد الأنصار في زينتسا

أولاً: برامج الإغاثة

وضعت الهيئة في أولوياتها عدداً من الأهداف، منها:

- تقديم مساعدات عاجلة لضحايا الحرب في البوسنة والهرسك.
- العمل على تخفيف محنة المتضررين في الحرب.
- إيصال المبالغ المخصصة لدعم حكومة البوسنة.

وفي سبيل ذلك تمّ الاتصال بالحكومة البوسنية لتعيين ممثل لها يكون على اتصال مع اللجنة التنفيذية للهيئة.

وتشكلت وفود للسفر إلى البوسنة بهدف التباحث مع المسؤولين البوسنيين ولدراسة الحاجات الملحة، كما استقبلت الهيئة الوفود البوسنية في المملكة، وتبلورت نتائج هذه التحركات في شكل توصيات بشأن تأمين المواد الإغاثية وطريقة الإشراف على توزيعها، ويمكن إجمال برامج الإغاثة في الآتي:

. برنامج دعم حكومة البوسنة:

قصد هذا البرنامج إلى تقديم الدعم اللازم للحكومة البوسنية بما يساعدها على الصمود في مواجهة الحرب الشرسة، وبلغ إجمالي ما صرف في هذا البرنامج ثمانمئة واثنين وأربعين مليوناً ومئتين واثنين وستين ألفاً وسبعمئة وثلاثين ريالاً، ويمثل هذا المبلغ ٥٠٪ من إجمالي التبرعات.

. برنامج تأمين المواد الإغاثية:

ويشمل هذا البرنامج التبرعات العينية المقدمة من حكومة خادم الحرمين الشريفين، والمواد التي تم شراؤها من داخل المملكة العربية السعودية، والمواد التي تم شراؤها عن طريق المكتب الإقليمي في أوربا.

وإجمالي ما صرف على هذا البرنامج ثلاثمئة وثلاثة وتسعون مليوناً وخمسمئة وثلاثة وستون ألفاً وستمئة وستة وتسعون ريالاً، و هو يعادل ٢٦٪ من إجمالي التبرعات، أما حجم المواد الإغاثية التي تمّ تأمينها فيصل إلى ١٠٩ آلاف طن من القمح والتمور والسكر والأرز والبقوليات وغيرها من المواد الغذائية، إلى جانب الملابس والبطانيات والخيام ومواد البناء والسيارات والمصاحف وغيرها.

ـ برنامج المساعدات العاجلة:

تشكلت فرق عمل لتأمين المواد الإغاثية والإشراف على توزيعها على المتضررين، وتم في هذا الشأن:

ـ تجهيز آلاف الأطنان من المواد الغذائية لتوزيعها على اللاجئين البوسنيين في كل من كرواتيا وسلوفينيا.

ـ أرسلت عشرات القوافل إلى القرى والمدن محملة بمواد إغاثية.

ـ الإشراف على مخيمات اللاجئين في زغرب وإسبيلت.

ـ إنشاء عيادات طبية في كرواتيا، وتوفير سيارات إسعاف للعمل في مشروع إخلاء الجرحى، وبلغ عدد الذين راجعوا العيادات أكثر من ٧٠٠ ألف مريض وجريح.

ـ توفير الخبز وتوزيعه في أحياء سراييفو.

ـ حفر الآبار في المناطق التي تقل فيها المياه وتوفير مياه الشرب للعاصمة سراييفو.

وبلغ إجمالي ما تم صرفه لتنفيذ هذا البرنامج (اثنين وعشرين مليوناً وثمانمئة وثلاثة وسبعين ألفاً وتسعمئة وأربعة وعشرين ريالاً).

ـ برنامج سلة الغذاء:

قصد هذا البرنامج إلى توفير سلة شهرية مستمرة للمهاجرين البوسنيين تتضمن مواد إغاثية مختلفة، وبلغ عدد الأسر التي استفادت من هذا البرنامج بانتظام ٦٠ ألف أسرة في كرواتيا والبوسنة، أما الأسر التي حصلت على هذه السلة بشكل غير منتظم فقد بلغت (٩٣٧.٣٩٦) أسرة في زغرب وزينتسا وتوزلا.

وبلغت تكلفة هذا البرنامج تسعة وثلاثين مليوناً وثلاثمئة وثلاثة وسبعين ألفاً وتسعمئة وستين ريالاً.

ـ برنامج خدمة المهاجرين:

كان هدف هذا البرنامج توفير السكن لأفواج الفارين من وجه العدوان، وقد تمت تهيئة مخيمي الرياض وعثمان بن عفان لاستقبالهم، إلى جانب المشاركة في إقامة ١٦مخيماً لأكثر من ١٤ ألف نسمة.

وتضمن هذا البرنامج، استقبال المهاجرين وتسجيلهم في سجلات الهيئة وتنظيم الزيارات الميدانية للأسر والأفراد في مساكنهم الخاصة، ودراسة احتياجاتهم، والتنسيق مع الهيئات والمنظمات الأخرى لإيوائهم، مع توفير الطعام والمسكن والرعاية الصحية ومستلزمات التدفئة لهم.



مسجد فوتشياكوفيتش في موستار

وبعد استقرار الأوضاع قامت الهيئة باستئجار حافلات لنقل اللاجئين وإعادتهم إلى ديارهم في البوسنة، وبلغ عدد العائدين ٩٢٠٦ مهاجرين، وقد وزعت عليهم مبالغ نقدية ونسخاً من مطبوعات الهيئة ومن ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة البوسنية.

وتكلف هذا البرنامج اثنين وعشرين مليوناً وخمسمئة وسبعة وأربعين ألفاً وأربعمئة وواحداً وعشرين ريالاً.

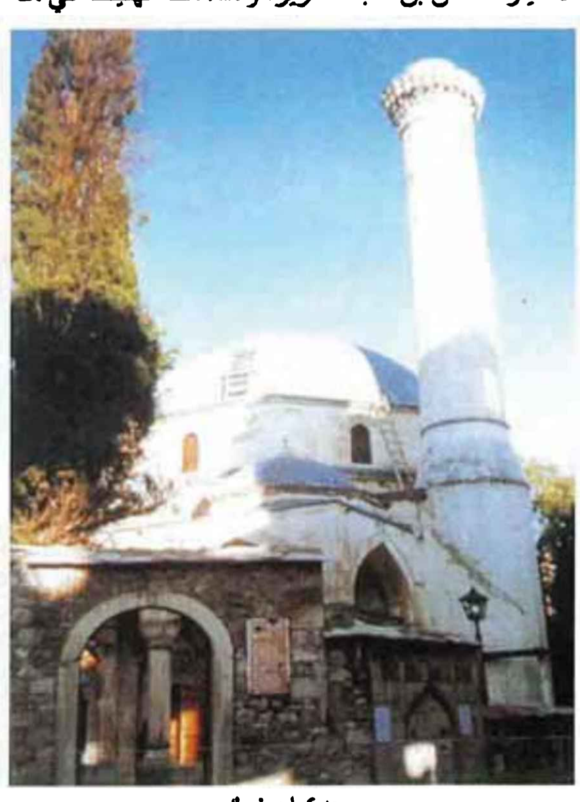
- الرعاية الصحية:

اشتمل هذا البرنامج على عدد من النشاطات؛ أهمها:

- إنشاء سبع عيادات طبية في كرواتيا، وفي داخل البوسنة والهرسك، والإشراف على إدارتها.

- إنشاء مركز متكامل لغسيل الكلى بسراييفو، يحمل اسم الأمير سلمان بن عبدالعزيز، وساهمت الهيئة في هذا


افتتاح المدرسة الإسلامية وسكن الطلاب في موستار


مسجد كراجوزبيك

المشروع بمبلغ مليونين وخمسمئة ريال. وقد افتتحه سمو الأمير سلمان في ١٧ جمادى الأخرة ١٤٢١هـ. وتبرعت حرم سموه بمبلغ مليون ريال لتشغيله.

ويتوقع أن يستفيد من هذا المركز نحو ٢٠٠ مريض شهرياً من غير القادرين، وتراوح أعمار هؤلاء بين ٢٢ و ٥٥سنة، وسوف يخفف الضغط على وحدة غسيل الكلى بالمستشفى الجامعي، ويقلل من فترات الانتظار الطويلة للمرضى.

- شراء الأدوية والمستلزمات الطبية.
- كفالة الأطباء والمرضين، وبلغ عددهم ١٥١٠ أطباء وممرضين.
- تقديم المساعدات النقدية.
- ختان ١٥ ألف طفل.
- توزيع ثمانية آلاف بطانية على المستشفيات والمراكز الصحية.
- تقديم ٣٦٨٨ نظارة طبية و ٤١ جهاز سمع للمحتاجين.
- شراء أحذية وأطراف صناعية لـ (٧٤) معاقاً.
- إهداء ٨ سيارات إسعاف للمستشفيات.
- توزيع ٥١ ثلاجة و ١٥ غسالة للملابس على المستشفيات والمراكز الصحية.
- توفير الأجهزة الطبية لبعض المستشفيات.

وبلغت جملة المبالغ التي تم صرفها على برنامج الرعاية

الصحية ثلاثة وعشرين مليونًا وخمسمئة وثلاثة وعشرين ألفًا ومئة وواحدًا وثلاثين ريالاً.

وفي إطار هذا البرنامج استقبلت الهيئة المرضى البوسنيين الذين استضافتهم المملكة في مستشفياتها، وعملت على توفير سبل الراحة لهم باستقبالهم في المستشفيات، واستئجار الشقق المفروشة لهم، والقيام بزيارتهم في المستشفيات وأماكن سكنهم، وإعداد برامج دعوية لهم، وإهدائهم الكتب الإسلامية، وإعداد برنامج لمن يرغب في أداء فريضة الحج أو العمرة أو زيارة المسجد النبوي، ومساعدتهم على تعليم أولادهم من خلال دورات في الحاسوب (الكمبيوتر) واللغتين الإنجليزية والعربية، وإنهاء إجراءات السفر لهم، إلى جانب تقديم المساعدات النقدية.

وبلغ عدد من استضافتهم المملكة، وقامت الهيئة بالإشراف على رعايتهم (١٣١) مريضًا ومرافقًا، وبلغ إجمالي المساعدات مليونين وثمانمئة وثمانين ألف ريال.

ـ برنامج المساعدات الاجتماعية:

شمل هذا البرنامج كثيرًا من الأعمال والنشاطات منها تقديم المساعدات المالية للاجئين والمحتاجين لدفع إيجارات السكن والكهرباء ومختلف مستلزمات الحياة، والإشراف



مسجد لاكيشيتشا في موستار



مع علي عزت بيجوفيتش في مسجد خادم الحرمين الشريفين

على توزيع الملابس والبطانيات والأحذية.

وفي هذا الإطار وفرت الهيئة بعض الأجهزة التي تعين اللاجئين على تلمس وسائل لتوفير لقمة العيش الشريفة، ومن بينها توفير ٦٠ ماكينة غزل ومستلزماتها من الصوف، وإنشاء أربعة مشاغل للخياطة في كل من ترافنيك وموستار وزينتسا وتوزلا للتدريب، ومشغل في سرايفو لإنتاج الجلاليب والحجاب.

وأشرفت الهيئة على حضانتين للأطفال في ترافنيك وجوراجدة، ضمتا ٤٥٠ طفلاً، وقدمت مساعدات لحضانة ممدينة مقلاي، وساهمت في مشروع الزواج الجماعي، وقدمت مساعدات مقطوعة لعدد كبير من الأسر، مع تأمين مساعدات نقدية لمشروع الأعمال اليدوية.

وتكلف تنفيذ هذا البرنامج ثلاثة وعشرين مليونا وخمسمئة وثلاثة وعشرين ألفا وتسعمئة وعشرين ريالاً.

- برنامج كفالة الأيتام:

فقد عدد كبير من أطفال البوسنة والهرسك أسرهم في الحرب، مما أوجد واقعاً مراً، كان لابد من سرعة التحرك لتفادي تداعياته، وآثاره السلبية، وتبنت الهيئة برنامج كفالة الأيتام، ونشطت في سبيل التعريف به وبأهدافه من خلال وسائل مختلفة منها: استخدام أجهزة الإعلام ووسائل الإعلام، والبريد، ووضعت نظاماً دقيقاً لتقنين العلاقة مع الكفلاء ومتابعة التقارير الدورية عن الأيتام، ووضع استمارات خاصة بهم، واستخدام الحاسب الآلي في جميع الخطوات.

وتحقق من التعريف بهذا البرنامج مبلغ ٥٠ مليوناً وثمانمئة وسبعة وستين ألفاً ومئتين وخمسين ريالاً في الفترة من سنة١٤١٣هـ إلى سنة ١٤٢١هـ.

- برنامج المساعدات الموسمية:

يشتمل هذا البرنامج على نشاطات موسمية لها وقتها المعلوم، مثل تفطير الصائمين والاحتفال بالعيد، والحج، وتوزيع لحوم الأضاحي.

وبلغ إجمالي ما تم صرفه على هذا البرنامج ثمانية وأربعين مليوناً ومئة وثمانية وثلاثين ألفاً ومئتين وأربعين ريالاً.

- تفطير الصائمين:

نفذ هذا المشروع من سنة١٤١٣هـ إلى رمضان سنة١٤٢١هـ. وتضمن تجهيز سلات غذاء للصائمين تشتمل على دقيق وتمر وسكر وأرز ومعلبات، وبلغ عدد السلات ٥٨ ألف سلة إفطار، أما الوجبات الساخنة فبلغ عددها ٤٤٨ ألف وجبة بقيمة أربعة ملايين و٤٨٠ ألف ريال.

- الاحتفال بالعيد:

تحرص الهيئة على تنظيم احتفالات بالعيد في كل سنة تخفيفاً عن الشعب البوسني، ولإدخال الفرحة إلى نفوس أبنائه بعد أن ذاقوا ويلات الحرب، وتتضمن الاحتفالات



سموه يرد التحية لآلاف المحتشدين لاستقباله

بعض البرامج الترويحية والتثقيفية، وتوزع الهدايا على الأطفال والأيتام، وبلغ ما أنفق على هذا المشروع ٣١٢.٧٢٠ ريالاً.

- الحج:

يحرص خادم الحرمين الشريفين كل عام على استضافة عدد من حجاج البوسنة والهرسك، وأشرفت الهيئة على وضع برامج لهم في الفترة من حج سنة١٤١٣هـ إلى حج سنة١٤١٩هـ، وبلغ عدد الحجاج البوسنيين المستضافين في هذه الفترة أكثر من ٣٣٠٠ حاج، منهم الجرحى، ومعوقو الحرب، وأسر الشهداء والأرامل، وبلغت تكلفة مشروع الحج أكثر من ٣٤ مليون ريال تم صرفها على السكن والمأكل والنقل وتوفير جميع ما يحتاج إليه الضيوف طوال إقامتهم بأرض الحرمين الشريفين.

برنامج توزيع لحوم الأضاحي:

يتمثل هذا البرنامج في قيام الهيئة العليا بذبح الأضاحي عن المضحين في المملكة العربية السعودية، وتوزيع أكثر من ٦٠٠ طن من لحوم الهدي والأضاحي سنوياً يتم استقبالها من البنك الإسلامي للتنمية، كما يتم ذبح عدد من الأبقار والأغنام من غير الأضاحي لتوزيعها على المحتاجين والأرامل والأيتام في أيام عيد الأضحى المبارك.

وبلغ إجمالي تكلفة هذا البرنامج تسعة ملايين ومئتين وتسعين ألف ريال.

برنامج المساعدات التنموية والحيوية:

يتضمن هذا البرنامج دعم بعض المشروعات التنموية التي يحتاج إليها المجتمع البوسني لدفع عملية التنمية، ولتجاوز ما خلفته الحرب من دمار طال البنية الأساسية للبلاد.

ومن أهم المشروعات التي أسهمت فيها الهيئة إعادة تجهيز خط السكك الحديدية الممتد من مدينة بلوتشا إلى مدينة بازاريتش، وتأتي أهمية هذا الخط الحديدي من كون ميناء بلوتشا الكرواتي الواقع على البحر الأدرياتيكي هو الميناء البحري الوحيد الذي يخدم البوسنة والهرسك. وبلغ إسهام الهيئة في تأهيل هذا المشروع الحيوي سبعة ملايين وسبعمئة وثمانية وأربعين ألفاً ومئتين واثنين وستين ريالاً.

ومن أهم ما شاركت فيه الهيئة من برامج تنموية إعادة تمديد شبكات الكهرباء في بعض الأحياء، وتركيب الزجاج في بعض المدارس، وحفر الآبار، وتوفير مضخات للمياه في سراييفو في أثناء الحصار، وبلغ حجم ما أنفقته الهيئة على هذه المشروعات مليوناً ومئة ألف ريال.

وأسهمت الهيئة في إعادة ترميم مطبخ مستشفى موستار وتجهيزه بتكلفة إجمالية قدرها ٤٣٤ ألف ريال، وإصلاح ثلاجة زينتسا التي تسع (٢٥٠ طناً) بتكلفة قدرها (١١٢.٥٠٠ ريال) وتوفير بذور زراعية وآلات، ونفط، وسماد ومبيدات حشرية، وتوزيعها على المزارعين بالتعاون مع البلديات، واستصلاح الأراضي وحرثها في منطقة سراييفو، وبلغ إجمالي المصروفات مليوناً وسبعمئة وستة وثلاثين ألفاً واثنين وعشرين ريالاً.



مسجد جيليزنو بوليه في زينتسا



مسجد بوليتسا في زينتسا

ـ التدفئة:

لما كان جو البوسنة والهرسك يتسم بالبرودة، فإن وسائل التدفئة تظل مطلباً مهماً لسكانها، لذا عمدت الهيئة إلى مساعدتهم في هذا الأمر الحيوي، وصرفت في سبيل ذلك خمسة عشر مليوناً ومئتين وستة وثمانين ألفاً وستمئة وسبعة وثلاثين ريالاً توزعت على زيت التدفئة، والفحم الحجري والحطب، والديزل، وتمديد الغاز لعدد من المنازل والمساجد، ودفع تكاليف الغاز عن أعداد كبيرة من الفقراء.

ثانياً: مشروعات الإعمار

وتتضمن بناء المساجد، والمراكز الثقافية، والكليات الإسلامية والمدارس، ودور الأيتام والمنازل السكنية، وبلغ إجمالي ما أنفق على هذه المشروعات مئة وستة وعشرين مليوناً وسبعمئة وثمانية عشر ألفاً وستمئة وسبعة وثمانين ريالاً.

ـ إعمار المساجد:

انطلاقاً من الدور الكبير للمسجد في المجتمع الإسلامي على امتداد العصور، حرصت الهيئة على المساهمة في بناء المساجد وترميمها، وجعلها جزءاً من رسالتها لتأكيد الهوية الإسلامية للشعب البوسني، وتعميق علاقته بأمته، وفي هذا الإطار، قامت الهيئة ببناء وترميم ١٦٠ مسجداً في مختلف أقاليم البوسنة، وقامت الهيئة بتجهيز نحو ٤٠٠ مسجد بما تحتاج إليه من وقود التدفئة والفرش ومكبرات الصوت وأرفف المصاحف والكتب بتكلفة قدرها تسعة عشر مليوناً ومئة وخمسة وثمانون ألفاً وثلاثمئة وسبعة وثلاثون ريالاً.

ـ مسجد ومركز خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود الثقافي: لأهمية هذا الصرح الحضاري، سوف نخصه ببعض التفاصيل:

فقد وضع حجر أساسه صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز في شهر ذي الحجة سنة ١٤١٨هـ بهدف أن يكون مركز إشعاع حضاري في هذه البلاد التي تتعرض لمحاولات استلاب الهوية، وطمس معالم انتمائها الثقافي، كما يرمي هذا المشروع إلى تهيئة مكان مناسب لعبادة الله تعالى، و نشر العلم والثقافة الإسلاميين، وتحفيظ القرآن الكريم وتعليمه، وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في هذه البلاد، وتنظيم الملتقيات الثقافية والدعوية، وإعداد دورات للدعاة وطلبة العلم، وتنمية مهارات الشباب البوسني المسلم في الحاسب الآلي وغيره من أدوات العصر، وتنظيم دورات شرعية للمرأة المسلمة، وتعزيز علاقات التعاون الثقافي بين شعبي المملكة والبوسنة، وتعريف المجتمع البوسني بالنهضة الحضارية التي تعيشها المملكة العربية السعودية ودورها الفاعل في خدمة عالمها الإسلامي.



سموه مع كبار مستقبليه

ـ الجامع:

تبلغ مساحة المشروع ٣ آلاف متر مربع، ويتسع لخمسة آلاف مصل، وهو يقع في منطقة ذات كثافة سكانية عالية، إذ تضم ٩٠ ألف نسمة، ويوجد داخل المسجد مصلى للرجال وآخر علوي للنساء، وهناك ستون ميضأة للرجال والنساء.

و المسجد مزود بأحدث أجهزة التدفئة ومكبرات الصوت، وتعلوه مئذنتان، وله محراب بديع التصميم، وقد صمم على الطراز المعماري الإسلامي.

ـ المركز الثقافي:

يشتمل المركز على قسم لتعليم اللغة العربية، فيه خمسة فصول دراسية، ويتسع كل فصل لنحو ٣٢ طالباً، كما أنه يضم معملاً مزوداً بأجهزة متطورة لتعليم اللغات.

كما أن هناك وحدة للحاسب الآلي فيها ٤٩ حاسوباً آلياً، ومجهزة لإقامة الدورات، وتتيح للباحثين إعداد بحوثهم باستخدام البرامج الحاسوبية المتطورة.

ويضم المركز مكتبة مركزية تستوعب ٦٠ ألف كتاب؛ وهي من أكبر المكتبات باللغة العربية في منطقة البلقان، وتقوم على مساحة ٣٥١ متراً مربعاً، وبها قاعة للمطالعة وأخرى للأرشيف، وعشر وحدات للباحثين، وكل وحدة مزودة بحاسب آلي وخط إنترنت. وبالمركز معرض دائم يتم فيه عرض المنجزات الحضارية للمملكة العربية السعودية، ومنجزات الهيئة العليا لمساعدة مسلمي البوسنة والهرسك.


مشروع مشغل الخياطة

وهناك قاعة كبيرة بالمكتبة لإقامة المحاضرات العامة والدورات الصيفية وغيرها، وتسع نحو ٢٨٥ شخصاً، ومزودة بأجهزة الترجمة الفورية وأجهزة العرض الضوئية المتحركة المتصلة بالحاسب الآلي، وتتصل القاعة بالمكتب والمطعم والصالة الرياضية والمسجد لنقل الصوت والصورة عند زيادة أعداد الحاضرين.

وملحق بالمركز صالة رياضية على مساحة ٣٥٠ متراً مربعاً فيها ملاعب لألعاب الطائرة والسلة واليد وألعاب القوى وكمال الأجسام.

والمطعم الملحق مجهز بمعدات تعين على تقديم ٣٦٠٠ وجبة يومياً من مختلف الأطعمة وبأسعار مناسبة، وهو يتسع لـ ١٤٤ شخصاً.

وافتتح المسجد والمركز سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز رئيس الهيئة العليا في يوم ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٤٢١هـ (١٥ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٠م)، في حفل افتتاح كبير تحدث فيه سموه ورئيس العلماء البوسنيين الدكتور مصطفى سيريتش والشيخ ناصر بن عبدالرحمن السعيد المشرف الإقليمي على مكاتب الهيئة العليا في أوربا.

ـ فرع مركز خادم الحرمين الشريفين بموستار:

حرصت الهيئة على إنشاء مركز ثقافي بموستار الشرقية تحت مسمى مركز فرع خادم الحرمين الشريفين الثقافي بموستار لما لهذه المنطقة من أهمية كبرى.

ومن أهداف هذا المركز إقامة دورات لتعليم اللغة العربية، ودورات لتعليم اللغة الإنجليزية، والحاسب الآلي، والطباعة على الآلة الكاتبة.

ويشتمل المركز على جناح خاص للتعريف بالمملكة العربية السعودية، للحفاظ على جسر يربط الشعبين الشقيقين، وتكلف المشروع مليونين ومئتين وأربعة وخمسين ألفاً وخمسمئة ريال.

وافتتح المركز بتاريخ ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٤٢١هـ (٢٠ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٠م).

ـ افتتاح مسجدي الأمير عبدالله وكلوتش:

افتتح سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز خلال زيارته للبوسنة والهرسك في الفترة من (١٥ ـ ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٤٢١هـ) مسجد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في توزلا، وألقى كلمة بهذه المناسبة، قال فيها: «إن المملكة العربية السعودية دولة وشعباً تريد الخير وتعمل من أجل الخير، وتبذل كل ما تستطيع من أجل أن يسود الخير بين الناس. ونحن عندما نقدم مثل هذه المشروعات الكبيرة إنما نقدم شيئاً تعود عليه قادة المملكة ومواطنوها، ونحن مبتهجون به لأنه يربط الناس بخالقهم، ويعلي وشائج الخير بينهم».

كما افتتح سموه مسجد كلوتش الواقع في وسط منطقة بانيا لوكا، والذي يخدم أكثر من ٢٠ ألف نسمة، ويتسع لأكثر من ٥٠٠ مصل، كما أن مصلى النساء يتسع لأكثر من ١٥٠ امرأة، وبالمسجد مكتبة مركزية ومكاتب للمشيخة الإسلامية، وهذا أول مسجد يشيد فيها منذ أكثر من ٧٠ عاماً.

ـ جامع ومركز بوقوينو:

لأهمية الموقع الجغرافي لمدينة بوقوينو تم اختيارها لتكون

مقراً لجامع ومركز ثقافي يعنيان بنشر الثقافة الإسلامية، ويشتمل المقر على مركز كبير لحضانة الأطفال ومدرسة، وتكلف المشروع أكثر من أربعة عشر مليون ريال.

- إعمار المدارس والكليات الإسلامية:

انطلاقاً من أهمية التربية والتعليم لغرس القيم الأصيلة في نفوس النشء، تعددت نشاطات الهيئة في هذا الميدان، وتضمنت:

- ترميم كلية إعداد المعلمين في زينتسا، وبلغت تكاليف الترميم والتأثيث ٥٩٠.٤٧٦ ريالاً، وتدرس فيها العلوم الدينية من قراءة وتفسير وحديث وفقه وعقائد ودعوة، إلى جانب المواد اللغوية.

- إعادة بناء المدرسة الإسلامية في موستار بقيمة ٤ ملايين ريال، وتقع المدرسة وسط مدينة موستار، التي تتنافس فيها الثقافتان الإسلامية والغربية، وأسسها كوسكي محمد باشا في عام ١٩١٨م، وهي من أقدم المدارس الإسلامية في البوسنة والهرسك، ويدرس فيها القرآن الكريم واللغة العربية والعقائد والفقه والتاريخ الإسلامي واللغة البوسنية، واللغة الإنجليزية، والفيزياء والرياضيات واللياقة البدنية، والخط، والكيمياء، والجغرافيا والإعداد العسكري.



من مشروع الترجمة والطباعة

- ترميم الكلية الإسلامية بسراييفو بتكلفة قدرها ١٤٠ ألف ريال.

- ترميم مدرسة أبناء الشهداء في برتشكو ودور للأيتام.

- بناء المدرسة الإسلامية في ترافنيك بتكلفة قدرها ٦١٥ ألف ريال.

- افتتاح أكاديمية الأمير سلمان في بيهاتش:

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير سلمان هذه الأكاديمية في ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٤٢١هـ، وتقع على مساحة قدرها ١٠ آلاف متر مربع، وتكلفت ٨ ملايين ريال، ساهم البنك الإسلامي فيها بمبلغ مليوني ريال، وتضم الأكاديمية ٦ قاعات دراسية، وعدد طلابها أكثر من ٢٠٠ طالب وطالبة.

ومن مشروعات الإعمار الأخرى إنشاء دار الوالدين للأيتام على مساحة ٢٣ ألف متر مربع، وتضم مدرستين إحداهما ابتدائية والأخرى إعدادية، ويدرس فيهما ٥٠٠ طالب وطالبة، منهم ٢٥٠ طالب وطالبة بالقسم الداخلي، وتشتمل الدار على مصلى يتسع لألف مصل، وعيادة طبية متكاملة، وبلغت تكلفة إنشاء الدار اثنين وعشرين مليون ريال، وقام بتمويلها رجل الأعمال السعودي الشيخ حسين بكري قزاز، وقد افتتحها سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز في ١٥ سبتمبر/أيلول من العام الماضي، وأشاد بإسهامات رجال الأعمال السعوديين في دعم أعمال الخير.

وقد ساهمت الهيئة في إعادة التركيبة السكانية الأصلية لمدينة برتشكو التي شرد الصرب سكانها في محاولة لتغيير تركيبتها السكانية، وقدمت الهيئة مساعدة فورية لترميم ٣٠٠ بيت داخل المدينة، وشملت عمليات البناء والترميم ١٢٠٠ وحدة سكنية، منها ٣٨٥ وحدة عن طريق صندوق التنمية السعودي، كما أقامت الهيئة مسجدين ومدرسة ومستوصفاً، وبلغت تكلفة المشروع ٢٧ مليون ريال سعودي.

وقامت الهيئة - كذلك - بترميم ١٥ مسكناً للفقراء والمساكين من مسلمي جوراجدة بمبلغ ٦١٥ ألف ريال سعودي.

- مشروعات وبرامج مشتركة:

أولاً: مشروعات بالتعاون مع الصندوق السعودي للتنمية في البوسنة والهرسك:

في اجتماع للدول المانحة عقد في بروكسل في أبريل/نيسان عام ١٩٩٦م بادرت المملكة بتقديم ٥٠ مليون دولار، منها ٢٠ مليون دولار مساعدات لإصلاح بعض المساكن وتأهيلها، وبالفعل تمت إعادة إعمار ٢٢٧٥ وحدة سكنية في ١٣ منطقة، وقدمت ٣٠ مليون ريال لتنفيذ عدد من المشروعات والبرامج الإنمائية، منها مشروعات التعليم، وقد خصصت لها خمسة ملايين وثلاثمئة ألف دولار تم توجيهها لإعمار وترميم كلية الفلسفة، وثانوية إدارة الأعمال، وإحدى

عشرة مدرسة ثانوية وابتدائية موزعة في مختلف أنحاء البوسنة والهرسك.

وخصص لقطاع المياه ستة ملايين ومئة وستون ألف دولار، وتم حفر الآبار وتوريد المضخات والأنابيب اللازمة لتأمين مياه الشرب.

وتم تخصيص خمسة ملايين وسبعمئة ألف دولار لتمويل استكمال وحدة علاج السرطان، ونفذ من المشروع ٨٣٪، وتوفير معدات التعقيم والتطهير لوحدة التعقيم في المركز، ويشمل التأهيل تنفيذ أعمال مدنية لإكمال الواجهات والأسقف وتأهيل مركز القلب في المركز الطبي.

وقد دعم قطاع الثروة الحيوانية بمبلغ مليون دولار بهدف تنمية هذا القطاع الذي تضرر بالحرب، وتم استيراد نحو ٨٦٠



آلاف من الحجاج البوسنيين أدوا فريضة الحج ضيوفاً على خادم الحرمين الشريفين

بقرة، وقدمت على شكل قروض ميسرة لصغار المربين.

وخصص مبلغ خمسة ملايين دولار لبرنامج دعم المؤسسات الصغيرة الذي يقصد إلى توفير تسهيل خاص بتقديم الائتمان اللازم لدعم المؤسسات والشركات المتوسطة الصغيرة الحجم.

ووجه مبلغ أربعمئة ألف دولار لدعم مشروع إعادة تأهيل مصنع أولمب للملابس الجاهزة الذي تعرض لأضرار جسيمة خلال الحرب، ومن أجل زيادة طاقته الإنتاجية وتشغيل الأيدي العاملة.

وتم تخصيص مليوني دولار لإعادة إصلاح مبنى مصنع بوسناليك للأدوية الطبية، والقيام بعمل التشطيبات المعمارية والتركيبات الميكانيكية اللازمة لبدء العمل في المصنع وفق المعايير الدولية الضرورية.

ووجه مليون دولار لترميم المباني في مدينتي برتشكو وسانسكي موست.

وفي الاجتماع الثالث للدول المانحة لجمهورية البوسنة والهرسك الذي عقد في بروكسل خلال الفترة من ٢٢ - ٢٣ يوليو/تموز عام ١٩٩٧م جرى الإعلان عن التزام الصندوق بمبلغ ٢٥ مليون دولار.

ثانياً: مشروعات نفذتها الهيئة العليا بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية:

من هذه المشروعات ترميم ١٧ مدرسة ابتدائية ومتوسطة، وبناء ٥ مدارس، وترميم ثلاثة معاهد عليا.

ثالثاً: التعاون مع اليونسكو: تعاونت الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك مع منظمة اليونسكو في بناء ست مدارس وإعادة تأهيلها، وبناء منارة مسجد وترميم مسجد آخر في مدينة موستار.

ثالثاً: الدعوة والتعليم

اشتملت برامج التعليم والدعوة على عدد من الجهود التي تتكامل لتعميق صلة الشعب البوسني بأمته، وإبراز هويته الإسلامية، وبلغ إجمالي ما صرفته الهيئة على هذه البرامج ٥٥ مليوناً وأربعمئة وثلاثة وتسعين ألفاً وثلاثمئة وسبعة وأربعين ريالاً. ومن أهم هذه الجهود:

- برنامج دعم المدارس وكفالة المعلمين:

وضعت الهيئة نصب أعينها إقامة مدارس لخدمة أبناء اللاجئين والمهاجرين، وبلغ عدد المدارس التي أنشأتها ١٦ مدرسة في كرواتيا والنمسا وتركيا والمجر، يدرس فيها أكثر من ثلاثة آلاف طالب وطالبة، ووفرت الهيئة ٨٢ مدرساً، كما قامت بدعم المدارس في داخل البوسنة وترميمها، وتوفير احتياجاتها، ووفرت ٨٢٥ معلماً ومعلمة، وبلغت نفقات هذا البرنامج ثمانية ملايين ومئتين وواحداً وأربعين ألفاً وسبعمئة ريال.

- مساعدة الطلبة وتقديم المنح الدراسية:

يتضمن هذا البرنامج توفير مستلزمات للطلاب من كتب وأقلام وحقائب ورسوم دراسية، وبلغ إجمالي المساعدات سبعمئة وستين ألف ريال.

ووفرت الهيئة لخريجي الثانوية العامة ٤٠ منحة دراسية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، و٦٠ منحة بالجامعات الأردنية، وتم ابتعاث عدد آخر من الطلاب في جميع التخصصات. وتكلف تنفيذ هذا البرنامج ٥٤٠ ألف ريال، وفي مجال الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) تم تقديم

مساعدات طلابية تمثلت في توفير تكلفة المنح للدارسين، ومساعدتهم بشكل مباشر لإكمال دراستهم.

ـ برنامج كفالة الأئمة والدعاة:

كفلت الهيئة ١٣١ إمامًا وداعية للقيام بشؤون الدعوة وتبصير أبناء الشعب البوسني بأمور دينهم، وبلغ مجموع ما أنفق على هذا البرنامج مليونا ومئتين وخمسة وسبعين ألف ريال.



ناصر السعيد المشرف الإقليمي على مكاتب الهيئة العليا بأوربا

سعود الرشود مدير المكتب التنفيذي للهيئة العليا للبوسنة والهرسك

ـ حلقات القرآن الكريم:

افتتحت الهيئة حلقات لتحفيظ القرآن الكريم للبنين والبنات في جميع أنحاء البوسنة، واختارت معلمين للقيام بهذه المهمة. وبلغ عدد المستفيدين منها ٤ آلاف طالب وطالبة، وتكلف البرنامج ثلاثة ملايين وثلاثة وثمانين ألف ريال.

ـ الدورات الشرعية:

أقامت الهيئة نحو ١٣٠ دورة شرعية شملت مناهجها تدريس علوم العقيدة والحديث والفقه والتفسير، بالإضافة إلى تعليم اللغة العربية والحاسب الآلي، وبلغت تكاليف هذه الدورات مليونين وثمانمئة وستين ألف ريال.

ـ توزيع المصاحف:

قدمت الهيئة ٥٥٠ ألف نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة البوسنية هدية من حكومة خادم الحرمين الشريفين إلى مسلمي البوسنة والهرسك في داخل البوسنة وفي المراكز الثقافية خارجها.

ـ المخيمات التربوية والمسابقات الثقافية:

أقامت الهيئة عشرة مخيمات في البوسنة اشتملت على برامج ثقافية وتربوية، وبلغ عدد المستفيدين منها ٥٠٠ طالب من مختلف المراحل التعليمية، ونظمت الهيئة مسابقات ثقافية بهدف إشاعة التنافس الشريف ورفع المستوى الثقافي، وبلغ إجمالي ما أنفق على هذه البرامج ثمانمئة وواحدًا وسبعين ألفًا ومئتي ريال.

ـ المكتبات المركزية ومكتبة طالب العلم:

قامت الهيئة العليا بتأمين عشر مكتبات مركزية في المدارس الإسلامية بسراييفو وموستار وتوزلا وترافنيك، وفي المكتبة المركزية في سراييفو، وأكاديمية الأمير سلمان بن عبدالعزيز في (بيهاتش)، والكلية الإسلامية في سراييفو، ومركز خادم الحرمين الشريفين الثقافي بسراييفو، والمركز الثقافي في موستار، والكلية الإسلامية في زينتسا.

و تم تأمين ٣٠٠ مكتبة طالب علم وزعت على طلاب العلم والدعاة، وهي تحتوي على أمات الكتب والمراجع، إلى جانب مكتبات صغيرة مقروءة ومسموعة في المساجد وبعض المدارس وغيرها.

ـ برنامج ترجمة الكتب إلى اللغة البوسنية وطباعتها وتوزيعها:

قصد هذا البرنامج إلى نشر العقيدة الصحيحة، وإغناء المكتبة البوسنية بالعلوم الإسلامية، وتحذير المجتمع البوسني من خطر المذاهب والفرق الضالة، والاهتمام بنشر كتاب الطفل المسلم، وإيصال الكتاب الإسلامي إلى كل مكان في البوسنة.

ومن إنجازات هذا البرنامج:

ـ ترجمة أكثر من ٤٠ عنوانًا وطباعتها، وبلغ عدد النسخ المطبوعة أكثر من مليوني نسخة.

ـ ترجمة مختصر تفسير ابن كثير وطباعته في أربعة مجلدات، وطبع منه ألفا نسخة.

ـ ترجمة كتاب صحيح البخاري إلى اللغة البوسنية وطباعته.

ـ ترجمة مكتبة الأسرة البوسنية وطباعتها وإعدادها في علبة واحدة، وتشتمل على عشرين عنوانًا، بالإضافة إلى المصحف الشريف، وطبع منها ٤٠ ألف نسخة.

وأخيرًا.. هذه صورة موجزة لإنجازات الخير للهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك، ونترك للقارئ الكريم تخيل ما يتضمن كل إنجاز من هذه الإنجازات من تفاصيل دقيقة تتطلب البذل والجهد في سبيل أن تتكامل لتصبح واقعًا يمشي، وإنجازًا حيًا يحقق الغايات الإنسانية المنشودة منه.

المراجع

١. التقرير الختامي المعنون: الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك: جهود وإنجازات، المكتب التنفيذي، شوال ١٤٢١هـ.

٢. الأمير سلمان في سراييفو: إصدار توثيقي لزيارة سموه لجمهورية البوسنة والهرسك وافتتاحه مشروعات الهيئة، المكتب التنفيذي، جمادى الآخرة ١٤٢١هـ/سبتمبر ٢٠٠٠م.

٣. الفائزون بجائزة الملك فيصل العالمية سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية.

مشاهدات
من مشروعات الخير بالبوسنة

ربيع القمر الحاج
الرياض - السعودية

قبل ثمانية أشهر، وبالتحديد في جمادى الأولى، سجل سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز (رئيس الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك) زيارة تاريخية لجمهورية البوسنة والهرسك ظلت مدة طويلة حديث الصحافة ووسائل الإعلام البوسنية المختلفة هناك، فضلاً عن وسائل الإعلام الأخرى؛ ولا شك أن هذا الاهتمام الإعلامي الذي حظيت به تلك الزيارة ناتج مما لقيته من البوسنيين بخاصة، والبلقانيين بعامة، فقد خرج شعب البوسنة والهرسك بأكمله لاستقبال سموه الكريم، ولمشاهدة مشروعات الخير التي افتتحها آنذاك؛ وقد قدر الله تعالى لي أن أشهد تلك التظاهرة الثقافية والدعوية إبان تلك الزيارة التاريخية، ورأيت من واجبي أن أسهم بهذه الانطباعات، وبما شهدته من خير في تلك الأيام.

وقد قدرت وكالات الأنباء المختلفة أعداد البوسنيين الذين شهدوا افتتاح مشروع مركز خادم الحرمين الشريفين في ضاحية علي باشا في العاصمة البوسنية سراييفو بأكثر من أربعمئة ألف نسمة، بينما قدرها مراسلو الصحافة العربية بأكثر من ثلاثمئة وخمسين ألف نسمة؛ فسألت الأستاذ ميرزا خيريتش مستشار الرئيس البوسني على عزت بيجوفيتش عن مرئياته الخاصة عن هذه الزيارة، فذكر لي أن مسؤولين كباراً من بينهم رؤساء من مختلف الدول قد زاروا جمهورية البوسنة والهرسك، واحتفى بهم شعب البوسنة كعادته، إلا أنه لم يشهد خروجاً للعاصمة البوسنية سراييفو على النحو الذي حدث إبان الزيارة التي قام بها الأمير سلمان والوفد المرافق له.

بنى تحتية

و تأتي أهمية الزيارة كذلك من حيث إنها شهدت افتتاح سموه الكريم عدداً كبيراً من مشروعات الخير وتدشينها، والتي يعدّها الكثيرون بمنزلة بنى تحتية مهمة لمستقبل البلاد والعباد هناك.

فمشروع مركز خادم الحرمين الشريفين الذي تم افتتاحه يعدّ منارة هدى ومركز إشعاع حضاري بمنطقة البلقان كلها، فضلاً عن ذلك فإنه يعدّ ملتقىً فكرياً للمفكرين البوسنيين، وجسراً للتواصل مع الثقافة العربية والإسلامية؛ فالمركز بما يحتويه من قاعات لتعليم اللغة العربية، والحاسب الآلي، وقاعة للمحاضرات، ومعرض دائم، ومكتبة مركزية، وصالة رياضية إلى غيرها من المرافق المهمة، سيعين البوسنيين كثيراً على إقامة الدورات الإدارية والبرامج المهنية والتعليمية فضلاً عن إغناء المكتبة البوسنية بالكتب المهمة في التراث والثقافة والتعاليم الإسلامية والعربية، كما أنه سيعينهم على عقد الندوات والاجتماعات وحلقات المناقشة والمحاضرات والمنتديات المختلفة، كما يُرجى أن يعينهم كثيرا في إعداد البرامج المختلفة اللازمة لتأمين المساعدات الإنسانية

والتعليمية المختلفة وإيصالها إلى مستحقيها داخل البوسنة وخارجها.

أما أكاديمية الأمير سلمان في بيهاتش فإنها تعبّر تعبيراً عن الرغبة العميقة في الحفاظ على الهوية الإسلامية في المنطقة، والنهوض بها، بما حوته من أقسام مختلفة ومبنى واسع شُيِّد على أحسن الطرز المعمارية وأحدثها؛ بالإضافة إلى ذلك فإنها ستعمل على تأهيل المعلمين في المدارس الابتدائية والثانوية وإعدادهم، كما أنها ستعمل على دعم إقليم بيهاتش ومساعدته على التمسك بهويته الإسلامية، وذلك من خلال المساهمة التي ستقدمها هذه الأكاديمية في بناء أبناء المجتمع البوسني وتنويرهم؛ كما ستعمل على بسط العلم والثقافة الإسلامية وسط مجتمع إقليم بيهاتش من خلال المحاضرات والدروس التي يمكن أن تقدم في الكلية.

ومجمل القول: أن المشروعات التي تم افتتاحها والمنجزات التي حققتها الهيئة العليا لمصلحة المسلمين في البوسنة والهرسك، قد اتسمت بالتنوع والشمول، كما اتسمت بالكثرة والانتشار في كل مكان وبقعة؛ فمن حيث التنوع والشمول حققت الهيئة العليا برامج كبيرة في مجال توفير المواد الإغاثية حتى بلغت أعدادها أكثر من (١١٠) آلاف طن من مختلف المواد الإغاثية؛ ومن حيث العمل في المجال الصحي فقد تم صرف (٣٥) مليون ريال لتوفير المواد والأجهزة العلاجية المختلفة، وليس أدل على ذلك من توفير الهيئة لجهاز الأشعة المقطعية لمستشفى سانسكي موست، بالإضافة إلى افتتاح مركز الأمير سلمان لغسيل الكلى الذي دشنه سموه الكريم بنفسه إبان الزيارة التاريخية؛ فضلاً عن الجهود الأخرى التي بُذلت في المجالات التعليمية، وبرامج كفالة الأيتام التي توّجها الأمير سلمان بتدشين افتتاح دار الوالدين للأيتام في ضاحية دوبرينيا



جزء من مسجد خادم الحرمين الشريفين

في العاصمة البوسنية سراييفو؛ ولم تقف الجهود عند ذلك الحد، بل تم توفير البذور للمزارعين، وإدخال القوافل لأعماق المدن البوسنية مثل بيهاتش وتوزلا وموستار وغيرها من المدن إبان الحصار الذي كان مفروضاً عليها، كل ذلك ينهض دليلاً على تنوع برامج الهيئة العليا وشمول مشروعاتها.

أما مشروع تمديد خطوط السكة الحديدية من ميناء بلوتشا الكرواتي الذي يقع على البحر الأدرياتيكي إلى مدينة سراييفو مروراً بمدينة بلوتشا، فيعدّ بحق واحداً من المشروعات التنموية المهمة التي تستحق عليها الهيئة العليا التكريم والتقدير؛ كذلك فإن مشروع التدفئة الذي قامت به الهيئة العليا لتوفير آلاف الأطنان من زيت التدفئة والديزل والفحم الحجري والحطب وتمديد الغاز، يعدّ مشروعاً رائداً خصوصاً إبان شتاء البوسنة القارس.

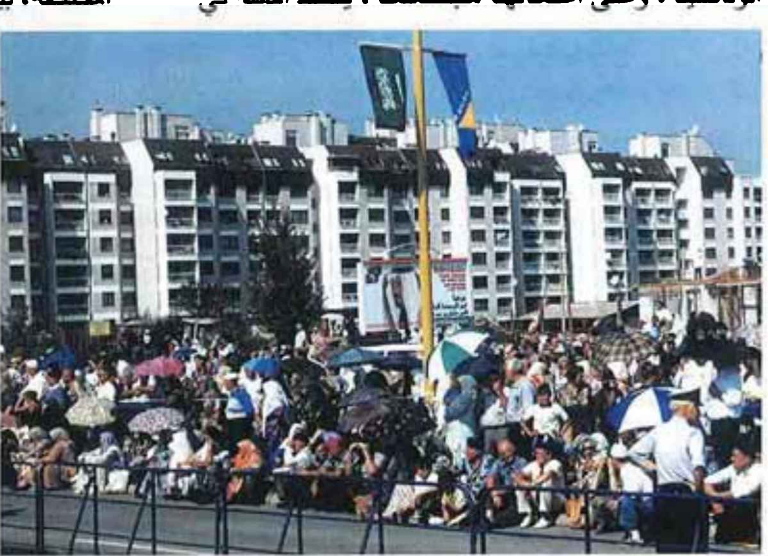
مراحل متقدمة

هكذا إذن سارت فعاليات تلك الزيارة التاريخية التي قام بها صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز لجمهورية البوسنة والهرسك، وهكذا سارت برامج الهيئة العليا في مجالاتها التنموية والحيوية والصحية والاجتماعية مستهدفة بناء الإنسان المسلم في البوسنة فرداً وبناءه في أسرته، وإبراز دور الأسرة في تكوين المجتمع المنتج المؤثر؛ وعندما يتفهم أفراد الأسرة دورهم في مجتمعهم تنهض الشعوب وتتجلى عطاءات التنمية، وهذا ما يسعد الإنسان المسلم أينما كان، إسهاماً في إغاثة الملهوف وبناء الشعوب، ومساعدتها في تحقيق السلم والعدل والاطمئنان، وهذا جزء يسير مما حققته الهيئة العليا التي تنطلق في أعمالها وبرامجها من رسالة

بلاد الحرمين الشريفين نحو المسلمين أينما كانوا.

ولئن بقيت ملاحظات مهمة حول هذه الزيارة التاريخية، وحول برامج الهيئة العليا ومشروعاتها التي استحقت بها هذا التكريم والاصطفاء بنيل جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لهذا الموسم، يمكن القول: إن الهيئة العليا برئاسة الأمير سلمان قد انتقلت بالعمل الإغاثي بعامة إلى مراحل متقدمة في مجال إدارة العمل الإغاثي.

فالمطلع على هيكلها الإداري، وعلى تقاريرها الوثائقية، وعلى أعمالها مجتمعة، يلحظ الدقة في التفصيل، والأرقام المهمة والبيانات الواضحة والحسابات الدقيقة، لتضاف بذلك هذه التجربة إلى سجل العمل الإغاثي الإسلامي بخاصة، والإنساني بعامة.



أكثر من ٣٠٠ ألف بوسني شهدوا افتتاح الأمير سلمان لمركز وجامع خادم الحرمين الشريفين في سراييفو

حضور واضح

كما حققت الهيئة العليا خطوات متقدمة في مجال العمل الإعلامي الذي لازم مسيرتها تبياناً لعمق المأساة التي تعرض لها البوسنيون، فقد سافرت الوفود الإعلامية في ظروف بالغة الخطورة، ووصلت إلى أعماق المدن البوسنية، وإلى قلب الأحداث، فصححت الكثير من المفاهيم المغلوطة، وبينت الكثير من الحقائق التي ظلت خافية أو مغيبة، مما ساهم في التعريف بقضية مسلمي البوسنة والهرسك في مختلف المحافل الإقليمية والعالمية؛ فضلاً عن ذلك فإنها قد أسست مراكز إعلامية في سراييفو وزغرب وموستار، وفي الرياض وجدة والباحة وغيرها من المراكز الإعلامية التي ظلت توفر المادة الإعلامية الحية للمهتمين والباحثين والدارسين وغيرهم، مما مكن الهيئة العليا أن تحقق سبقاً إعلامياً متقدماً ملحوظاً في هذا المجال.

وفي نظري أن من أهم ما لازم الهيئة العليا والذي استحقت عليه التكريم والاصطفاء أن حضورها ظل واضحاً في البوسنة إعماراً وبناءً وترميماً للمؤسسات المختلفة، بينما انسحب الكثير من المؤسسات الإغاثية من الميدان في وقت لا تزال البوسنة في حاجة إلى الإعمار والبناء والإنماء؛ فضلاً عن ذلك فإن الهيئة العليا قد انتهجت منهجاً حكيماً راقياً في التعامل مع مختلف المدارس الفكرية وطروحاتها داخل البوسنة، فلم تتدخل في شؤونها الخاصة كأن تفرض رأياً معيناً، ولم ترهن دعمها وبرامجها بشروط معينة؛ وفي نظري أن هذا المنهج الحكيم يعدّ نجاحاً كبيراً ودرساً مهماً يحتاج إليه العاملون في المؤسسات الإغاثية المختلفة.

وأخيراً: فإن احتفل البوسنيون قبل خمس سنوات بمرور (٤٥٠) عاماً على المراكز الحضارية العلمية التي أقامها العثمانيون في مختلف المدن البوسنية التي بقيت شاهداً على جهدهم في البلقان طوال هذه السنوات، فإن المشروعات التي دشنها صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز إبان زيارته الأخيرة، ومنها جامع ومركز خادم الحرمين الشريفين في سراييفو، ومسجد الأمير عبدالله في توزلا، والمدرسة الإسلامية في موستار، ومشروع غسيل الكلى ودار الوالدين للأيتام في ضاحية دوبرينيا في سراييفو، ومشروع تمديد خطوط السكك الحديدية، وأكاديمية الأمير سلمان في بيهاتش، ستبقى كلها مراكز إشعاع حضاري وتنموي وثقافي تشهد للسعوديين بهذا الدور التاريخي، وتبقى منارات حية وملاذات آمنة لشعب البوسنة والهرسك المسلم.

تمحيص نبوءات عام ٢٠٠٠م

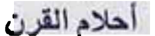
سمير صلاح الدين شعبان
حلب - سورية

في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وتحديداً في عام ١٨٨٧م قام الصحفي الأمريكي إدوارد بيلامي بنشر كتابه، الذي تصدّر لائحة المبيعات: «النظر إلى الوراء ٢٠٠٠ - ١٨٨٧»(١)، والذي تخيل فيه الولايات المتحدة الأمريكية في عام ٢٠٠٠م، على النحو الآتي:

الرجال والنساء يعملون جنبًا إلى جنب على قدم المساواة. وعلى شعورهم بالاطمئنان والارتياح في وظائفهم فإنهم يتوقفون عن العمل في سن ٤٥. لدى كل إنسان من المال ما يكفي لشراء الجيد من الطعام واللباس، إضافة إلى إشباع الحاجات الأخرى بما فيها الناشز منها. المجتمع يعيش حالة من الرفاه الزائد والوفرة. الآلات تتكفل بجميع الأعمال في المصانع والمنازل. الكهرباء تؤمّن التدفئة والإنارة. وفي مقدور كل إنسان الانتقال السريع والمريح بشبكة كثيفة من الحافلات الكهربائية، التي تتردد على كل موقف خلال مدة قصيرة لا تزيد على الدقيقتين. لا وجود في هذا المجتمع لأي شكل من أشكال الملكية الفردية، فالدولة تسيّر سائر أمور الصناعة والتجارة. كل إنسان رب عمل وعامل في الوقت ذاته. لا يتعرض أي إنسان لأي شكل من أشكال الغبن بسبب الجنس أو لون البشرة. التضامن والإخاء هما أهم المثل العليا للمجتمع.


إدوارد بيلامي


جول فيرن



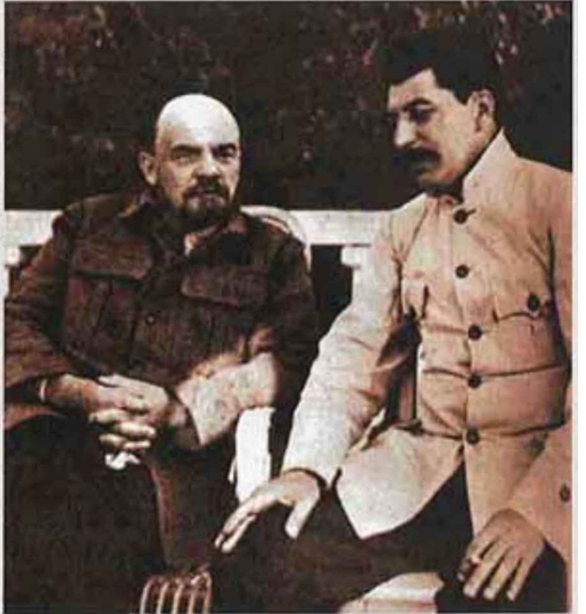
رسم بيلامي «حلمه» بمجتمع يعم فيه العدل، ومثالي لا مكان فيه لأي عوز. وقتها فسّر بعض المفكرين الغربيين الإقبال الجماهيري الواسع على كتاب بيلامي هذا، بأنه أشبه «بالوعد» بالخلاص من الوضع المزري الذي كان يعيشه البشر في أمريكا وأوربا في أواخر القرن التاسع عشر؛ إذ أدى اندلاع الثورة الصناعية الأولى (التي أحلّت الآلة محل الجهد العضلي للإنسان) في النصف الأول من القرن التاسع عشر إلى تغييرات اجتماعية جذرية أذهلت الأفراد في كل من أمريكا وأوربا.. ففي المصانع بدأت الآلة تحل شيئًا فشيئًا محل الإنسان في عملية الإنتاج، وأدى تسخير قوة البخار إلى تسريع إيقاع الحياة عمومًا تسريعًا ملموساً.

وبالمقابل تزايدت أعداد العاطلين عن العمل والمتسكعين في أزقة المدن. وحتى سعيد الحظ، الذي نجح في الحصول على وظيفة لم يكن يحصل إلا على أجر بخس لا يكاد يكفي إلا لإنقاذه من الموت جوعاً وحسب. خلافًا لذلك علت البسمة وجوه أصحاب المصانع وهم ينظرون إلى تنامي ثرواتهم بوتائر متصاعدة ما كانت لتخطر على قلب بشر. وبذا انشطر المجتمع الغربي إلى طائفتين:

قلّة تمتلك مالاً كثيراً، وكثرة تمتلك مالاً قليلاً، بصورة أدت إلى إشعال فتيل ما أسماه بعضهم «المشكلة الاجتماعية».

ولم يكن هذا الظلم الاجتماعي السبب الوحيد لزلزلة دعائم الإيمان بالتقدم والرأسمالية، إذ أدى إقبال المصارف على منح القروض دون ضمانات كافية، إضافة إلى المضاربات في أسواق الأوراق المالية (البورصات) إلى انهيار النظام المالي العالمي، مما أدى إلى خسارة الكثيرين من المضاربين في أسواق الأوراق المالية كامل ثرواتهم، وتعرضهم للإفلاس بين عشية وضحاها.

وبذلك شهدت العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر في الغرب تلاشي الشعور بالأمان والاطمئنان، ليحل محله تفشي الخوف والتوجس، من المستقبل، مما أدى إلى توفير التربة المناسبة لازدهار الأدب التنبّئي، الذي حاول تقديم إجابات عن أسئلة تلح على أذهان معظم المواطنين في دول الغرب، ولعل من أهمها:



ستالين ولينين

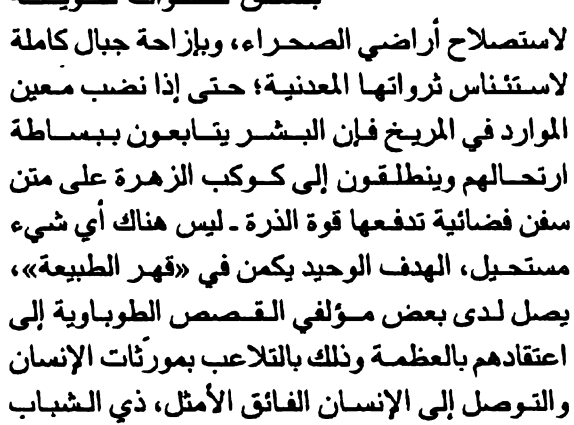
- كيف نتمكن من كبح جماح الشبح المخيف للرأسمالية؟

- كيف نتعامل مع التقانة/التكنولوجيا، التي تتطور بسرعة مذهلة؟

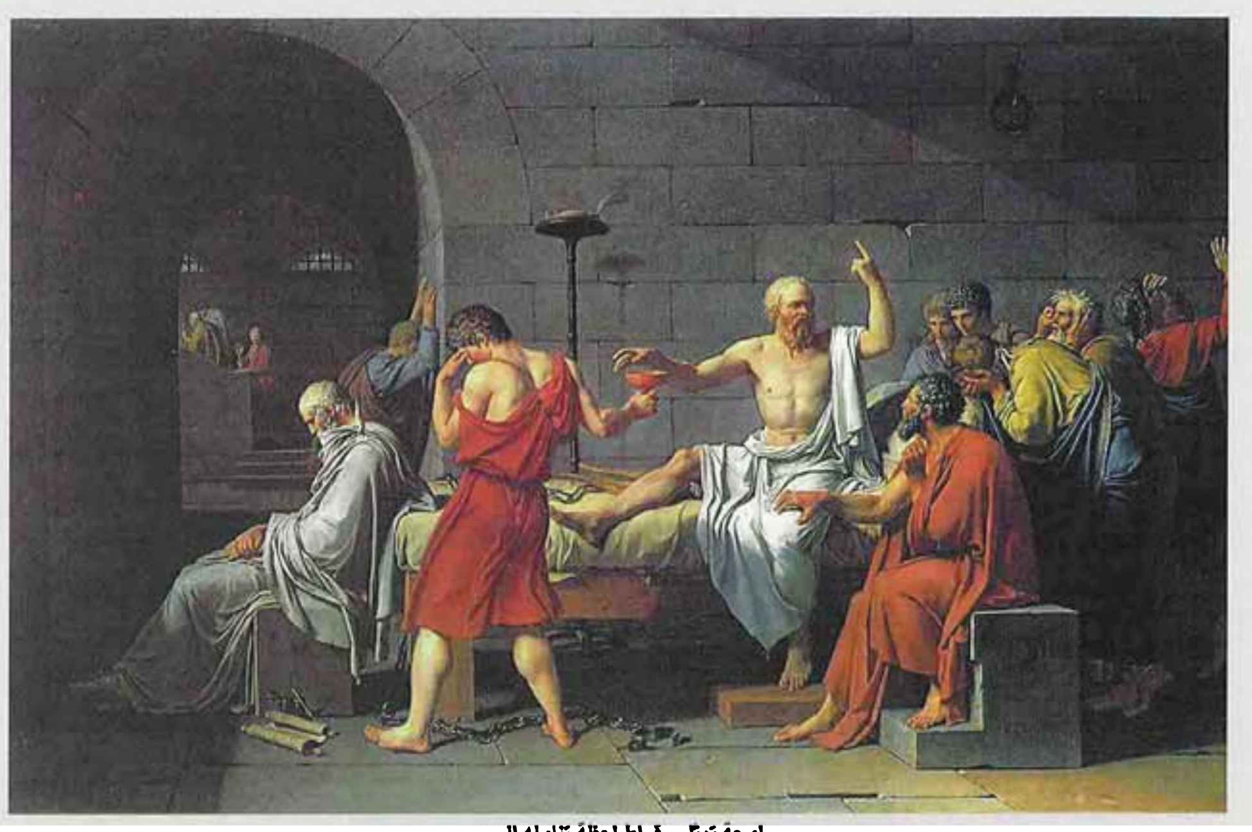
تمخضت هذه المحاولات عن باقة واسعة ومنوعة من الرؤى والنبوءات الطوباوية الاجتماعية التي يتلاشى فيها شبح الظلم الاجتماعي للرأسمالية. ومما يلفت النظر في تلك الحقبة الزمانية أن «القصة» كانت الأسلوب الوحيد تقريباً للتصدي للواقع الراهن، ولرسم ملامح المجتمع المثالي في عالم الغد، الذي تؤدي فيه التقانة/التكنولوجيا وعلوم الطبيعة دوراً حاسماً. ويمكن القول بأن الشعار المميز لتلك الحقبة هو عدم وجود أي شيء مستحيل تعجز علوم الطبيعة والتقانة عن تحقيقه واستوى في ذلك العلماء والأدباء.

وشمل ذلك تخيل تحليق السفن الفضائية إلى القمر، وتوغّل الغواصات إلى أعمق نقطة في قاع البحر - ببساطة ليس هناك أي شيء مستحيل في الموجة الجديدة من قصص الخيال العلمي. ولعل أشهر المؤلفين في هذا المجال الكاتب الفرنسي الشهير جول فيرن الذي أعلن بأن قصده من تأليف قصص المغامرات يكمن في الترفيه والتسلية.

قهر الطبيعة



خلافاً لذلك سعى الفيلسوف الروسي ألكسندر بوغدانوف إلى إرساء قواعد الآفاق المستقبلية للجنس البشري. ففي قصته «الكوكب الأحمر»(٢)، التي ظهرت في السنوات الأولى من القرن العشرين، وصف بوغدانوف استيطان الكوكب الأحمر، المريخ: وهنا يقوم البشر الواصلون من الأرض بشق قنوات طويلة لاستصلاح أراضي الصحراء، وبإزاحة جبال كاملة لاستئناس ثرواتها المعدنية؛ حتى إذا نضب معين الموارد في المريخ فإن البشر يتابعون ببساطة ارتحالهم وينطلقون إلى كوكب الزهرة على متن سفن فضائية تدفعها قوة الذرة - ليس هناك أي شيء مستحيل، الهدف الوحيد يكمن في «قهر الطبيعة»، يصل لدى بعض مؤلفي القصص الطوباوية إلى اعتقادهم بالعظمة وذلك بالتلاعب بمورّثات الإنسان والتوصل إلى الإنسان الفائق الأمثل، ذي الشباب



لوحة تمثل سقراط لحظة تناوله السم

الدائم، والذي تتم صياغة مورّثاته بشكل يضمن صياغة شخصيته ومواهبه بصورة تتلاءم مع احتياجات المجتمع المثالي وتطلعاته.

وشذَّ عن مؤلفي القصص الطوباوية كارل ماركس، الذي استعاض عن الخيال المحض بإرساء دعائم «عقيدة كاملة» تنطلق من فلسفة جديدة: المادية الجدلية، التي زعم شريكه فريدريش إنجلز أنها تسري على الطبيعة والتفكير البشري والمجتمعات، ومن تطبيق هذه الفلسفة على التاريخ البشري ككل (المادية التاريخية)، وعلى النظام الاقتصادي الرأسمالي (الاقتصاد السياسي)، للتوصل إلى «الحتمية التاريخية» لانهيار علاقات الإنتاج الرأسمالية ونشوء علاقات الإنتاج الشيوعية على أنقاضها (الشيوعية العلمية).

وبذلك تحول كتاب كارل ماركس الشهير «رأس المال»(٣) فور نشره في العام ١٨٦٧م إلى برنامج عمل للمسحوقين في النظام الرأسمالي، الذين لا غنى لهم عن الثورة؛ لأن الشيء الوحيد الذي قد يخسرونه نتيجة الثورة لا يربو عن قيودهم وحسب - وفق تعبير ماركس. ومن هذا المنطلق أسس كارل ماركس مع فريدريش إنجلز حزباً سياسياً (الحزب الشيوعي) حضّ الطبقة العاملة خصوصاً (والطبقة الكادحة/البروليتاريا عموماً) على الكفاح والثورة للقضاء على سلطة الدولة: ذلك الجهاز الذي مثّل على مر العصور أداة القمع في يد الطبقة الحاكمة، المالكة لوسائل الإنتاج؛ وتمّ بذلك إرساء دعائم المجتمع الشيوعي، الذي تختفي منه الطبقات - ومن ثم الدولة - تسعى فيه الطبقة العاملة إلى تحسين ظروف معيشتها من منطلق: «من كلٍ حسب مقدرته ولكلٍ حسب حاجته».

الأرض الحرة

إلا أن كثيراً من المفكرين رفض هذه العقيدة

الجديدة جملة وتفصيلاً، منهم على سبيل المثال السياسي الألماني تيودور هيرتسكا، الذي قال في روايته «الأرض الحرة»(٤) في عام ١٨٩٠م بأن السعي إلى التوصل إلى المساواة المطلقة ليس أكثر من «هلوسات شيوعية حرضتها حمى الجوع». وعوضاً عن ذلك راهن على «الفردية»، مؤكداً أن «البشر ليسوا متماثلين لا في مقدراتهم ولا في احتياجاتهم»، وأضاف هيرتسكا أن الفردية تضمن لكل إنسان «الاستمتاع غير المحدود بنتاج عمله»، وأنها الصيغة الوحيدة «لضمان استمرارية المجتمع البشري في القرن العشرين»؛ لأنها تمثل الطريقة الوحيدة لجعل كل إنسان مضطراً للشعور بالمسؤولية: إذ لو أضحت الدولة المالك الوحيد لثمار الإنتاج لأدى ذلك بالضرورة إلى تدمير سائر أشكال الشعور بالمسؤولية الذاتية للفرد - حسب قول هيرتسكا، الذي تناسى أن الفردية هي الدعامة الرئيسة للرأسمالية التي يتذمر الأفراد من تبعاتها.



كارل ماركس

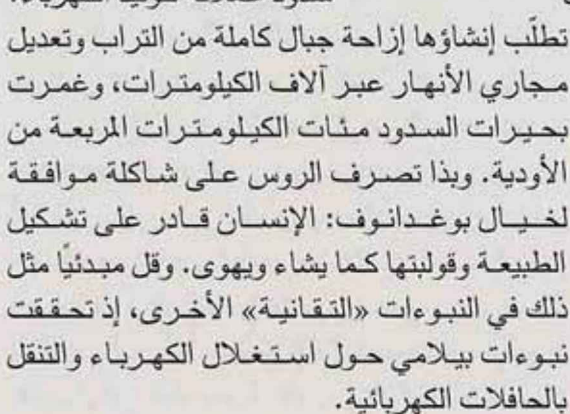
ومهما يكن من أمر فقد أثار الأدب التنبئي والطوباوي موجة من الأحلام الوردية والمخملية التي انقلبت إلى موجة من الاكتئاب والتشاؤم في النصف الأول من القرن العشرين: حربان عالميتان تفصل بينهما مدة قصيرة، والأنظمة الفاشية في أوربا زلزلت دعائم الإيمان بالإنسان الجيد من حيث المبدأ. كما فضح الجنون العرقي، والذي بلغ أوجه في ألمانيا الهتلرية النازية، النتائج الوخيمة الممكنة للتلاعب بمورّثات البشر، سعياً للتوصل إلى الإنسان الفائق والخارق.

وبذا سُلبت المجتمعات الطوباوية الحلم من «اشتراكيتها الجيدة»، وتلاشى التفاؤل بسيطرة الإنسان على الطبيعة ليحل محله في عالم الواقع خضوع الإنسان ذاته لسيطرة التقانة/التكنولوجيا؛ التي أضحت كائناً مستقلاً يتطور حسب قوانينه الخاصة به على شاكلة تجبر الإنسان على اللهاث وراءه؛ كما رسم ذلك ألدوس هَكسلي في عام ١٩٣٢م في كتابه «عالم جديد شجاع»(٥)، وكما رسم جورج أورول في عام ١٩٤٩م في كتابه «١٩٨٤»(٦) نتائج السيطرة الحكومية والقضاء على الفردية في المجتمع.

أين الأحلام؟

فهل ذهبت جميع النبوءات أدراج رياح القرن العشرين، ولم يتحقق منها أي شيء؟

لا. فقد شكلت أفكار ماركس وإنجلز المنطلق العقائدي لتأسيس الاتحاد السوفييتي في عام ١٩١٧م، والذي قام فعلاً بتحقيق طائفة من المشاريع التي تخيلها بوغدانوف، إذ قام الروس - تحت قيادة ستالين - ببناء سدود عملاقة لتوليد الكهرباء؛ تطلّب إنشاؤها إزاحة جبال كاملة من التراب وتعديل مجاري الأنهار عبر آلاف الكيلومترات، وغمرت بحيرات السدود مئات الكيلومترات المربعة من الأودية. وبذا تصرف الروس على شاكلة موافقة لخيال بوغدانوف: الإنسان قادر على تشكيل الطبيعة وقولبتها كما يشاء ويهوى. وقل مبدئياً مثل ذلك في النبوءات «التقانية» الأخرى، إذ تحققت نبوءات بيلامي حول استغلال الكهرباء والتنقل بالحافلات الكهربائية.



بيد أن التقدم التقاني لم يجلب معه للبشرية الخير وحسب، إذ لم يسمح اكتشاف الانشطار النووي بالاستخدام السلمي للطاقة النووية، بل فتح الباب كذلك لإنتاج الأسلحة النووية، التي دمرت فعلياً

مدينتين يابانيتين في غضون أربعة أيام، كما أن تطوير السيارات والطائرات لم يرفع قابلية الحركة لدى البشر وحسب، بل ساهم كذلك في إطلاق المزيد من الملوثات في الجو، والتي أدت إلى ظاهرة الاحتباس الحراري (فعل الدفيئة)، الذي يرفع درجة حرارة جو كوكبنا الأرضي دون هوادة.

ويتفاقم فعل الدفيئة هذا بالرغبة الجامحة في «قهر الطبيعة» باستئصال المزيد من الغابات، التي تمتص جزءاً لا يُستهان به من غازات الدفيئة. والنتيجة هي الأزمة البيئية الكوكبية.

كن طيباً مع الطبيعة!!

لذلك تحول منحى تفكير الطوباويين التقانيين في العقود الماضية نحو المصالحة مع الطبيعة، ووضعها في رأس سلم الأولويات وهذا ما عبر عنه هكسلي في عام ١٩٦٢م في كتابه «الجزيرة»(٧) حينما قال: «كن طيباً (جيداً) مع الطبيعة تكن طيبة معك». إلا أن تواضع ما تحقق دفع بعض المؤلفين الطوباويين إلى التبشير بالثورة البيئية تحت اسم «الثورة الثالثة» لكون الزراعة هي الثورة الأولى في تاريخ الجنس البشري، والصناعة هي الثورة الثانية.

ومع الأسف لا بدّ لنا أن نأخذ هذه الأمنية معنا إلى القرن الحادي والعشرين. وقل مثل ذلك في الأمنية التي أجمع عليها سائر المتنبئين الطوباويين: الحلم بالسلام والتعايش السلمي بين سائر البشر.

وهذا ما عبرت عنه حاملة جائزة نوبل للسلام بيرتا فون زوتنر، حينما تنبأت في عام ١٨٩٩م، بأن القرن العشرين لن ينتهي قبل قيام المجتمع البشري باستئصال الحرب بصفتها أداة مشروعة لتحقيق أهداف سياسية.

ازداد الحلم بزوال «الظلم الاجتماعي» حينما قامت الثورة البلشفية بقيادة فلاديمير إيليتش لينين بتأسيس أول مجتمع اشتراكي في العالم في روسيا التي تحولت مع الدويلات التي أخضعتها لسيطرتها إلى ما يسمى بالاتحاد السوفييتي.

بيد أننا نعرف الآن أن الاشتراكية المعيشة قد أخفقت، عملياً، إخفاقاً يحلو لعدد من المفكرين الغربيين رده إلى الأسباب التي سبق لهيرتسكا الإشارة إليها؛ بأن «التماثل والقضاء على الملكية الفردية لا بد أن يؤديا إلى إضعاف الإنتاجية وزيادة الشعور بالشقاء». ولم يشأ هؤلاء المفكرون الإقرار بأن انتكاس الاشتراكية: أحدث النظم الاقتصادية في الغرب المادي، وعودتها إلى الرأسمالية، التي حرضت ويلاتها - أصلاً - على الحلم بالقضاء على الظلم الاجتماعي، يمثل طعنة في الصميم للإيمان «بالتقدم»، بمعنى أن كل جديد أفضل مما سبقه مهما كان، والذي نجح الفكر الغربي في فرضه - إلى حد بعيد - على مواطنيه أولاً وعلى شعوب المستعمرات أخيراً، أو ما يسمى في يومنا هذا بالعالم الثالث.


انجلز

فهل انقلب هذا الشعور بالشقاء إلى شعور بالسعادة والاطمئنان حينما ارتدت القوة العظمى الثانية في العالم - روسيا - إلى الرأسمالية، وأضحت تستجدي «المعونات الإنسانية» لإشباع جوع مواطنيها؟

تخيّل بيلامي وغيره أن الخلاص من ويلات «الفردية» المطلقة في أواخر القرن التاسع عشر يكمن في نقيضها: «الملكية الجماعية». وحينما تحقق ذلك فعلياً في القرن العشرين ارتدت الملكية الجماعية مرة أخرى إلى «المستنقع» الذي حاولت الهرب منه. فأين المفر؟

لا تناقض!!

والحل ببساطة في التوقف عن النظرة المتطرفة التي تضع الجماعية والفردية على طرفي نقيض، نظرة تضمن للفرد المجدّ الاستمتاع بثمار عمله دون

أن يكون ذلك على حساب المجتمع، الذي تشكل استمراريته شرطًا لاستمرارية الفرد.

وأسارع هنا إلى لفت النظر إلى أن هذا الحل ليس حلمًا جديدًا يضاف إلى أحلام المتنبئين الطوباويين، بل هو واقع معيش منذ نحو ١٤٠٠ سنة دون انقطاع، ضمن استمرارية المجتمع الإسلامي - على معاناته من عدد من الأمراض المزمنة - حتى يومنا هذا. ولم يتطلب التوصل إلى إنسان تتوازن لديه النزعتان الفردية والجماعية التلاعب بمورثاته، بل الاستجابة - قدر المستطاع - لتربية خالق العباد، الأعلم بطبائعهم، ضمن منهاج وشريعة متكاملين لتصريف سائر شؤون الحياة، يؤمنان لمن يتقيد بهما - ضمن أشياء أخرى - توازنًا بين الجوانب التي يراها كثير من الأفراد والقوانين الوضعية «متناقضات» مثل: الفردية والجماعية، والروح والجسد.. وغيرها.



ألدوس هكسلي

ولعل النقطة الأخيرة تفسر تزايد إقبال «الأفراد» في الغرب - الذي يعاني من الخواء الروحي - على الإسلام، الذي أضحى - على سبيل المثال - أسرع الأديان انتشارًا في الولايات المتحدة الأمريكية التي بلغ تعداد المسلمين فيها ٦ - ٨ ملايين. فلماذا لا تحذو الحكومات الغربية حذو الأفراد الغربيين؟

من أهم الأسباب - حسب اعتقادي المتواضع:

- الإيمان المطلق «بالتقدم» وبأن عجلة الزمن لا ترجع إلى الوراء.

- الإنكاء المتواصل للذاكرة الصليبية الطويلة، ولا سيما بعد إنشاء الموقع الغربي المتقدم أو «القفاز» في فلسطين المحتلة، والتذرع بمكافحة الإرهاب لشن حرب باردة جديدة يحل فيها الإسلام محل الاتحاد السوفييتي السابق.

- انبهار شرائح كبيرة من مفكري بلاد الإسلام بالغرب بعد بدء الاحتكاك في القرن التاسع عشر، وترويج هذا الانبهار بطرح الشعار بأن السبيل الوحيد «للتقدم» يكمن في التقليد الشامل والحرفي للغرب بعجره وبجره. وهذا يذكر بموقف فرعون وملئه من دعوة موسى وهارون عليهما السلام في قوله تعالى: *أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون*. المؤمنون:٤٧.

إلا أن بلاد الإسلام بدأت تصحو في القرن العشرين من هذا الانبهار، ولاسيما بعد إخفاق تجارب تقليد أنظمة الحكم الغربية، صحوة لم تكتف بالتشكيك بمبدأ الاستيراد وحسب، بل تعدته إلى وضع تصورات متكاملة للنظام الاقتصادي الإسلامي، والبدء بترجمة ذلك إلى واقع في مسألة تعد من دعامات النظام الاقتصادي الغربي: الربا، بتأسيس عدد متزايد من البنوك الإسلامية غير الربوية حتى في دول الغرب ذاتها.

وهذا يضع المسلمين أمام مسؤولياتهم التاريخية في القرن الحادي والعشرين، بضرورة المثابرة على نفض غبار الانبهار والضعف عن كواهلهم؛ كي يقدموا للعالم كله الشريعة التي تحقق جميع ما يصبو إليه البشر دون إفراط أو تفريط.

فهل يقبل المسلمون هذا التحدي، ويجعلون من القرن الحادي والعشرين قرنًا إسلاميًا؟.

المراجع

1 -Edward Bellamy. Looking Backward 2000 - 1887 (1887).
2- Alexander Bogdanow. Der Rote Planet.
3- Karl Marx. Kapital (1867).
4- Theodor Hertzka. Freiland (1890).
5- Aldos Huxeley. Brave New World (1932).
6- George Orwell. 1984 (1949).
7- Aldos Huxeley. Island (1962).
- Michael A. Arbib. Computers And The Cybernetic Society (1984).
- Frederic Vester. Neuland Des Denkens (1980).
- Karl Marx/ Friedrich Engels. Aus 6 Ewaehlte Werke (1968).

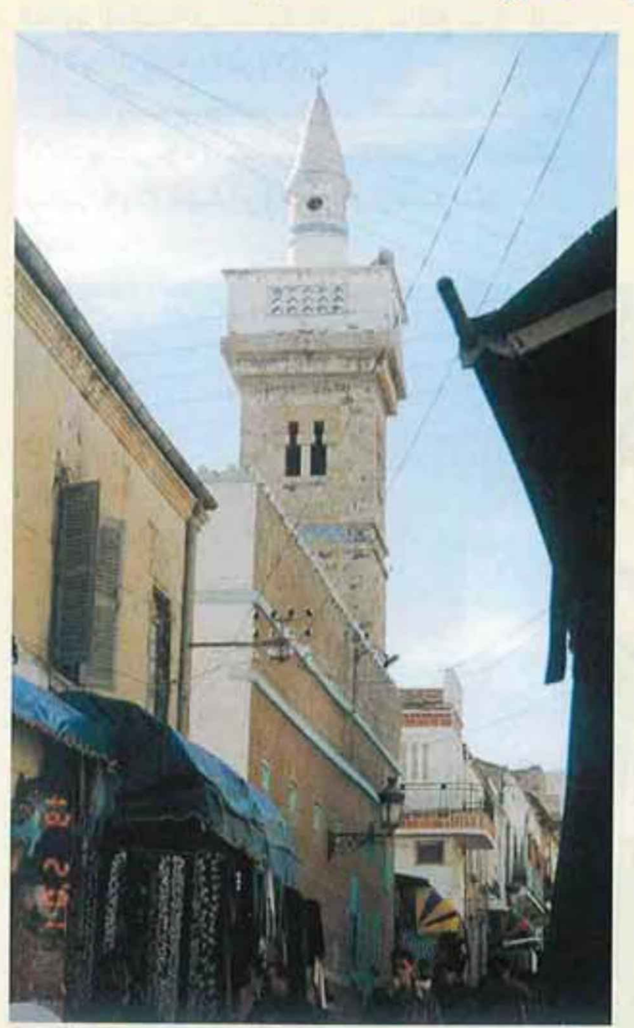


تَبسَّة
بوابة الشرق وأريج الحضارات

أحمد عيساوي ـ مها عيساوي
تبسة ـ الجزائر

تقع مدينة تبسّة في الشمال الشرقي للقطر الجزائري في سفح منطقة تضاريسية جبلية وعرة، عالية القمم أحيانًا، ومتوسطة الارتفاع في بعض المناطق. يبلغ متوسط ارتفاع جبالها نحو ١٢٨٦م فوق سطح البحر(١).

وهي تنتمي جغرافيًا إلى الإقليم القاري المتميز بحرارته الشديدة صيفًا، وببرودته الشديدة شتاء، كما تُعرف بقساوتها المناخية والجوية الطبيعية، وبهوائها الجاف جدًا. وهي تدخل ضمن نطاق المناطق السهبية، وتشتهر بالرعي وبالزراعات البعلية. كما تشتهر بالصناعات التقليدية المرتبطة أساسًا بالماشية ومنتجاتها الصوفية.



الجامع العتيق، وتبدو مئذنته العثمانية، وهو أقدم مسجد جامع بُني على أنقاض دار الإمارة الرومانية. وقد جدد بناءه والي قسنطينة صالح باي عام ١٧٩٨م، كما تدل على ذلك لوحته الرخامية

وقد شهدت - بفعل الاستغلال السيّئ للموارد الغابية والنباتية والحيوانية - حديثًا انكشاف طبقة الغطاء النباتي والغابي عنها، وقلة مردودها الزراعي والحيواني.

وهي تقع بين خطي عرض ٣٠ - ٣٢ شمالاً، وخط طول ٥٤، ٥، في حمى جبل (الدكان) السامق الشهير، وهو أحد فروع سلسلة جبال الأوراس الشاهقة(٢).

يحدها شمالاً مدينة سوق أهراس، وجنوباً مدينة وادي سوف، ومن الجنوب الغربي مدينة خنشلة، ومن الشمال الغربي مدينة عين البيضاء، ويحدها شرقًا الحدود التونسية في شريط حدودي يقاطع شرق المدينة والولاية طوله ٣٠٠كم (٣).

وقد وصفها صاحب كتاب «عيون الاستبصار»(٤)، كما وصفها الكثير من الرحالين، ومنهم ياقوت الحموي(٥)، فقال واصفًا المدينة كما رآها:

«وهي مدينة قديمة أزلية، فيها آثار كثيرة للأول، عجيبة، ما بإفريقية بعد قرطاجنة أعظم منها. فيها دار ملعب قد تهدم أكثره، أغرب ما يكون من البناء، وفيها هيكل يظن الرائي أنه كلما رفع اليد عنه ما يكاد يعرف الفرق بين أحجاره، ولو غرست الإبرة بين حجرين من أحجاره ما وجدت منفذًا، وفي داخله أقباء معقودة بعضها فوق بعض، وبيوت تحت الأرض، وأزاج كثيرة لها منظر هائل.. والمسكون اليوم من تبسّة إنما هو قصرها، وعليه سور من الحجر جليل متقن العمل، كأنما فرغ منه بالأمس، وهو حصن عظيم، وفي مدينة تبسّة قباء تدخلها الرفاق بدوابهم في أيام الشتاء، يسع القبو منها ألفي دابة وأكثر. وبقرب تبسّة واد يعرف بوادي ملان، ولمدينة تبسّة بساتين كثيرة وفواكه عجيبة، ويجود فيها الجوز حتى يضرب به المثل في إفريقية»(٦).



معبد ميترف الوثني، يقع أمام المدخل الرئيس الشمالي للمدينة بالقرب من بوابة النصر (باب كركلا)

ويصل عدد سكانها اليوم إلى نحو مليوني نسمة ونصف المليون، بعد أن كاد تعدادهم حسب إحصاءات عام ١٩٨٧م نحو مليون نسمة ونصف المليون(٧).

ويسكن ولاية تبسَّة منذ الفتح الإسلامي القبائل البربرية المستعربة المعروفة بـ (النَمَامشَة)، بالإضافة إلى القبائل العربية التي سكنتها بعد موجات الهجرات العربية إليها، ولا سيما بعد هجرة الهلاليين من بني سليم، وهلال بن عامر، وقيس عيلان في منتصف القرن الخامس الهجري(٨).

وتعد قبيلة النمامشة البربرية المستعربة التي سكنت المنطقة أكبر قبيلة تهيمن على المنطقة منذ العهود الرومانية القديمة إلى اليوم، ويجاورها إلى اليوم عدد من القبائل العربية(٩).ويتوزع الهيكل القبلي لأعراش منطقة تبسة حسب التقسيم الآتي:

- **قبيلة النمامشة**: وتقسم قسمين: العلاونة وهم سكان الأعالي، وأخذوا تسميتهم العلاونة من سكنى أعالي الجبل، والبرارشة وهم سكان مناطق السهول والبراري المنخفضة، وأخذوا تسميتهم البرارشة من سكنى البراري.
- **قبيلة أولاد سيدي يحيى بن يعقوب بن طالب العربية**: وهم يسكنون في الشمال الشرقي من مدينة تبسَّة، ويرجعون إلى الأصول العربية المهاجرة إلى المنطقة، وبها عدد وافر من العشائر والبطون(١٠).
- **قبيلة أولاد سيدي عُبيد العربية**: وهم عشيرة عربية الأصل كبيرة العدد، كثيرة الفروع، تسكن جنوب المنطقة، ويجاورها قبيلة أولاد سيدي عبدالمالك العربية أيضًا.
- **قبائل أخرى**: كما توجد بمنطقة تبسَّة قبائل أخرى صغيرة العدد، لا تحتل مساحة جغرافية كبيرة، ومن أشهرها: أولاد درّاج العربية الهلالية، وأولاد ملول البربرية، والزغالمة، والفراشيش(١١).

تَبِسَّة

[تَبِسَّة - بالفتح ثم بالكسر وتشديد السين المهملة - بلد مشهور من أرض إفريقية، بينه وبين قفصَة ست مراحل في قفر سَبِيبة، وهو بلد قديم به آثار الملوك، وقد خرب الآن أكثرها، ولم يبق بها إلا مواضع يسكنها الصعاليك لحب الوطن، لأن خيرها قليل، وبينها وبين سَطِيف ست مراحل في بادية تسكنها العرب، يُعمَل بها بسط جليلة محكمة النسيج، يقيم البساط منها مدة طويلة].

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٣.



جانب من باب كركلا الأيمن

أصل التسمية

ترجع تسمية «تَبسَّة» إلى الأصل البربري الأول الذي أطلقه عليها سكانها الأصليون، والذي يُعتقد - حسب الترجمة اللوبية القديمة - أنها هي «اللبوأة»، ولما دخلها القائد الإغريقي «هر كيليس» شبهها لكثرة خيراتها بمدينة «تيبيس»الفرعونية، المعروفة اليوم بـ «طيبة» أو «طابة» الفرعونية، ثم حرَّف الرومان



ما تبقى من الكوليزيوم (مسرح تبسة الأثري) وهو يقع شرق المدينة على طريق قفصة الرومانية

اسمها إلى «تيفيسيتيس» لسهولة نطقها، ومنذ ذلك العهد اختصرت الزيادة منها وصارت تعرف بـ «تيفيست»، وصارت تعرف بُعيد الفتح الإسلامي في القرن الثامن الميلادي، وبعد تصحيف الفاتحين الأوائل لاسمها - كعادتهم اللغوية مع الأسماء الأعجمية - باسم «تبِسَّة»، وظلت هذه التسمية ملازمة لها إلى اليوم(١٢).

وتُعد مدينة تبسَّة الرومانية أول مدينة رومانية تجاورها أول مدينة إسلامية في المغرب الإسلامي عامة، وفي الجزائر خاصة، فبعد إنشاء المسلمين لمدينة القيروان، نجدهم قد أنشؤوا أول مدينة إسلامية مجاورة للمدينة الرومانية المحصَّنة بالسور العالي، مصحِّفين اسمها من مدينة «تيفستا» إلى «تبسة» (١٣).

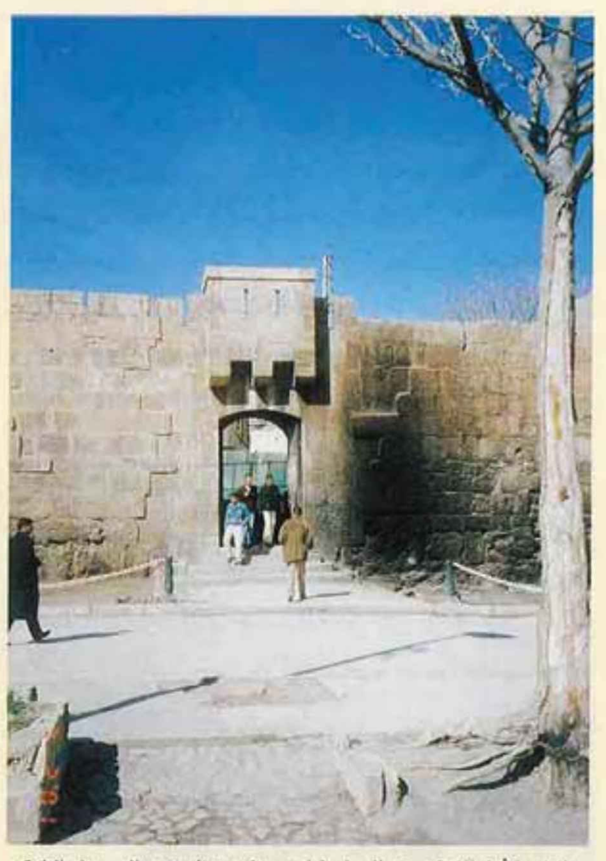
مدينة تبسَّة التاريخ والحضارة

عرفت منطقة تبسة الحياة ووجود الإنسان عليها منذ نحو ١٢٠٠٠ عام قبل الميلاد، وذلك فيما يُعرف لدى المؤرخين بالحضارتين القفصية والعاترية الغابرتين، وقد تبين ذلك للباحثين الآثاريين من خلال الاكتشافات الحفرية والأثرية في المنطقة، التي كشفت عن مستوى متطور من التحضر الذي عرفه ووصله إنسان تلك الفترة في المنطقة من خلال الأدوات، والوسائل، والأواني.. المستعملة في حياته(١٤).

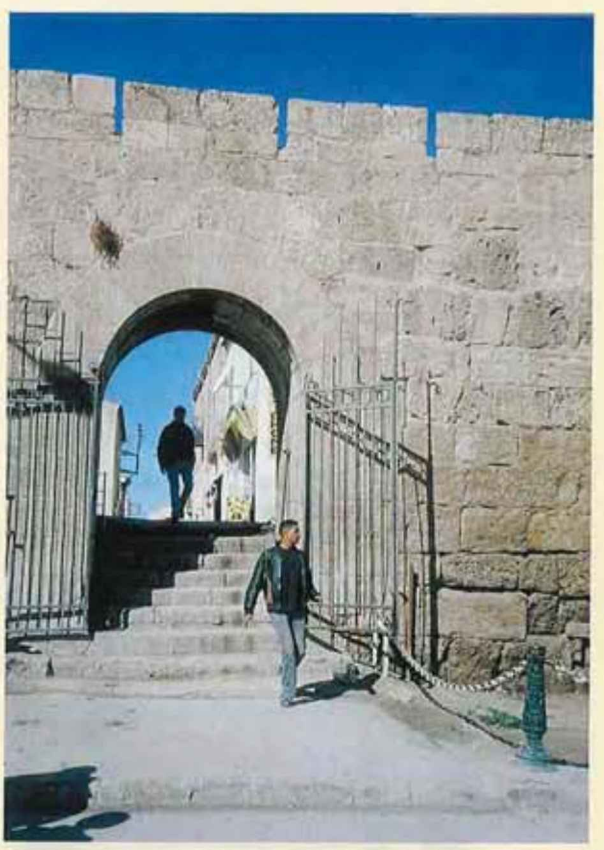
وقد أُطل عليها فجر التاريخ بقدوم «الفينيقيين» إليها، الذين أسسوا فيها مملكة «قرطاج»، وتوسعوا باتجاه تبسَّة، وتمازجوا وتصاهروا مع سكانها الأصليين، الذين كانوا يسمون بـ «الليبيين»، ليصبحوا بعد امتزاجهم بالفينيقيين يدعون بـ «البونيقيين»، وذلك منذ نحو عام ٨١٤ قبل الميلاد(١٥).

تبسَّة تحت حكم الرومان

ومنذ ذلك التاريخ تقريباً دخلت تَبسَّة في صراعات



الباب الأول الصغير من اليسار (باب سولومون) يؤدي إلى حمام البلدة



الباب الثاني الصغير من اليسار (باب سولومون) يؤدي إلى الحقول الشرقية

وحروب الرومان والقرطاجيين الدامية، ولتدخل من جديد في حروب الرومان والنوميديين سكان البلاد الأصليين، ولتظل منطقة حروب وصراعات دامية، إلى أن وقعت تحت حكم الرومان الغازين لها أوائل عام ٢٠٠ ق.م، ومنذ ذلك التاريخ صارت تبسة مقاطعة رومانية تابعة، تقيم بها الكتيبة الرومانية الأغسطية الثالثة(١٦).

كما أصبحت بعد استقرار الكتيبة الأغسطية الرومانية فيها مستعمرة رومانية، تمتعت بنوع من الأمن والاستقرار، وصارت تشكل معبراً مهمًا لمختلف المحاصيل القادمة من الجنوب «قفصة وقابس» باتجاه الشمال الإفريقي، ووصلت إلى أوج ازدهارها الاقتصادي والتجاري والعمراني والعسكري والأمني في عهد الإمبراطور الروماني (فسباسيان ٦٩ ـ ٧٩م)، الذي أولاها عناية فائقة بعد قرطاج، وذلك بتولية أحد أقربائه حاكمًا عسكريًا عليها، وظلت في تلك المكانة المرموقة طوال عهد الإمبراطور الروماني (دوميتانيس ٨١ ـ ٩٦م) وفي عهد الإمبراطور (تراجان) والإمبراطور (هارديان) والإمبراطور (سبتيم سيفير ١٩٣ ـ ٢١٢م)، وفي عهد ابنه الإمبراطور (أنطونين كراكلا ٢١٢ ـ ٢١٧م)، صاحب القوانين العادلة، الذي منح الحقوق والحريات لجميع مواطني منطقة تبسة، إذ ساوى بين جميع المواطنين في الحقوق والواجبات والحريات، وفي عهده شهدت المنطقة الازدهار الاقتصادي والزراعي والتجاري والأمني، كما عرفت حركة التوسع العمراني، بدءاً من شق الطرقات، وبناء بوابة النصر الشهيرة فيها والمعروفة باسم باب كركلا، ومسرحها الضخم، ومعبد مينرف، وكنيستها الكاتدرائية الأولى في إفريقية عام ٢٥٦م(١٧).

تبسّة تحت حكم الوندال والبيزنطيين

ظلت تبسّة تحت حكم الرومان وتابعة لسلطة لروما إلى أن سقطت روما تحت ضربات الجرمان عام ٤٧٢م، لتقع تحت حكم الواندالبين المتوحشين في نهاية القرن الخامس الميلادي عام ٤٧٩م. ولم تشهد المدينة في عهدهم أي ازدهار، بل كان الواندالبون منبهرين بمستوى التحضر الذي كانت عليه المدينة والشعب التبسي، فلم يضيفوا لها أي شيء يذكر، ودخلت خلال فترة حكمهم القصيرة في ثورات وفتن ونزاعات وخصومات أدت إلى سيطرة الروم البيزنطيين عليها عام ٥٣٤م بقيادة القائد الروماني البيزنطي سيليزار ومساعده الأول سولومون، الذي راقته المدينة، فأصلح فيها ما هدمه الواندالبون، ورمم كنيستها الشهيرة، وأحاطها بسور شاهق لحمايتها، كما أصلح سورها، ودعمه بأبراج جديدة، مازالت شاهدة عليه إلى اليوم(١٨).

منزل مالك بن نبي بتبسّة

تبسّة في ظل الحكم الإسلامي

وظلت تبسّة تحت حكم الروم البيزنطيين إلى أن أطلت عليها خيول الفاتحين الأوائل مع موجة الفتح الإسلامي لإفريقية عام ٦٥٨م الموافق ٢٧هـ، وفي ضواحي تبسّة الجنوبية الغربية تغدر ملكة البربر (الكاهنة) بالصحابة رضوان الله تعالى عليهم، بعد أن واثقتهم على العهود والمواثيق، وتتسبب الغادرة في استشهاد الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري، وثلاثمئة من صحبه الفاتحين الكرام رضوان الله عليهم أجمعين(١٩).

ولتدخل تبسّة بين مد وجزر مع قدوم الفاتحين المسلمين، الذين أسسوا بها أول مسجد جامع بعد مسجد القيروان بتونس، ويُدعى مسجد «سيدي بن سعيد»، والذي يُعتقد أنه من بين أولئك الصحابة الذين تسلقوا سورها الشاهق، ونزلوا بذلك المكان



صورة خلفية لمسجد سيدي أبي سعيد وبجانبه أحجار أثرية



ما تبقى من باب (شالة)، وتبدو على البرج الساعة والجرس اللذان وضعهما الاستعمار الفرنسي

فاتحين، وظلت، منذ بداية الفتح الإسلامي، تارة تحت حكم المسلمين وتارة أخرى تحت تمرد كاهنة البربر وأبنائها، ولتستقر نهائيًا تحت حكم المسلمين عندما حل بها القائد الإسلامي الشهير حسان بن النعمان الغساني سنة ٨٢هـ، الذي قتل الكاهنة وأسر أبناءها، وأعاد الأمن والاستقرار لها في ظل الحكم الإسلامي(٢٠).

وبقيت تبسّة تحت حكم المسلمين تابعة للحكومة المركزية بالشام أو بغداد بدءًا بالأمويين فالعباسيين، إلى أن أقطع الخليفة العباسي (هارون الرشيد ١٧٠ - ١٩٣هـ) واليه على إفريقية إبراهيم بن الأغلب حُكْم بلاد إفريقية له ولعقبه، لتخضع بعدها لحكم الممالك الإسلامية المستقلة ببلاد إفريقية كحكم دولة بني زيري، ودولة الرستميين والصنهاجين، ثم لتقع تحت حكم الفاطميين عندما أسسوا دولتهم في تونس، وكانت عاصمتها المهدية سنة ٣٩٨هـ، ليجعلوا من مدينة تبسة في عهدهم ممرًا للهلاليين سنة ٤٤٢هـ - ١٠٥٢م، ثم لتقع تحت حكم الحماديين فالمرابطين فالموحدين، إلى أن صارت تابعة لحكم الحفصيين منذ ٦٣٠هـ - ١٣٣٢م إلى حين مجيء الأتراك العثمانيين إلى المغرب الإسلامي باسطين نفوذهم على بلاد الجزائر وإنهائهم حكم الحفصيين عام ١٥٧٢م(٢١).

وقد خرّجت مدينة تَبسّة الكثير من المشاهير منهم: الشيخ عمر بن عبدالله القفصي التبسي(٢٢)، وكذلك الشيخ محمد بن عيسى التبسي(٢٣).

تَبسّة تحت السيطرة الاستعمارية الفرنسية

بقيت تَبسّة تحت سلطة العثمانيين تابعة لبايلك - مقاطعة أو ولاية - باي قسنطينة إلى تاريخ دخول الحملة الفرنسية إليها يوم ٣١ مايو عام ١٨٤٢م الساعة الخامسة مساءً، كما يشير تقرير قائد الحملة

الفرنسية عليها المكتوب والمحفوظ بأرشيف (إكس إن بروفنس) بفرنسا، وذلك بطلب من أعيانها بعد سقوط مدينة قسنطينة عام ١٨٣٧م، وفرار واليها (أحمد باي ت ١٨٥٢م)، وتعرضهم لهجمات القبائل المجاورة عليهم(٢٤).

وقد اضطلعت تبسّة بدورها الجهادي في العهد الاستعماري الفرنسي، بدءاً من مشاركتها الفعالة في ثورة الرحمانية عام ١٨٧١ ـ ١٨٧٢م، وإعدام شيخ الجهاد فيها الشيخ سيدي محمد الشريف الرحماني أحد القادة الروحيين لثورة الزاوية الرحمانية عام ١٨٧٢م، ثم مشاركتها الفعالة في تمرد عام ١٩١٦ ـ ١٩١٧م ضد الإدارة الاستعمارية، فيما سمي بتمرد الأعراش أو تمرد الأوراس(٢٥).

وشهدت أيضاً بوادر الحركة الإصلاحية التنويرية في بدايات القرن العشرين، وتأسيسها أول مدرسة عربية حرة عام ١٩١٣م، وبروز الكثير من علمائها ورجالها، وعلى رأسهم المفكر الإسلامي (مالك بن نبي ١٩٠٥ ـ ١٩٧٣م)، والشيخ (العربي التبسّي ١٨٩١ ـ ١٩٥٧م)، واضطلاعها بالدور الأكبر في لهيب الثورة التحريرية الكبرى، وشهودها أكثر وأكبر معارك الثورة التحريرية المباركة(٢٦).

كما عرفت مع مطلع القرن العشرين نهضة ثقافية وإصلاحية وإعلامية وسياسية ملحوظة(٢٧)، وتناول مالك بن نبي في معرض حديثه عن طفولته بتبسّة وضع مدينة تبسّة الثقافي والتعليمي والتربوي والإصلاحي والسياسي(٢٨)، والصراع القائم بين الزعيم السياسي الوطني الحر عباس بن حمانة(٢٩)، والزعيم ابن علاوة الذي كان من أنصار الإدارة الفرنسية(٣٠).



منظر داخلي للكنيسة الرومانية المسماة (البازيليك)



جانب من الكاتدرائية المسيحية الأولى في إفريقية بنيت عام ٤٣٠م تخليداً لقسيس مدينة عنابة (هيبوريجوس)

كما تناول دور المسجد الجامع العتيق، وشيخه المصلح سليمان بن طيار البيضاوي(٣١)، الذي بدأت على يده حملة الوعي والإصلاح، كما شهد عام ١٩١٣م - ١٣٣١هـ تأسيس أول مدرسة عربية إسلامية حرة في الجزائر، وهي المدرسة الصديقية التي اشترك في تأسيسها عباس بن حمانة مع الشيخ على العنق الميزابي، هذه المدرسة التي كانت من ثمار الجمعية الصديقية الخيرية الإسلامية بتبسة، والتي نوه بها الشيخ المولود الزريبي(٣٢) في جريدته «الصديق» بمقال تحت عنوان: «أول مدرسة حرة نظامية بالقطر الجزائري»(٣٣)، كما نوهت بها صحيفة «البريد الجزائري»(٣٤).

ومن رجالها المصلحين الذين اضطلعوا بالعمل الإصلاحي الشيخ الصادق بن خليل الدرياسي الأزهري(٣٥)، والشيخ عسول عسول العبيدي الأزهري(٣٦)، والشيخ محمد الطيب بن مبروك باشا المغرسي(٣٧).

ومما يدل على وعي سكانها ولاسيما نخبها المثقفة، وإحساسهم العميق بالروح الإسلامية الجامعة، وشعورهم بالخطر الجسيم تجاه سقوط الخلافة العثمانية، إرسالهم برقية التأييد بمناسبة انعقاد المؤتمر الإسلامي بالقاهرة يوم ١٣مايو/ أيار ١٩٢٦م - المسمى بمؤتمر الخلافة الإسلامية - إلى رئيس مكتب المؤتمر، وإلى مفتي الأهالي المسلمين الجزائريين الرسمي الشيخ «المولود بن الموهوب» يوم ٤ مايو/ أيار١٩٢٦م بالجزائر(٣٨) مؤيدين مسعى كل المؤتمرين، ومحذرينهم من مخاطر عدم تعيين الخليفة الإسلامي الجديد. وحضر الملتقى الشيخ العربي التبسي وأرسل رسالة إلى أهل تبسة يحثهم فيها على المشاركة في الملتقى بأي شكل من الأشكال، ولو بالبرقيات، وقد جاء ملتقى الخلافة الذي عُقد تحت إشراف علماء الأزهر، ورقابة الملك (فؤاد الأول) ملك مصر، الذي كان يطمح بقوة ليسمى خليفة المسلمين، ولا سيما بعد سلسلة الإجراءات التي



أحد أبراج القلعة البيزنطية التي يبلغ عددها ١٢ برجًا

أعلنها مصطفى كمال أتاتورك ضد نظام الخلافة الإسلامية العثمانية، إذ ألغى نظام السلطنة يوم ١نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٢٢م، وأبقى على الخلافة، ثم أعلن بعدها قيام الجمهورية التركية يوم ٢٠ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٢٣م، ليلغي نظام الخلافة نهائيًا يوم ٢ مارس/آذار ١٩٣٤م، مما اضطر المسلمين إلى عقد هذا الملتقى. وقد أرسل أهل تبسة إلى مدير تحرير صحيفة النجاح بقسنطينة برقية لغرض المشاركة في أشغال ملتقى الخلافة، وقد عنونت صحيفة النجاح البرقية تحت عنوان: (حوادث داخلية: مسألة الخلافة).



فريق كشافة الأمل بتبسّة أنشئ عام ١٩٣١م، وهو يضم أبناء تبسّة الحديثة، وبأعلى الصورة مكتوب بالفرنسية (مقهى بغداد)

وجاء في تقديمها ما يأتي:

«لم يبق للموعد المضروب لاجتماع مؤتمر الخلافة بالقاهرة إلا سبعة أيام، وقد تعذرت مشاركة الشعب الجزائري الفعلية بهذا المؤتمر، وتعينت النظرية الثانية التي ألمع إليها حضرة الأستاذ الشيخ المولود الحافظي الأزهري وهي الاقتصار على الإبراق إلى أساتذة جزائريين محرزين على الشهادة العالمية بالأزهر الشريف، وذلك بعد أن توافينا برقيات من مختلف الأنحاء بالقطر الجزائري. وقد كان الظن أن تتحرك الأمة نحو هذه الحركة الدينية الخالصة، ولكن العزائم لم تكن ماضية لحد أن اعتبرها هذا المؤتمر كاجتماع بسيط».

وهذا تلخيص مدير تحرير صحيفة النجاح لبرقية أهل تبسّة قبل نشرها:

«ولتمثيل مسلمي تبسّة في المؤتمر الذي سينعقد يوم ١٣ مايو/أيار الجاري بالقاهرة لأجل تعيين الخليفة، ونحن نترك لكم تمام الحرية في العمل لمصلحة المسلمين. الإمضاء: مسلمو تبسة».

وهذا نص برقية أهل تبسّة الموقعة باسمهم بعد تقديم أدبي من مدير التحرير: «تبسّة يوم ٤ مايو/أيار ١٩٢٦م: عبد الحفيظ مدير صحيفة النجاح بقسنطينة. نرغب منكم بإلحاح أن تبادروا إلى استعمال كل الوسائل الناجعة لتمثيل مسلمي تبسّة في المؤتمر الذي سيعقد يوم ١٣ مايو/أيار الجاري بالقاهرة لأجل تعيين الخليفة، ونحن نترك لكم تمام الحرية في العمل لمصلحة المسلمين. الإمضاء: مسلمو تبسّة».(٣٩).

نادي الشبان المسلمين

أسس أعيان مدينة تبسّة ناديًا ثقافيًا يجتمع فيه الشبان المسلمون مساء كل يوم، يتباحثون فيه مع بقية المرتادين من طلاب العلم والمعرفة والثقافة في مختلف الموضوعات الفكرية والأدبية والثقافية والفنية.. وقد استؤجر له مقر مجاور للثكنة العسكرية الفرنسية وسط المدينة، وكان تأسيسه أوائل عام ١٩٣٧م، وسمي بـ «نادي الشبان المسلمين الجزائريين»(٤٠).



تلاميذ المدرسة الصادقية بتبسة عام ١٩٣١م، ويبدو الشيخ الصادق بن خليل الأزهري (خريج الأزهر) عام ١٩١٧م مدير المدرسة وعليه سهم فوق رأسه

وكان هذا النادي يضم نخبة من المثقفين والأدباء والشعراء والكتاب، أشهرهم: مصطفى الزمرلي (١٩١٤ - ١٩٥٦م)، وصديق سعدي (١٩١٢ - ١٩٦٨م)، وعبدالعزيز خالدي (١٩١٧ - ١٩٦٧م) صديق المفكر الإسلامي مالك بن نبي ومقدم بعض كتبه، وإبراهيم مزهودي (١٩١٠ - ...)، ومحمد الشبوكي (١٩١٦م - ...)، ومن رواد النادي أيضًا مدرسو مدرسة التهذيب، وأعضاء جمعية التهذيب وكل فروعها، الشيوخ: الطيب مزهودي، وإبراهيم روابحية، وحامد روابحية، والعيد مطروح، ومحمد محفوظي، وعيسى سلطاني، والشاذلي المكي، ومحمد السحيري.. الذين كانوا يرتادون النادي يوميًا أو أسبوعيًا أو في المناسبات فيحيون فيه ذكرى المناسبات الدينية، والأعياد الوطنية والعربية والقومية بالقصائد الشعرية المؤثرة، وبالخطب العصماء المعبرة، وبالكلمات البليغة المقتضبة، وبالمحاضرات الفكرية والثقافية والأدبية القيمة(٤١).

وفي ذكرى من ذكريات النادي العزيزة بمناسبة مرور خمسة أعوام على تأسيس جمعية التهذيب بتبسة، التي يعود لها الفضل في بناء مدرسة تهذيب البنين والبنات في عام ١٩٣٢م، وبناء جامع المدرسة الحرة في عام ١٩٣٦م، وتأسيس نادي الشبان المسلمين ومكتبته العامرة، أحيا نادي الشبان المسلمين هذه الذكرى بحضور فضيلة الشيخ العربي، الذي قدم محاضرة قيمة عن مسيرة الإصلاح الإسلامي والتربوي، الذي تقوم به جمعية العلماء في الجزائر، تخللها الكثير من القصائد العصماء، على رأسها قصيدة إبراهيم مزهودي المدرس بمدرسة التهذيب، المهداة إلى أبي النهضة التبسية الأستاذ الشيخ سيدي العربي التبسي، وهذه مقتطفات من أبياتها:

يا فتية النادي السعيد تحية
من نازح قاصٍ عن الأوطان
جمّ الأسى ما بين شوق لاعج
متواصل الأنّات والأشجان

أو بين تذكـــار مُـــمِضٌ مـــزعج
يا شــدَّ مــا قــد لجَّ في الطغـيــان
يتــملق الزمن الضنين ســويعــة
بل لحظة تقـــضى مع الأخـــدان
جــمـعـيـة الشـبـان أهلاً مـرحـبًـا
أفــديك يا جــمــعـيــة الشــبــان(٤٢).

كما أسس أعيان تَبسَّة جمعية الوتر الجزائري للفن والموسيقى عام ١٩٣٨م، وفرقة كشافة الأمل الإسلامية عام ١٩٣٩م (٤٣)، وفريقًا رياضيًا إسلاميًا عام ١٩٣٩م.(٤٤).

وبهذه النخب المثقفة يدخلون مرحلة الصراع الحضاري مع الاستعمار الفرنسي، تمهيدًا لإشعال فتيل الثورة المسلحة يوم الفاتح من نوفمبر/تشرين الأول ١٩٥٤م، وليتوج جهدهم الإصلاحي فالثوري بالنصر والفرحة الكبرى يوم ٥يوليو/تموز ١٩٥٢م.

من أعلام تَبسَّة

عمر بن عبدالله القفصي التبسي: سديد الدين محدث من كبار العلماء، من أهل تَبسَّة، رحل إلى المشرق، ولقي جماعة من كبار الشيوخ، كتب عنه المؤرخ المحدث ابن العديم (٥٨٨ ـ ٦٦٠هـ) صاحب التاريخ الكبير (بغية الطلب في تاريخ حلب)، وقد توفي رحمه الله نحو سنة ٦٢٠هـ ـ ١٢٢٢م.

محمد بن عيسى التبسّي: شمس الدين أبو عبدالله، قاض، نحوي، من كبار العلماء من أهل تَبسَّة، رحل إلى المشرق فدخل مصر والشام وبلاد الروم، وأخذ عنه جماعة من العلماء، قال ابن حجر العسقلاني فيه: [كان جامعًا بين المعقول والمنقول، ولي قضاء حماة بسورية وأقام بها مدة، ثم توجه إلى بلاد الروم فأقام بها أيضًا وأقبل عليه الناس، وكان حسن الفهم، شعلة نار في الذكاء، كثير الاستحضار، عارفًا بعدة علوم خصوصًا العربية، مات ببرصة من بلاد الروم نحو سنة ٨٤٠هـ ـ ١٤٣٦م.

مالك بن نبي: مفكر إسلامي. ولد في مدينة قسنطينة في عام ١٩٠٥م، ودرس القضاء في المعهد الإسلامي المختلط. وتخرج مهندسًا ميكانيكيًا في معهد الهندسة العالي بباريس. وزارة مكة. وأقام في القاهرة سبع سنوات أصدر فيها معظم آثاره. باللغة الفرنسية نحو ٣٠ كتابًا جلها مطبوع. تُرجم بعضها إلى العربية. وكان من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة. وتولى إدارة التعليم العالي بوزارة الثقافة والإرشاد القومي الجزائري (١٩٦٤)، توفي ببلده في عام١٩٧٣م.


صورة داخلية للجامع العتيق بتبسّة

الشيخ العربي التبسي: ولد في عام ١٨٩١م، وأدى دورًا كبيرًا في الحركة الوطنية الجزائرية، وكان نائبًا للشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء الذي خلف الشيخ ابن باديس مؤسس الجمعية. وقد اغتال الفرنسيون الشيخ العربي في عام ١٩٥٧م.

عباس بن حمانة: الزعيم السياسي الوطني، ذو السمعة الشعبية الذي استقبل الأمير خالد بن محيي

الدين بن عبدالقادر حفيد الأمير عندما مر بتبسة، وأقام عنده ثم ودعه إلى الحدود التونسية، وقد كان أحد أعضاء الوفد الجزائري إلى فرنسا عام ١٩١٢م للاحتجاج ضد قانون التجنيد الإجباري، وقد توفي عباس بن حمانة بضربة فأس في ظروف غامضة في حقل له يوم ١٦ يوليو/ تموز ١٩١٤م.

الشيخ سليمان بن طيار البيضاوي: من سكان قسنطينة، قدم إلى مدينة تبِسّة في مطالع القرن العشرين للإمامة والخطبة في مسجدها الجامع الوحيد من قبل الإدارة الفرنسية، وقد بقي فيها إلى

كنيسة كاثوليكية بناها الفرنسيون بالحجارة الرومانية وهي تقع داخل سور المدينة بالقرب من باب قسنطينة

الخمسينيات بعد أن ترك سمعة وذكراً طيبين بين سكان المدينة.

الشيخ المولود الزريبي البسكري: من مواليد بلدة زريبة الوادي بالقرب من بسكرة، درس في الأزهر ثم عاد إلى الجزائر معلماً ومصلحاً وأسس الصحف، ومنها: صحيفة الصديق، تولى التدريس بالجامع الأعظم بالعاصمة، وتوفي عام ١٩٢٥م. وقد ترك عدداً من المؤلفات.

الشيخ الصادق بن خليل الدرباسي التبسي الأزهري: خريج الجامع الأزهر عام ١٩١٧م، ومؤسس المدرسة الصادقية للتربية والتعليم بتبسة، وقد تحدث عنه مالك بن نبي في مذكرات شاهد القرن، توفي عام ١٩٤٨م.

عسول العبيدي: العالم الأزهري، الذي أشار إليه أول مرة الدكتور عمار طالبي في مقدمة كتابه عن الشيخ عبدالحميد بن باديس، والشيخ عسول أزهري، تبسي من قبيلة أولاد سيدي عبيد العربية التي تسكن جنوب تبسة، ولا يُعلم عنه شيء.

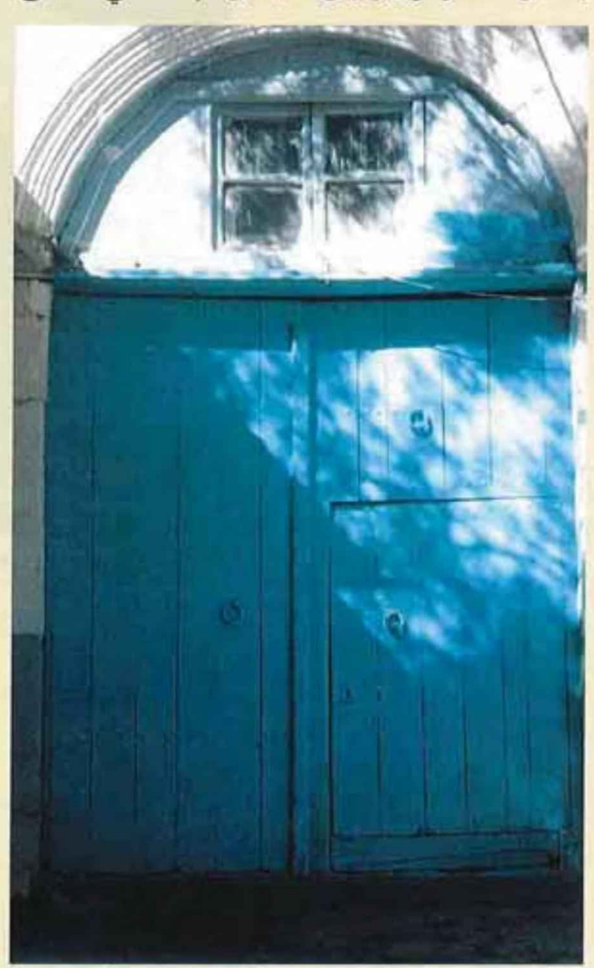
الشيخ محمد الطيب بن مبروك باشا المغرسي الرحماني التبسي: من مواليد ١٨٧٢م، من خريجي الجامعة الزيتونية عام ١٩١٧م، والمدرس فيها إلى عام ١٩١٩م، والقاضي العدل المبرز في الحاضرة التونسية، إلى عام ١٩٢٣م، صوفي من أتباع الرحمانية، وهو شيخ ومقدم الرحمانية بتبسة، توفي عام ١٩٥٢م، وقد ترك عدداً من الرسائل والفتاوى والمنظومات.

الشيخ المولود بن الموهوب: ولد بمدينة قسنطينة عام ١٨٦١م، وبها تعلم ودرّس، وأسس نادي صالح باي، الذي ألقى فيه الكثير من محاضراته الفكرية والعلمية، وكان يلقي دروس الوعظ والإرشاد بالجامع الأخضر، وقد تقلب في المناصب التعليمية إلى أن عين مفتياً رسمياً للمذهب المالكي عام ١٩٠٨م، وقد نشر - رحمه الله - عدداً من المقالات في الصحف العربية الصادرة آنذاك، وتوفي عام ١٩٣٩م.

مصطفى الزمرلي: ولد في قسنطينة من أصل كرغلي من أزمير عام ١٩١٤م، ثم أتى به والده إلى مدينة تبسّة وعمره عشر سنوات، وفي تَبسّة تلقى تعليمه الابتدائي الأول، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة، ونال منه شهادة التحصيل، ثم التحق مدرساً

بمدرسة تهذيب البنين والبنات بتَبسّة عام ١٩٣٥م. وكان مراسلاً لصحيفة البصائر، والشهاب وغيرهما، وله الكثير من المساهمات الأدبية والثقافية فيهما، وهو شاعر، وكاتب، ومثقف دخل في طي النسيان، وظل مدرساً بمدرسة التهذيب إلى وفاته عام ١٩٥٦م.

صديق سعدي: من مواليد تَبسّة عام ١٩١٢م تلقى فيها تعليمه الأول، ثم انتقل إلى الزيتونة ففاز منها بشهادة الأهلية، فالتحصيل، فالتطويع، ثم العالمية، ثم ذهب إلى مصر فدرس في الأزهر، وحصل منه على العالمية في الشريعة الإسلامية. ومكث طويلاً بمصر. صار أول رئيس للمجلس الإسلامي الأعلى



باب مسجد سيدي أبي سعيد، وهو أقدم مسجد بإفريقية بعد مسجد عقبة بالقيروان

عام ١٩٦٦م. ثم استقال منه عام ١٩٦٧م. وكان موظفًا بوزارة الشؤون الدينية بالجزائر. أديب وشاعر وكاتب. كان يكتب في البصائر والشهاب، ويوجه رسائله من القاهرة إلى البصائر بإمضاء (جزائري)، ترك عدداً من الآثار المتناثرة في الصحف الجزائرية والمصرية. لم يتزوج ولم يخلف أبناء. وكان طيب السريرة. توفي بالجزائر العاصمة عام ١٩٦٨م.

عبدالعزيز خالدي: ولد ببلدة الشريعة عام ١٩١٧م من أحواز تَبسّة، وفيها تلقى تعليمه الأول، وفيها أخذ مبادئ العلوم العربية والدينية، ثم دخل المدرسة الفرنسية، وواصل تعليمه بمدينة عنابة، ومنها انتقل إلى فرنسا بعد حصوله على شهادة الدراسة الثانوية (البكالوريا) عام ١٩٣٦م، وأقام بمدينة تولوز طالبًا للعلم في كلية الطب، إلى أن تخرج منها طبيبًا، وعاد إلى الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية، وعمل طبيبًا للأهالي، وانتمى إلى حزب البيان الديمقراطي الجزائري، الذي أسسه الزعيم السياسي الجزائري عباس فرحات عام ١٩٤٣م. وكانت له صلات قوية مع جمعية العلماء، وله كتابات في الصحف الفرنسية والجزائرية. ألف كتابًا مهمًا عن القضية الجزائرية بعنوان (القضية الجزائرية) طبع عام ١٩٤٦م، كما قدم كتاب «شروط النهضة» للمفكر الجزائري مالك بن نبي، وتوفي في الجزائر عام ١٩٦٧م.

محمد الشبوكي: هو محمد بن عبدالله بن عمار الشبوكي، شاعر، وأديب، وكاتب. من موالد الشريعة عام ١٩١٦م، وبها تلقى تعليمه الأول. وفي عام ١٩٣٢م التحق بمعهد نفطة الشرعي في زاوية سيدي مصطفى بن عزوز النفطي الجريدي الرحماني، وفي أواخر عام ١٩٣٤م انتقل إلى الزيتونة، وحصل منها على شهادة التحصيل عام ١٩٤٢م وعاد مدرسًا بمدرسة التهذيب بتبسة، فعضواً في المجلس الإداري لجمعية العلماء عام ١٩٤٧ ـ ١٩٥٣م فمديراً لمدرسة الحياة بالشريعة عام ١٩٥٤م. سجنته السلطات



أحد أبراج القلعة البيزنطية وهو يقع على يمين باب كركلا، ويقابل قنوات المياه القادمة من الشرق

الاستعمارية من يوم ١٩٥٦/٢/١٠م. إلى يوم ١٣ مايو/أيار ١٩٦٢م، ثم أطلقته فدرّس بمدرسة الحياة عام ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣م. ثم غدا رئيسًا لبلدية الشريعة من عام ١٩٦٣ ـ ١٩٧٥م، ثم رئيسًا للمجلس الشعبي الولائي لولاية تَبسّة عام ١٩٧٥ ـ ١٩٨٨م، ثم عضواً في البرلمان (المجلس الشعبي الوطني) إلى عام ١٩٩١م، وله إلمام بعلوم الشريعة.

إبراهيم مزهودي: من مواليد تَبسّة عام ١٩١٠م، وبها تلقى تعليمه الأول. ثم ذهب إلى زاوية نفطة بالجريد لمتابعة دراسته، ومنها إلى جامع الزيتونة الذي حصل منه على شهادة الأهلية، فالتحصيل، فالتطويع، ثم عاد إلى تَبسّة مدرسًا بمدرسة تهذيب البنين والبنات، ثم التحق بمناصب حزبية وثورية، وكان من القادة الكبار لثورة التحرير المباركة فعضواً في المجلس الوطني الجزائري الأول عام ١٩٦٤م. فسفيراً للجزائر في مصر عام ١٩٦٧ ـ ١٩٧٤م، إلى أن تقاعد وانقطع عن العمل السياسي، وتفرغ للنشاط الدعوي والديني. بنى مسجداً ببلدة الحمامات، وأنشأ مخبزة تجري الخبز على فقراء القرية. مازال يعيش بالجزائر العاصمة ومنزله بشارع محمد الخامس.

تَبسّة اليوم

ظلت تبسة تضطلع بدورها الحضاري كبوابة للشرق ورئة للعروبة، وتحت أسوارها تشتم عبق الغادين والرائحين والعابرين، وبين أحجارها تنبعث أريج الحضارات وعبق الأمجاد، لتحكي لنا قصة الحضارة والإنسان والحياة، كما تحكي لنا آثارها وأحجارها وقبورها ودورها وقصورها وسورها وأبراجها الشاهقة عاقبة المصلحين والمفسدين في الأرض ممن تعاقبوا عليها. *تلكَ الدارُ الآخرةُ نجعلها للذين لا يريدون عُلُواً في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين*. **القصص: ٨٣**، ولا غالب إلا الله.

المراجع والهوامش

١. بوجمعة هيشور، أعراش منطقة تبسة، صحيفة النصر، عدد ٦٠٨٢، الأحد ٢٢ ذو الحجة ١٤١٣هـ. الموافق ١٣يونيو/حزيران ١٩٩٣م، ص٨.
٢. د. محمد الصغير غانم، نظام الزراعة والري في منطقة بسكرة والتخوم الأوراسية، مجلة التراث، العدد ٤، باتنة، الجزائر، ١٩٨٩م، ص١٥و ١٦، وأحمد عيساوي، تبسة تاريخًا وماضيًا صحيفة المساء الجزائرية، عدد ١٢١٨، الإثنين ٢٦ محرم ١٣١٠هـ الموافق ٢٨ أغسطس/آب ١٩٨٩م، ص١١.
٣. نشرة رسمية دورية صادرة عن ولاية تبسة تضم الإحصاءات الرسمية كافة عن الولاية، من حيث عدد السكان والمساحة، والثروات، والنشاطات المهنية والزراعية والصناعية والتجارية للسكان، وتاريخ المنطقة السياسي والثقافي والاجتماعي.
٤. مؤلف مجهول، كتاب عيون الاستبصار، تحقيق: إسماعيل العربي، وسماه المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دون طبعة، دون تاريخ، ص٣٢٩.
٥. تبسة ـ بالفتح ثم الكسر وتشديد السين المهملة، وقد ذكرنا وصف ياقوت لها في مستهل البحث، ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، دون طبعة، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٦٩م ج٢، ص١٣.
٦. عيون الاستبصار، مرجع سابق، ص٣٢٩، بتصرف.
٧. نشرية رسمية دورية صادرة عن ولاية تبسة، مرجع سابق.

٨. محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر بين القديم والحديث، ج١، ص ١٨٧ وما بعدها، وج٢، ص١١٦، وعبدالرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة ٤، ١٩٨٤م، ج٢، ص١١، وعبدالسلام بوشارب، تبسة تاريخ ومآثر، مطبعة متحف الجهاد، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص٣.

٩. أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، مطبعة البليدة، الجزائر، الطبعة الثانية، ١٩٦٣م، ص١١٩، بتصرف.

١٠. عبدالسلام بوشارب، تبسة مآثر ورجال، مطبعة متحف المجاهد، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص٨.

١١. المرجع السابق نفسه ص٨، وأحمد عيساوي، تبسة عقيدة عشائرية ولا أمل في التغيير، صحيفة الخبر، عدد ٢٤٢، ١٦صفر ١٤١٢هـ الموافق ٢٦ أغسطس/آب ١٩٩١م، ص٢.

١٢. مها عيساوي، تبسة عبر العصور، مجلة التراث، العدد ٩، باتنة، ديسمبر/كانون الأول ١٩٩٧م شوال ١٤١٨هـ ص٣٢.. نقلاً: عن مصادر ومراجع لاتينية وفرنسية منها: سيريه دو روش، تبسة التاريخية، المطبعة الرسمية الفرنسية، الجزائر، ١٩٥٢م، ص١٠و١١. وم ـ مول، قراءة تحليلية أريكيولوجية وأنثروبولوجية واجتماعية لمنطقة تبسة، مطبعة باريس، ١٨٦٠م، ص٢٧، وعبدالسلام بوشارب، تبسة مآثر ورجال، مطبعة متحف المجاهد، الجزائر، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، ص١١ و ١٢ و ١٣.

١٣، ١٤. أحمد عيساوي، تبسة تاريخاً وماضياً، مرجع سابق، ص١١، ومها عيساوي، تبسة عبر العصور، مرجع سابق ص٣٢ ـ٣٤.

١٥، ١٦. بيير كاستيل، تبسة التاريخية، المطبعة الباريسية، دون طباعة، دون تاريخ، ج٢، ص٦ ـ ٩.

١٧. شارل أندريه جوليان، تاريخ إفريقية الشمالية، ترجمة: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م، ص١٩٣، وسيريه دو روش، مرجع سابق، ص١٢.

١٨. م ـ مول، مرجع سابق، ص ١٥و ١٩٣، وشارل أندريه جوليان، مرجع سابق، ص٣٤٧، و ص٣٦٠، وسيريه دو روش، مرجع سابق، ص١٤.

١٩. أحمد عيساوي، تبسة تاريخاً وماضياً، ص١١، نقلاً عن: رابح بونار: تاريخ الجزائر بين القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م، ص١٣٣.. ومحمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر بين القديم والحديث، ص٤٣٢.. ومها عيساوي، تبسة عبر العصور، ص٣٢ ـ ٣٤.

٢٠، ٢١. أحمد عيساوي، تبسة تاريخاً وماضياً، ص١١، نقلاً عن: رابح بونار: تاريخ الجزائر بين القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م، ص١٣٣.. ومحمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر بين القديم والحديث، ص٤٣٢.

٢٢، ٢٣. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، دار نويهض للثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، ص ٣٦٣.

٢٤. أرشيف وزارة الحربية الفرنسية، وأرشيف إكس إن بروفنس الفرنسي.

تشير المصادر الفرنسية المعتمدة في البحثين السابقين إلى أن تبسة لم يكن لها أهمية كبرى في عهد العثمانيين كما كانت لها أهميتها من قبل نظراً لاعتماد العثمانيين على التنقل بالبحر، واعتماد المسلمين الأوائل عليها كبوابة برية نحو المشرق، وأن الفرنسيين أنفسهم لم يكونوا ينوون احتلالها لولا مطالبة سكانها بالحماية الفرنسية من هجمات قبيلة النمامشة عليهم.

٢٥. أحمد عيساوي، الشيخ العربي التبسّي مصلحاً، رسالة دكتوراه، غير منشورة، مقدمة لكلية أصول الدين بجامعة الجزائر العاصمة، عام ١٩٩٩م/ ١٤٢٠هـ ص٨١.

٢٦. د. شارل روبير وآخرون، الاضطرابات الثورية في الأوراس والنمامشة ١٩١٦ ـ ١٩١٧م، مجلة الأصالة، عدد ٦٢، ٦٣، السنة ٧، ذو القعدة، ذو الحجة ١٣٩٨هـ ـ أكتوبر/تشرين الأول والثاني، ١٩٧٨م، ص٨. وأحمد عيساوي، المرجع السابق، ص١١.

٢٧. راجع صحيفة النجاح الجزائرية (١٩١٩١ / ١٩٥٦)، مركز أرشيف ولاية قسنطينة.

٢٨. مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ، ص٢٧، ٧٩، ٨٠.

٢٩. محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة التعاونية، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ص٢٦٢.

٣٠. ابن علاوة أحد أعيان تبسة الموالين للإدارة الفرنسية.

٣١. له ذكر في صحيفة النجاح عند تغطيتها بعض أخبار مدينة تبسة بين سنوات ١٩١٩ ـ ١٩٥٠م.

٣٢. د. عمار طالبي، آثار الشيخ عبدالحميد بن باديس، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٧٠م، ج١، ص٢٧.

٣٣. دبوز/ نهضة الجزائر، ص٢٦٢، مرجع سابق.

٣٤. محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية ١٩٠٣ ـ ١٩٣١م، ج٢، ص٣٧، نقلاً عن: جريدة البريد الجزائري، عدد ٣، ١٩١٣/٩/١٢م، جريدة الصديق، عدد ٣٠، ١٩٢١/٤/١٨م.

٣٥. مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن.

٣٦. د. عمار طالبي، آثار الشيخ عبدالحميد بن باديس.

٣٧. الشيخ الطيب بن مبروك باشا المغرسي، محاضرة مرقونة ألقيت في المركز الثقافي الإسلامي عام ١٩٩٦م بمدينة تبسة، وحوار أجريناه مع ابنه الشيخ أحمد باشا عالم الفرائض والفقه المالكي، ولدينا مخطوطاته ومنظوماته وفتاويه.

٣٨. محمد علي دبوز، نهضة الجزائر، ج١، ص١٣٤، وغيره من المراجع.

٣٩. راجع مسألة الخلافة، صحيفة النجاح، عدد ٢٩٥، ٢٤ شوال ١٣٤٤هـ الموافق ٧ مايو/ أيار ١٩٢٦م، ص٢، وبرقية أهل تبسة، صحيفة النجاح، عدد ٢٩٦، ٣٠ شوال ١٣٤٤هـ الموافق ١٤ مايو/أيار ١٩٢٦م، ص٢. وعبدالله التل، الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، دار قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، دون طبعة وتاريخ، ص٢٣.

٤٠. مصطفى زمرلي، اجتماع عمومي لنادي الشبان المسلمين بتبسة، صحيفة البصائر، السلسلة الأولى، السنة الثالثة، عدد ١١٧، الجمعة ١١ ربيع الآخر ١٣٥٧هـ الموافق ١٩٣٨/٦/١٠م، ص٦.

٤١. محمد البشير الإبراهيمي، رحلتي إلى الأقطار الإسلامية، صحيفة البصائر، السلسلة الثانية.، السنة الخامسة، عدد ١٩٤، الاثنين ٢٣ يونيو/حزيران ١٩٥٢م الموافق ٧ شوال ١٣٧١هـ، ص١، وأحمد حماني، الفتاوى، ص٧.. وعادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص١٧٧، وحواراً أجريناه مع الشيخ مبروك شريط الصديق الحميم للشيخ سعدي صديق في الجزائر، بتبسة شهر مايو/أيار عام ١٩٩٣م، ونور الدين مراح، حوار مع الشيخ الشبوكي، صحيفة الشروق الثقافي الجزائرية، عدد ٢٤، ١٣كانون الثاني/يناير ١٩٩٤م، ص٥.

٤٢. إبراهيم مزهودي، الأدب الجزائري: جمعية النادي السعيد مهداة إلى أبي النهضة التبسية الأستاذ العبقري الشيخ العربي التبسي، صحيفة البصائر، السلسلة١، السنة ٣، عدد ١٠٤، الجمعة ١٦ محرم ١٣٥٧هـ الموافق ١٨ مارس/آذار ١٩٣٨م، ص٧. والقصيدة من النوع المقطعي، بها ثمانية وثلاثون بيتاً شعرياً، مقسمة سبعة مقاطع.

٤٣. مصطفى زمرلي، فريق كشافة الأمل بتبسة، صحيفة البصائر، السلسلة الأولى، السنة الثالثة، عدد ١٥٢ الجمعة ٢٠ ذو الحجة ١٣٥٧هـ الموافق ١١ فبراير/شباط ١٩٣٩م، ص٧.

٤٤. علي هوام، الوتر الجزائري، صحيفة البصائر، السلسلة الأولى، السنة ٣، عدد ١٠٤، الجمعة ١٦ محرم ١٣٥٧هـ الموافق ١٨ مارس/آذار ١٩٣٨م، ص٣.

لمزيد من الاطلاع على أعمال رجال الإصلاح ونشاطاتهم بتبسة انظر ما يأتي:

ـ صديق السعدي، صوت مصر في بريد البصائر، صحيفة البصائر، السلسلة١، السنة٢، عدد ٨، الجمعة ٢٨ ذو القعدة ١٣٥٤هـ الموافق ٢١ فبراير/شباط ١٩٣٦م، ص٥، وغيرها من الأعمال في صحيفة البصائر.

ـ محمد الطيب مزهودي، ذكريات من الحقل الميت، صحيفة البصائر، السلسلة٢، السنة١، عدد ٤، الجمعة ١٣ شوال ١٣٦٦هـ الموافق ٢٩ أغسطس/ آب، ص٣.. وغيرها من الأعمال في صحيفة البصائر.

ـ محمد الشبوكي، التربية أساس التعليم، صحيفة البصائر، السلسلة الثانية، السنة الأولى، عدد٢، الجمعة ١٤ رمضان ١٣٦٦هـ الموافق ١ أغسطس/آب ١٩٤٧م، ص٤.

ـ محمد الشبوكي، في فجر يوم محمد، صحيفة البصائر، السلسلة الثانية، السنة ٢، عدد ٦٥، الاثنين ٢ ربيع الآخر ١٣٦٨هـ الموافق ٣١ كانون الثاني/يناير ١٩٤٩م، ص٢.

ـ محمد الشبوكي، حظنا من الربيع، صحيفة البصائر، السلسلة الثانية، السنة٢، عدد ٧٧، الاثنين ١٧ جمادى الآخرة ١٣٦٨هـ الموافق ٢٥ أبريل/نيسان ١٩٤٩م، ص٣... وغيرها من الأعمال في صحيفة البصائر.

ـ العيد مطروح، إلى المعلم، صحيفة البصائر، السلسلة الثانية، السنة الثانية، عدد ٥٦، الاثنين ١٣ من المحرم ١٣٦٨هـ الموافق ١٥ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٨م، ص١.. وغيرها من الأعمال في صحيفة البصائر، عدد ٢٩٢، ٢٩٣.

ـ إبراهيم روابحية، أبو القاسم الضرير، صحيفة البصائر، السلسلة الثانية، السنة ٢، العدد ٦٣، الاثنين ١٠ ربيع الأول ١٣٦٨هـ الموافق ١٠ كانون الثاني/يناير ١٩٤٩م، ص٨.

ـ محمد محفوظي، الاتحاد عنوان النصر، صحيفة البصائر، السلسلة الثانية، السنة السابعة، عدد ٣٠٩، الجمعة ١٦ رجب ١٣٧٤هـ الموافق ١١ مارس/ آذار ١٩٥٥م، ص٧. وغيرها من المقالات في صحيفتي البصائر والمنار.

التحنيط لدى المصريين القدامى

سامر علي شمسين
دمشق - سورية





إن التاريخ المصري والحضارة المصرية كانا موضع البحث العلمي على أيدي العلماء المختصين أكثر من قرن من الزمان، ولذا لا نعجب إذا ما وجدنا أن معظم المكتبات قد اقتنت الكثير من الكتب القيمة التي تعالج هذين الموضوعين.

فالحضارة المصرية تظل مصدر معلومات لا يمكن تجاهله، وإحدى ركائز النزعة الإنسانية الحديثة، مما يدفعنا إلى دراسة آثارها وتمحيصها. ولعل موضوع التحنيط من أبرز الموضوعات المهمة التي اقترنت بقدماء المصريين، وفي هذه الدراسة محاولة لإلقاء الضوء على أهم الأمور المتعلقة بالتحنيط.

نشوء الحضارة المصرية

إن أبرز ما يميز مصر في جغرافيتها وتاريخها نهرها العظيم «النيل» مصدر الحياة والخصب بحيث يصح قول هيرودت المأثور: «إن مصر هبة النيل» ولولاه لأصبحت مصر صحراء جرداء(١). وتعدّ مصر الأرض المثالية للباحث الأثري الذي يهتم بالعصور التاريخية، فهناك عدد لا يحصى من النقوش والمخطوطات (البرديات) التي ساعد جو مصر الجاف على حفظها هي وغيرها من المواد الهشّة فلم تمسّ بسوء.

ولقد امتاز تاريخ المجتمع بظاهرتين أساسيتين هما: القدم والاستمرار. فأما القدم فإن أرض مصر في إجماع الباحثين من أقدم مواطن الحضارة التاريخية، وأما الاستمرار فإن التاريخ هنا من أطول التواريخ، وقد استطاعت هذه الأرض على الرغم من أدوار الصعود والهبوط أن تحتفظ على مر الأيام بطابع حضارتها العام(٢).



كفن مومياء

وقد مهّد لمصر طريقها الحضاري القديم في مراحلها المبكرة عوامل طبيعية وبيئية، وبشرية متداخلة ترد في مقدمتها ضخامة نصيبها من مياه نهر النيل في مجراه الأدنى، وفيضاناته الدورية، والتجدد السنوي لخصوبة أرضها، والمناخ الجاف شبه المعتدل، وسهولة الاتصالات بين أجزائها مع انبساط سطحها وقلة العوائق الطبيعية الحادة فيها، وموقعها الجغرافي المتميز المطل على البحرين المتوسط والأحمر، وعلى زاوية الالتقاء بين إفريقية وآسيا، وتوافر عدد من المواد الأولية الأساسية في ساحتها.

وإضافة إلى العوامل البيئية التي أدت إلى تكامل الحياة والحضارة في مصر، فإن استجابة الإنسان لدوافع تلك البيئة قامت بدور مهم في ذلك، إذ أكمل ما بدأته الطبيعة، واستطاع أن ينشئ حضارته بفضل استجابته لدوافع بيئته المحلية.

العلوم الطبية في مصر القديمة

يعدّ المصريون من أقدم الأطباء، وهم يزعمون أن واضع علم الطب عندهم هو (ثوث) المعروف بهرمس، وقد ألّف لهم ٤٢ كتاباً. والمعروف أن الطب الفرعوني هو أقدم أثر طبي معروف في العالم أجمع. وكان الاعتقاد أن الطب في مصر القديمة أقرب إلى السحر منه إلى العلم. فلما فُحصت البرديات الطبية فحصاً دقيقاً، ظهر أن نصوصها علمية إلى أقصى حدود العلم، وأن الطب كان يمارس في مصر القديمة بانتظام وعناية، وأن الكثير من عقاقيرهم مفيدة وتستعمل حتى الآن.

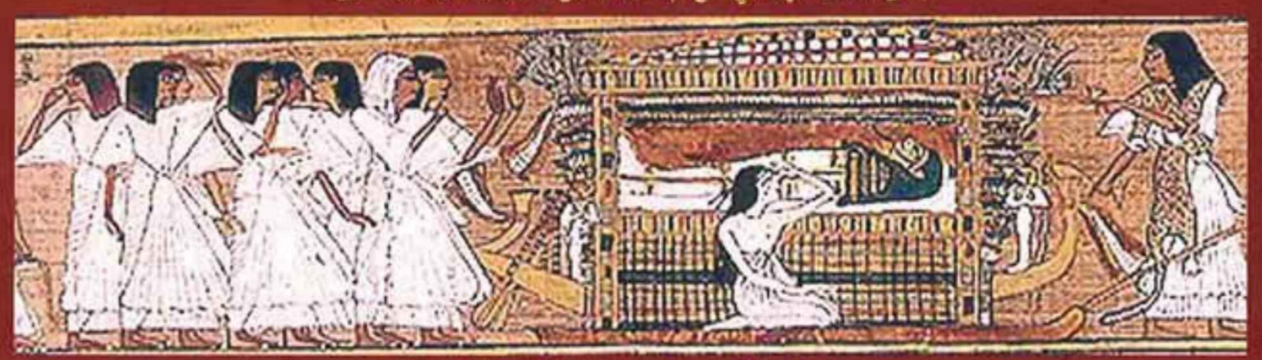
يتصل بالطب لدى قدماء المصريين عملية التحنيط، ولو أنها كانت أقرب لديهم إلى الشعيرة الدينية من عمل الطبيب. وقد عرفوا التشريح لكثرة ما مارسوا في تحنيط أجساد الإنسان والحيوان الذي أتاح لهم



مومياء حفظتها الحرارة ورمال الصحراء بشكل شبه كامل



إحدى الشعائر التي تنادي بفتح فم الميت ليتسنى له الأكل والشرب مرة أخرى



عائلة تندب ميتها وهو جزء من شعائر الدفن

الاطلاع على أدق الأسرار في بنية الأجساد، وأكسبهم خبرة بنَوا عليها معارفهم الطبية، وجعلهم يومئذ أبرع أطباء الدنيا. ولا شك أن سر عملية التحنيط من أروع الأسرار التي حافظ عليها المصريون القدماء، ومن أسطع البراهين على امتيازهم وتفوقهم في العلوم الطبية كافة.

التحنيط لدى المصريين القدماء

التحنيط لغة: استخدام الحَنُوط أو الحِناط، وهو كل طيب يمنع فساد الجسد أو هو كل ما يُطَيَّبُ به المَيِّت من مسك وصندل وعنبر وكافور، وغير ذلك مما يذرّ عليه تطييباً له وتجفيفاً لرطوبته، فالتحنيط مصطلح عام يعني المحافظة على الجسم. أما الجسم المعالج بالتحنيط فيطلق عليه مصطلح «مومياء» لما يعتريه من سواد يشبه القار المعدني، وهو لفظ يوناني معناه: حافظ الأجسام.

أسباب لجوء المصريين إلى التحنيط

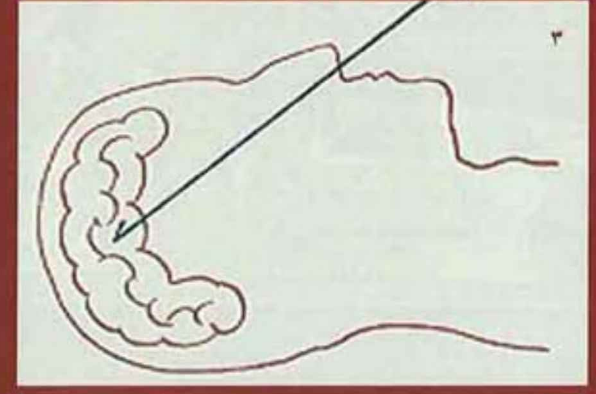
كان المصريون القدامى من أوائل الأمم، وإن لم يكونوا أول أمة آمنت بالبعث والخلود بعد الموت في حياة قد لا تختلف في جوهرها عن حياتهم في العالم الدنيوي، والدين (كان وما زال وسيظل) أكبر قوة تؤثر في حياة الإنسان، كما أنه كان منفذاً للخيالات ومحاولات تفسير الظواهر المتغيّرة المحيطة به، ذلك التغير الذي أوحى إليه بفكرة الخلود

أو الحياة بعد الموت، هذه الفكرة كان قد اعتنقها القوم وكان لها أكبر الأثر في نفوسهم. بل إنه فيما يرى برستد(٣) لا يوجد شعب قديم أو حديث بين شعوب العالم احتلت في نفسه فكرة الحياة بعد الموت المكانة العظيمة التي احتلتها في نفس الشعب المصري القديم.

كان المصريون منذ بداية عهد الدولة القديمة يؤمنون بخلود الروح، ويعتقدون أن الإنسان بعد انتهاء حياته سيعود إلى الحياة مرة أخرى. ولذلك ليس من المستغرب إذن أن يشعروا بالحاجة الماسة إلى الاحتفاظ بشكل الجسم وسماته، وصيانته مما قد يتطرق إليه من الفساد، حتى تتمكن الروح من تعرفه لتسكنه من جديد. وظهر إيمانهم بالخلود جلياً









خطوات عملية التحنيط

في قبورهم البدائية البسيطة، وفي طريقة دفن موتاهم، ووسائل حفظ أجسادهم من الفناء.

قال كاسيان: إن قدماء المصريين لجؤوا إلى التحنيط لأنهم في أشهر فيضان النيل لم يكونوا يستطيعون نقل الجثث إلى الجهات المعدّة للدفن، فاتبعوا طريقة التحنيط لحفظ الجثث من التعفن، وبعد مضي أشهر الفيضان ينقلونها إلى مقابرهم، وفي هذا منتهى العناية بحفظ الجثث من التعفن والاحتياط في وقاية صحة الأحياء. وقال هيرودوت: إن اعتياد التحنيط منشؤه الاحتياط في حفظ الجثث من انتهاش الوحوش، وقال ديودور الصقلّي: إن قدماء المصريين اتخذوا التحنيط في جملة الشعائر الدينية احتراماً لموتاهم.

وقال فولني وباريو: إن من البواعث على التحنيط الاحتياط لمنع انتشار الأمراض المعدية والطاعون، والأقرب إلى التعويل عليه من كل هذه الآراء، ويطمئن إليه العقل هو أن التحنيط من لوازم العقائد الدينية(٤).

ولم يكن التحنيط في مصر القديمة عَمَلَ متعهد يختص بأمور الدفن، بل كان شعيرة دينية مقدسة، لأن العملية من بدايتها إلى نهايتها كانت تقليداً لما تمّ عمله لأوزوريس «إله الموتى وحاكم العالم السفلي»(٥).

وعملية تحنيط الموتى من الأسرار الغامضة المحيّرة التي اشتهرت بها مصر القديمة، والسؤال لماذا بذل مثل هذا المجهود لحفظ الأجسام التي خرجت منها الروح لآلاف السنين؟ السبب هو أنهم لم يعتقدوا أن الموت هو النهاية، وإنما هو رحلة خطرة تتناثر خلالها شتى العناصر المكونة للشخص الحي، بينما يحتفظ كل منها بتكامله الفردي، فإذا أمكن إعادة اتحادها ووضعها في الجسم ثانية أمكنه أن يحيا حياة جديدة مشابهة جداً للحياة التي قضاها على الأرض، ومع ذلك،

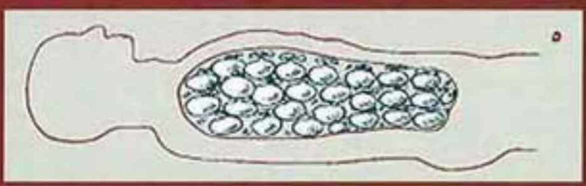
فلتحقيق هذه النتيجة يجب حفظ الجسم الذي هو أضعف هذه العناصر وأكثرها عطبًا، فإذا تُرك الجسم ليتعفن ضـاع كل أمل في اتحاد القوى الحيوية وهيكلها الجسدي في العالم الآخر، فيحكم على الروح بأن تظل تبحث عبثًا إلى الأبد عن جسم لم يعد له وجود(٦).

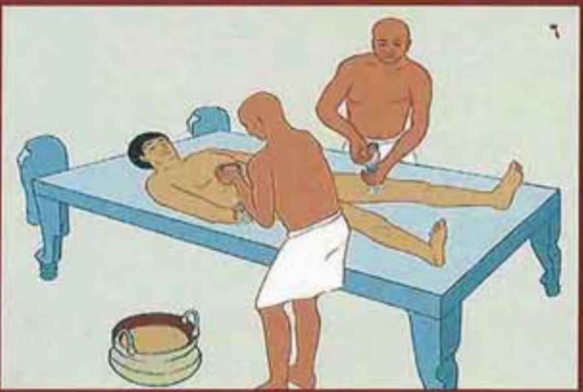
عملية التحنيط

المؤكـد أنه ليس من الممكن تحـديد الـوقت الذي بدأ فيـه قـدمـاء المصـريين تحنيط موتاهم، وإن كـان من المرجح أن ذلك يعـود إلى أيام العصر القديم، وقد بلغ التحنيط حدًا كبيراً من التقدم في الأسرة الثالثة، وأول مثال لهذا عثر عليه في مـقبرة الملكة (حتب ـ حرس) أم خوفو من أوائل أيام الأسـرة الرابعـة والتي عُـثـر عليـهـا مـحنطة ومـودعـةً في صندوق من المرمر عُـرف باسم الصندوق الكانوبي مقسم أربعـة أقسام زوِّد كل منها بمادة التحنيط.

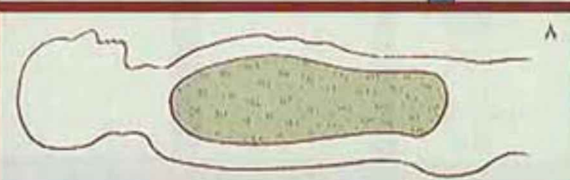
وقد ظلت عادة التحنيط متبعة فـي مصر حتى بداية العهد المسيحي، إلا أنها كـانت مقـتصـرة في أول عهـدها على الملوك والكهنة ووجـهـاء القوم، ولم تنتشر وتتغلغل في الطبقات الفقيرة إلا بعد وقت طويل.

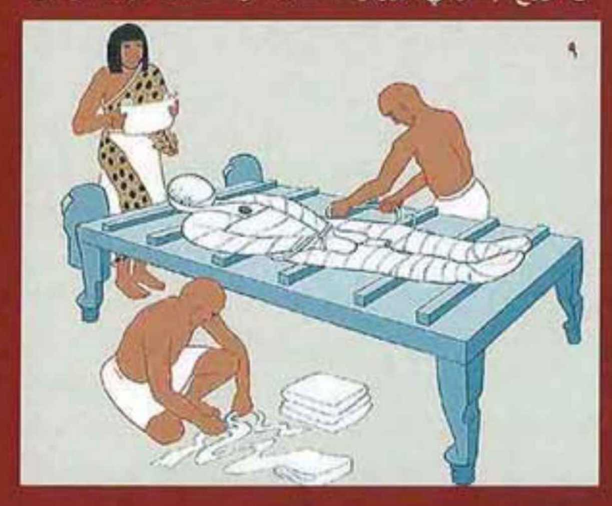
ومما يؤسف له أنه لم تصلنا نصوص تسجل لنا مراحل التحنيط من العصور الفرعونية، ولكن لدينا وثائق كثـيرة من العصر الروماني، كما أن المؤرخ الإغـريقي هيرودوت سـجل لنا وصفًـا دقيـقًا لهـذه المراحل،











وذلك عندما زار مصر في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، وكانت عادة التحنيط لاتزال منتشرة بين الناس.

وقـد وصـف هيـرودوت وتلاه في ذلك ديـودور الصـقلي في الـقـرن الأول ق.م شعائر التحنيط بشيء من التفصيل، مما ساعد العلماء في مهـمتهم عندما عمدوا إلى فحـص الجثث ودراسة محتوياتها ومحاولة الوقوف على المواد التي استعملت في هذه العملية.

كانت عملية التحنيط أقرب إلى الشـعيرة الدينية منها إلى عمل رجل الطب، فكانوا يطلقـون علـى المكان الذي نجـرى فيـه ـ وكان عـادة يقع بالقـرب من المـعـبـد أو المدفن ـ اسم «المكان المـطهـر» و«دار الإله الطاهرة» أو «خيمة الرب».

ويقسم بيت التـحنيط ثلاثة أقسام، الأول منهـا يباح دخوله للجـميع، ويشـتمل على إعداد الأجـزاء الصناعيـة المفردة فـقط، والثاني القـاعة الخاصـة بدرس علم التشـريح فنيًا لا يدخلهـا غير الأسـتاذ وقت إلقاء الدروس، والثـالث مـخـصص لوضع الجـثث الـتي تُسلَّم بعـد انتـهـاء أعمالها إلى أقاربهم وأصدقائهم.

وكـان يوجد في بيت التحنيط جـمـيع الأدوات اللازمة لـلعمل مـثل

المساطر والحبال والتمائم وأنواع الزخرف والحلي.

كانت عملية التحنيط تستغرق بمراحلها كافة سبعين يوماً يردد الكهنة خلالها الصلوات، ويشرفون على المراسم والشعائر، وقد ارتدوا أقنعة مصنوعة على شكل رأس ابن آوى الذي يمثل الإله «أنوبيس» والذي كان يعدُّ إله الموتى الأول، ويطلق عليه أحياناً «رئيس خيمة الإله»(٧).



طرائق التحنيط

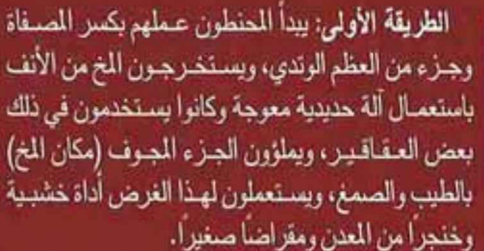
يصف هيرودوت وصفاً دقيقاً مراحل التحنيط(٨):

«هنالك في مصر جماعة من الرجال يمارسون فن التحنيط، ويجعلون من هذا الفن عملهم الخاص، وإذا ما مات مصري حمل أقرباؤه جثته إلى المحنطين الذين يعرضون نماذج ثلاثة مصنوعة من الخشب ومطلية بشكل تشبه معه الجسم الطبيعي، والأنموذج الأكثر كمالاً منها هو ما كان يشبه صورة وشكل الميت، والأنموذج الثاني هو ما كان يقل عن الأول دقة في الصنع والتكلفة، وأما الثالث فهو الأرخص من كل النماذج. وهنا يقول حاملو الجثمان لهؤلاء الرجال: أي أنموذج من هذه النماذج يفضلون».

وبحسب ما روى هيرودوت في كتابه الشهير «التاريخ» وذلك إثر زيارته لمصر في عام ٤٣٠ ق.م أنه كانت للمصريين ثلاث طرائق للتحنيط(٩). وأغلاها الطريقة التي اتبعت في تحنيط جثة أوزيريس والطريقة الثانية أقل تكلفة، أما الطريقة الثالثة فهي أقل ما يمكن عمله ولا تكلف إلا القليل من المال.



تعويذة ترمز إلى توازن الإنسان في الحياة الأخرى



الطريقة الأولى: يبدأ المحنطون عملهم بكسر المصفاة وجزء من العظم الوتدي، ويستخرجون المخ من الأنف باستعمال آلة حديدية معوجة وكانوا يستخدمون في ذلك بعض العقاقير، ويملؤون الجزء المجوف (مكان المخ) بالطيب والصمغ، ويستعملون لهذا الغرض أداة خشبية وخنجراً من المعدن ومقراضاً صغيراً.

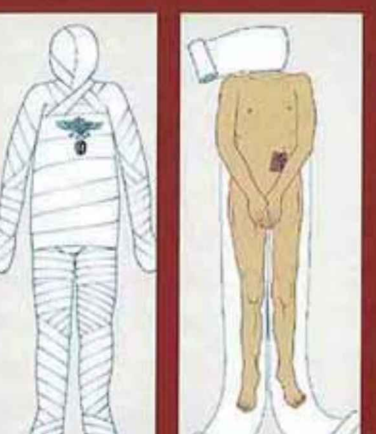
ويبدو أن تحنيط الجثة كان يتم بوضعها على مائدة خشبية مستطيلة، ويضع المحنط على الجانب الأيسر ماء يقدّره بنسبة حالة الجثة، ممزوجاً بما يستدعيه العمل، ويبدأ في شقها في بداية الجنب إلى نهايته بقطعة حادة من الحجر الأثيوبي المسنون (ولعله حجر الصوان). ومتى أتم المحنط عملية الشق انتقل من مكانه مسرعاً، ويتبعه الحاضرون ويرجمونه بالحجارة، ويلعنونه.

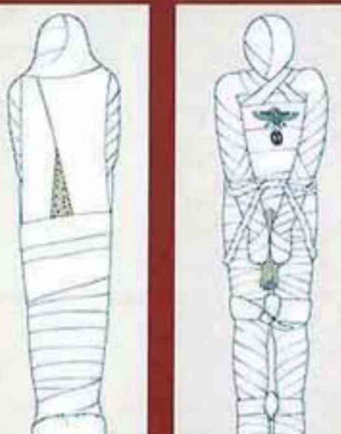
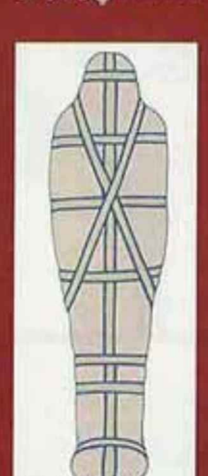
ثم يستخرجون الأحشاء الداخلية وكل الأجزاء اللينة ما عدا القلب والكليتين لأنهما من أسباب الحياة الأولية، ويغسل الجزء الداخلي من الجثة بالنبيذ المستخرج من البلح الممزوج بكمية من التوابل، وتملأ الفراغات الناتجة بمسحوق مكون من المر ودار صيني بالإضافة إلى أنواع أخرى من العطور والتوابل، ثم تجري خياطة الفتحات بنظام متلاصق، وتغسل الجثة، ويضعون فوقها كميات من الأملاح ويغطونها بمسحوق النطرون (كربونات الصوديوم) مدة سبعين يوماً.



تعويذة «عقدة ايزيس» التي يعتقد انها تحمي الجسد

وبعد انتهاء هذه المدة يدهنون الجثة بزيت خشب الأرز والعطر، ويضعونها في لفائف من الكتان المنقوع سلفاً في صمغ أورانتج، ويوضع في ثنايا اللفائف حلي وجواهر




مراحل التكفين النهائية



مومياء رمسيس

وحجارة كريمة ونبذ من (كتاب الموتى)، ويذهّبون غطاء الوجه ويرسمون فوق صورته، وكانوا يعتنون بأن تكون اللفائف العلوية محلاة برسوم ونقوش هيروغليفية في غاية الإبداع والاتقان.

ثم كانت الجثة تسلم لأهل الميت، حيث يضعونها في صندوق خشبي يحمل هيئة الفقيد وملامحه، ويوضع الصندوق قائماً مستنداً إلى حائط إحدى حجرات المقبرة، وقد يكون هذا الصندوق الخشبي موشى بالذهب، أو يضعونه في تابوت آخر من الذهب الخالص إذا كان الميت من ذوي المكانة، أو من أنصاف الآلهة.

هذا النوع عندهم هو أهم أنواع التحنيط التي يقصدون منها المغالاة والزينة، فكانت هذه الطريقة خاصة بالأغنياء والبارزين من أفراد الشعب؛ لأن تكاليفها كانت باهظة لا يتحملها الفقراء.

الطريقة الثانية: ليس كل الناس يرغبون في التعالي في أعمال التحنيط على الوجه الذي سبقت الإشارة إليه، بل كانت الطبقات الوسطى ومن في حكمهم لا يميلون إلى الأحزان والبذخ، ويكتفون في عملية التحنيط بما يقي الجثة من التلف. فكان يستعاض عن القطع أو الشق بحقن الجثة بكميات من الدهن السائل المستخرج من خشب الأرز من فتحة الشرج بالجسد من دون إخراج أي شيء من الأحشاء، ويسدون منفذ الحقن منعاً لسقوط السائل.

ويُغمر الجسد في ملح النطرون مدة سبعين يوماً، يتم بعدها إخراج الجثة، ويترك الزيت لكي يسيل من الشرج حاملاً معه الأمعاء بعد تحللها على هيئة سائل ثقيل. ويجففون العظام بمسحوق النطرون، وفي هذه الحالة لا يكون باقياً من الجثة سوى العضلات والعظام والجلد، وبإتمام تجهيزها على هذه الطريقة توضع في لفائف معقمة، ويبقى جزء من الوجه فيدهنونه بلون أحمر، وتسلّم بعد ذلك إلى أسرة المتوفى لدفنها في المكان المعد لأمثالهم.

الطريقة الثالثة: أما في الطريقة الثالثة التي كانت تستخدم لمن هم أقل ثراء، فتستخرج الأمعاء والأعضاء الداخلية الأخرى بعد الموت مباشرة بواسطة أداة خاصة، ويغسلون الجوف بماء الفجل، ثم توضع الجثة مدة سبعين يوماً في محلول قلوي من النطرون، وتستخرج بعد ذلك، وتردّ لأصحابها ليذهبوا بها إلى المقبرة.

ويوجد هناك نوع رابع من التحنيط أقل درجة من الأنواع الثلاثة السابقة لم يتكلم عنه هيرودت، وإنما كان مستعملاً عند قدماء المصريين الفقراء وذلك بجعل جثثهم في لفائف ممزوجة بمركّبات تقيها من التعفن والتلف زمناً محدوداً، ثم تدفن في مكان رملي على عمق متر تقريباً ووجدت جثث محنطة على هذه الحالة.

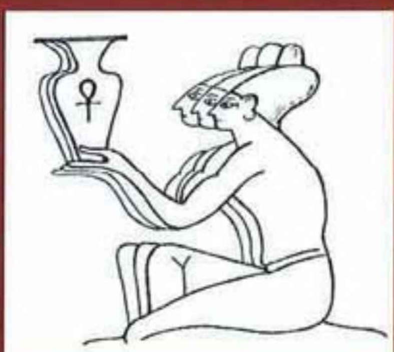


توابيت مزخرفة بالرسومات

المواد المستخدمة في التحنيط

لما كان الجسم الإنساني يحتوي على الماء بنسبة ٧٥٪ تقريباً من وزنه، فالسؤال المطروح، ما الوسائل والمواد التي استخدمها المصريون القدماء لتحنيط موتاهم بطريقة أذهلت الدنيا كلها؟ خاصة أن إخراج هذه الكمية الهائلة من الجسم ليس بالأمر السهل، ومن ثم فإن تجفيفه تجفيفاً تاماً لم يكن بالأمر الهين.

ويرى الباحثون أنه توجد ثلاث مواد مزيلة للماء رخيصة الثمن وشائعة الاستعمال وهي:

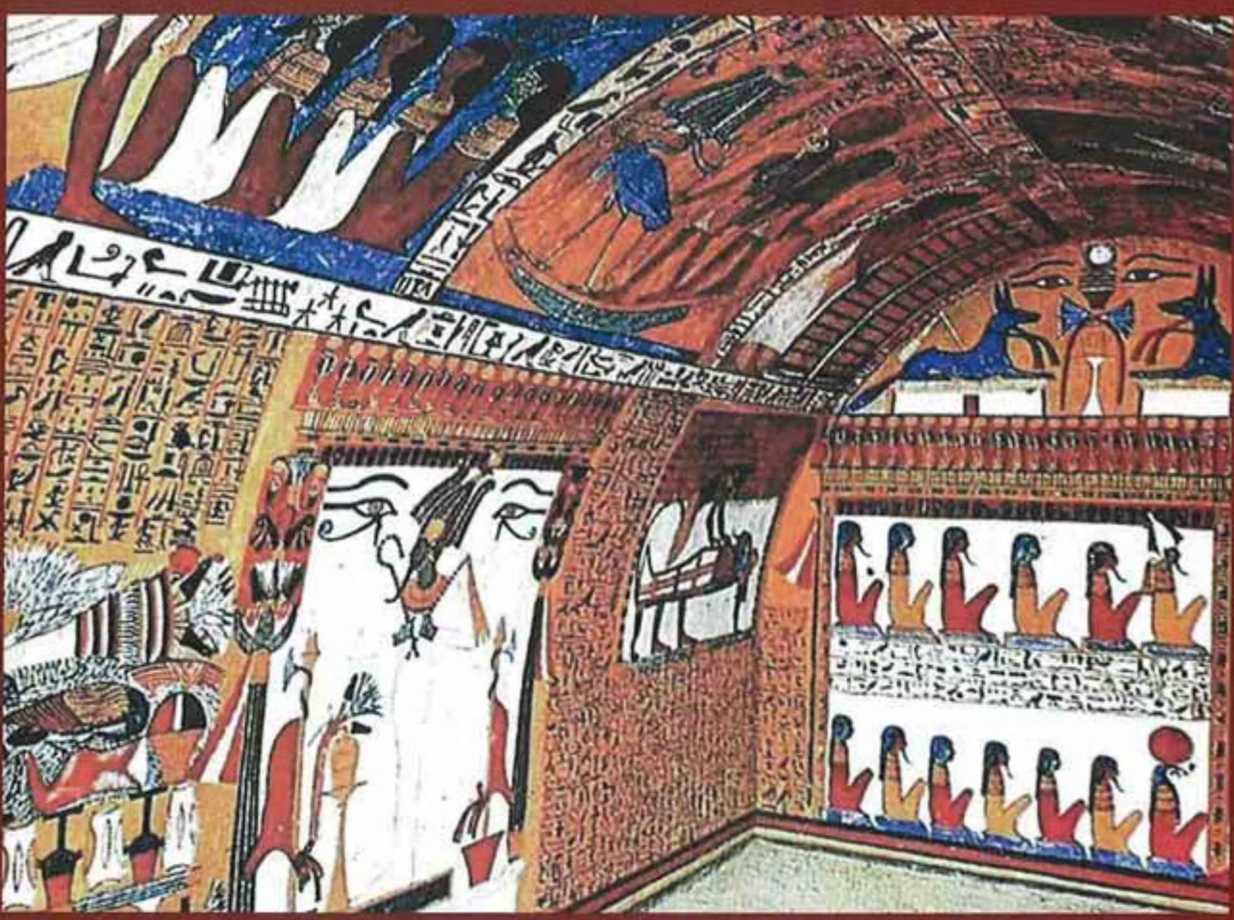


كهنة يقدمون الزيوت لـ «عنخ»

الملح: ذهب رأي إلى أن المصريين إنما استعملوا حمام الملح بعد استخراج الأحشاء في أثناء التحنيط؛ فهناك ما يشير إلى أنهم قد حفظوا الأسماك بطريقة التمليح؛ وذلك بسبب وفرة الملح ورخصه(١٠).

والملح عامل مجفف فعّال جداً فالمحتمل من الوجهة النظرية استخدامه في التحنيط، ومع أنه لم يعثر في المومياوات ما يشير إلى استخدامهم لهذه الطريقة في التحنيط، فليس هناك ما ينفي استعمالها، فضلاً عن العثور على الملح في لفائف الجثث وفوق الملابس التي تنتمي إلى أوائل العصر المسيحي، لكن وجوده بهذا الشكل يؤكد أن تأثيره في تجفيف الجثة كان قليلاً، وربما كان استعماله شعائرياً أو تقليدياً أكثر مما كان عملياً.

الجير: يذهب بعضهم إلى أن المصريين قد استخدموا الجير الحي في التحنيط لإزالة الجلد ثم التأثير فيه بعد ذلك بنبيذ البلح، إذ يرى الدكتور جرانفيل أن الجير قد استعمل في التحنيط ظناً منه أنه استخدم لإزالة البشرة. وهي عملية يفترض بتيجرو أنها أجريت حتى يمكن لنبيذ النخيل الذي ذكره كل من هيرودوت وديودور أن يؤثر بسهولة أكثر في الطبقات العميقة للجلد لغسل الأحشاء ولغسل الجسم من الخارج؛ والدليل الوحيد في

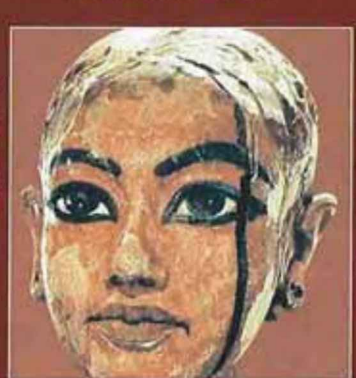


غرفة دفن مزينة الجدران

استعمال الجير هو أن جرانفيل وجد آثاراً طفيفة منه (الكالسيوم) في مومياء تنقصها البشرة(١١).

النطرون: يتكون عادة من خليط من كربونات وبيكربونات وكلوريد وكبريتات الصوديوم إضافة إلى عدة أملاح غير ذائبة، وكان يستخدم على هيئة بلورات ملحية أو محلول مائي، وبدأ استخدامه في التحنيط منذ الأسرة الرابعة وإلى نهاية القرن الخامس ق.م(١٢).

ولعل تفضيل المصريين للنطرون على الملح على الرغم من رخص الأخير ومن معرفتهم لطرائق حفظ الأسماك به، يرجع إلى ما كانوا ينسبونه إلى مادة النطرون من القدسية، فإنه كان يمزج بالبخور، ويغسل به الفم في أثناء الشعائر الدينية، وربما كانت تسميته ومشتقاته كالنترات بلفظة قريبة من (نترى) المصرية التي تعني الطاهر أو الإله، ربما كانت مرتبطة بتلك الرمزية الدينية(١٣).



توت عنخ أمون

ومن العوامل التي جعلت النطرون مادة أساسية ومهمة في عملية التحنيط سهولة الحصول عليه، وإزالته القاذورات من الجسد لاحتوائه على أملاح الكربونات والبيكربونات. ومن ثمّ عُدّ النطرون أعظم عامل مطهر.

وفيما يأتي كشف بالمواد التي استخدمت في عملية التحنيط:

الشمع: كان يستعمل لسد فتحة الفم والأنف وفتحة الخاصرة بعد إتمام التحنيط، وبفحص أنواعه ظهر أنه من شمع العسل الكثير الوجود في ديار مصر(١٤). وكذلك في تغطية الأذنين والعينين وسد فتحات الجثة كافة، وبخاصة أعضاء المرأة التناسلية.

المواد الراتنجية: الراتنج مادة كثيرة الوجود في المقابر المصرية القديمة من جميع العصور، وكانت تستخدم بكميات هائلة في التحنيط كمادة لاصقة في شرائح الضمادات التي تلف الجسد.

ويمكن تقسيم المواد الراتنجية قسمين أساسيين هما: الراتنجات الحقيقية والراتنجات الصمغية.

الراتنجات الحقيقية: وهي التي استخدمت فيما يتعلق بالتحنيط، تشبه الكثرة الغالبة منها إلى حد كبير، في مظهرها وفي صفاتها العامة، الراتنجات المستمدة من المخروطيات، ويبدو مرجحاً أن التي استخدمت في مصر القديمة كانت من أشجار المخروطيات (التنوب والصنوبر).

الراتنجات الصمغية: من المرجح أن تكون من المر، وقد ذكر كل من هيرودت وديودور استخدام المر في التحنيط. والمر: هو راتنج صمغي زكي الرائحة، ويوجد على شكل كتل حمراء ضاربة إلى الصفرة مكونة من قطرات متجمعة، وكثيراً ما يكون مكتسياً بترابه الناعم نفسه.

القار: ذكر كل من ديودور وإسترابو أن المصريين استخدموا القار المأخوذ من البحر الميت في التحنيط، وإن كان أولهما لم يذكره في وصفه التفصيلي لعملية التحنيط، ولكن هيرودوت، مع أنه قد أشار إلى القار في مناسبات متعددة، ووصف الطرائق والمواد التي استخدمها المصريون في التحنيط، لم يذكر أن القار قد استخدم. ويذكر الباحثون في التحنيط من الكتّاب الحديثين أن القار قد استخدم في التحنيط.

نبيذ البلح: كان المصريون أول من اكتشف طريقة التخمر الكحولي، وبذلك استطاعوا تحضير شراب الجعة (البيرة) من الشعير أو الأرز، والنبيذ من البلح والعنب.

ويذكر كل من هيرودت وديودور أن هذا النبيذ قد استخدم لغسل تجويفي الجسم، والأحشاء في أثناء عملية التحنيط، وكذلك كمذيب قوي للراتنج المستخدم في التحنيط دهاناً على الجلد الخارجي للجسد.

نبات الشبّة: كان هذا النبات يستخدم بكثرة في الأسرات المتأخرة لحشو الجثث بكميات كبيرة، وأول من اكتشف وجود الشب في التحنيط الآنسة ماري التي فحصت جثة محنطة فوجدت الشب فيها(١٥).

الكاسيا والقرفة: الكاسيا والقرفة متشابهتان جداً، غير أن الكاسيا أسمك من القرفة وأحدُّ منها رائحة، وطعمها أقل نكهة. والأغراض التي استعملت فيها الكاسيا والقرفة غير معينة في النصوص المصرية القديمة، ولكن من الطبيعي أنهما استخدمتا للتتبيل والتعطير، وربما كبخور أيضاً.

وقد ذكر هيرودوت أن الكاسيا استخدمت في التحنيط كما ذكر ديودور أن القرفة قد استخدمت أيضاً في التحنيط.

زيت الأرز: إن المادة التي أشار إليها كل من هيرودوت وديودور وترجمت بـ «زيت أرز» لم تكن على الأرجح من نتاج الأرز، بل من نتاج العرعر. ويختلف المؤرخان بشأن طريقة استخدام هذه المادة إذ يذكر أحدهما أنها كانت تحقن داخل الجثة، ويذكر الآخر أنها استخدمت لتدهينها. وقد ظل استخدام زيت الأرز فيما يختص بالتحنيط حتى أواخر القرن الأول بعد الميلاد.

الحناء: كثر استخدام أوراق نبات الحناء وأزهاره في مصر القديمة، وكان يستخدم في مختلف مراحل التحنيط، إذ يستخدم كدهان لتجفيف الجلد وحفظه من الإصابة بالفطريات التي تتسبب في عفونته وتحلله. وكثيراً ما لوحظ أن أظافر أصابع الأيدي والأقدام في المومياوات كانت أحياناً مصبوغة بالحناء.

حب العرعر: وجدت بذور نبات العرعر في المقابر المصرية القديمة، وكان يستخدم بكثرة في مواد الحشو الداخلي للجثة بعد نقعها في ملح النطرون، ويظهر جلياً أنه عندما كان يستخدم في التحنيط لابد أن يكون الداعي إلى ذلك إما الظن بأن له خواص

خزانة توت عنخ آمون



أنوبيس إله الموتى الأول

الآلة التي يتم بها سحب المخ عن طريق الأنف

حافظة، وإما ما كان له من أهمية شعائرية.

التوابل: أشار كل من هيرودوت وديودور في كتاباتهما إلى استعمال التوابل في التحنيط، ولكن لم يذكر أي منهما شيئاً عن الأنواع التي استخدمت منها. ولكن عثر في المومياوات على الدارصيني والقرفة وغيرهما، والمجلوبة إلى مصر من بلاد الصومال خلال الأسرة الثامنة عشرة.

قطران الفحم: لم يذكر هيرودوت وديودور القطران في التحنيط، لكنه وجد مغطياً لجزء من مومياء يرجع تاريخها إلى القرن الثاني ق.م ومستخرجاً من أشجار الأرز أو الصنوبر.

الدهانات: لم يبين ديودور طبيعة الدهانات التي ذكر أنها استخدمت لتدهين الجثة بعد التحنيط، ولا توجد بيّنة في المومياوات يمكن بوساطتها التحقق من تركيب هذه الدهانات.

وقد ورد بعدة برديات متأخرة (من العصرين البطلمي والروماني) وصفٌ للحفلة الدينية التي كانت تقام بعد فراغ المحنطين من تجهيز المومياء وقبل لفّها، وتستمر أيضاً في أثناء عملية اللف.

ويتضمن الجزء الأول تدهين الجسم بدهانات معينة تتركب من راتنجات صمغية ذات رائحة زكية مثل الكندر والمر وزيوت ودهنيات شتى. وبعد إعداد المومياوات وتدهينها ولفّها كانت تقام أحياناً حفلة أخرى تتضمن صب مادة راتنجية سائلة أو شبه سائلة على المومياء، وأحياناً على التابوت وعلى الأحشاء أيضاً بعد وضعها في صندوق الأحشاء(١٦).

البصل: يذكر روفر أنه كثيراً ما وجد البصل فيما بين لفائف مومياوات الأسرة الحادية والعشرين أو في توابيت هذه المومياوات، وكذلك وضع قشر البصل أحياناً على عين الميت منذ الأسرة الحادية عشرة، ووجد إليوت سميث أيضاً بصلاً على بعض حالات المومياوات.

وكان هذا البصل موضوعاً في تجويف الحوض في سبع حالات، وفي التجويف الصدري في خمس حالات، وفي الأذنين في حالة واحدة، وفي مقدمة العين في حالة واحدة أيضاً. ويذكر أن البصل قد استخدم بكثرة في عملية التحنيط في الأسرات العشرين والحادية والعشرين والثانية والعشرين(١٧).

أهمية التحنيط

أتاح التحنيط لقدماء المصريين فرصة معرفة الأحشاء الداخلية من حيث الشكل والمادة وعلاقة بعضها ببعض. إذ إن هذه العملية استوجبت إخراج الأحشاء البطنية والصدرية والتأثير بالعقاقير. وأتاح ذلك أول مرة في تاريخ الإنسان معرفة الأعضاء الباطنية لجسم الإنسان وصلة بعضها ببعض، وموازنتها بأحشاء الحيوانات التي كان المصريون يذبحونها، مما أفادهم علماً بالتشريح المقارن. كما أنها عوّدت العقول هضم الفكرة التي مضمونها أن فتح الجثة لا يعد تمثيلاً بها، وأتاحت لأطباء العصر البطلمي تشريحها تشريحاً منظماً، بينما كان التشريح محرماً على شعوب العالم الأخرى كافة.

كما استفاد المصريون من طريقة التحنيط في إماطة اللثام عن كثير من الأمراض التي عانى منها القدماء وطرائق علاجها، وكذلك في إظهار بعض الحوادث والجرائم التي بان أثرها في بعض المومياوات. إذ أمكن - بدراسة الجثث المحنطة - معرفة تاريخ جملة أمراض مهمة مثل مرض الحصاة، ومرض البلهارسيا والأمراض الشريانية، والتهاب المفاصل، وجملة أمراض أخرى تخص العظام.

كما ساعدت عملية التحنيط على كشف النقاب عن التطور الحضاري العظيم الذي وصل إليه قدماء المصريين في الجراحة والطب والصيدلة، واكتشاف المعلومات المصرية القديمة الخاصة بعلوم الكيمياء والنبات.

المراجع

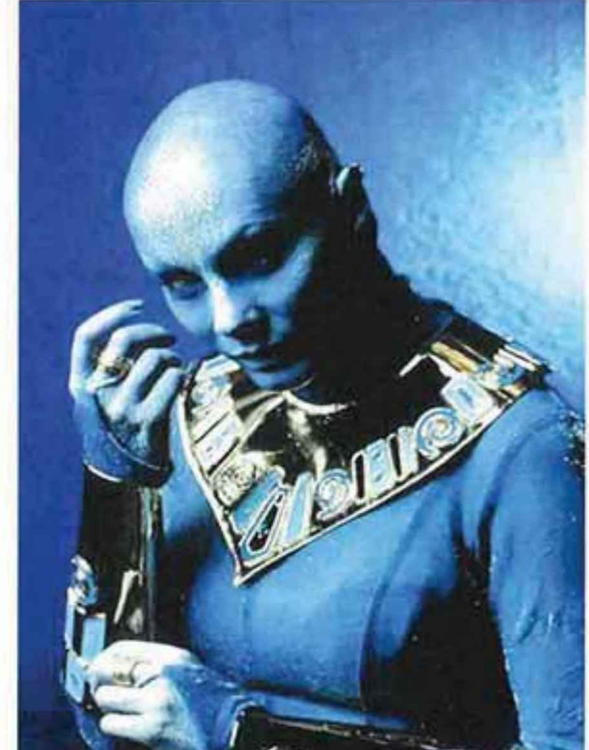
١. طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢: حضارة وادي النيل - شركة التجارة والطباعة المحدودة، ط٢، بغداد ١٩٥٦م - ص٤.
٢. د. سليمان حزين/ حضارة مصر أرض الكنانة - دار الشروق، القاهرة وبيروت، ط١، ١٩٩١م، ص٦٧ - ٦٨.
3 - J.H - Breasted: The Down of Con-science - New. York - 1939 - P:45.
٤. د. يوليوس جيار و د. لويس ريتر/ الطب والتحنيط في عهد الفراعنة - ترجمة: أنطون ذكرى، مكتبة المتحف المصري، ص١٤٤ - ١٤٥.
٥. آلن - شورتر، الحياة اليومية في مصر القديمة - ترجمة: نجيب إبراهيم ،الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٧، ص٩٤.
٦. جورج بوزنر (وآخرون) / معجم الحضارة المصرية القديمة - ترجمة: أمين سلامة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٢م، ص٢٤٨.
٧. د. محمد جمال الدين مختار (وآخرون) /تاريخ الحضارة المصرية - العصر الفرعوني، مكتبة النهضة المصرية، القاهر، ص٥٦٦.
٨. د. جوزيف كلاس/ مسيرة الطب في الحضارات القديمة، دار طلاس، دمشق ط١، ١٩٩٥م، ص١٧٢ - ١٧٣. مجموعة من الأساتذة/ الموسوعة المصرية - المجلد الأول ج١، وزارة الثقافة والإعلام بمصر، ص١٧٣.
٩. د. حسين فرج زين الدين/ التحنيط، دار الفكر العرب، ص٤ - ٥.
- د. سمير يحيى الجمال/ تاريخ الطب والصيدلة المصرية في العصر الفرعوني، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٤م، ص٢٦٥ - ٢٦٦.
- د. محمد بيومي مهران/ الحضارة المصرية القديمة ج١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م، ص١٠٢. طه باقر / مصدر سابق، ص١٠٢.
يوليوس جيار ولويس ريتر / مصدر سابق، من ص١٢١ حتى ص ١٢٧.
١٠. د. محمد بيومي مهران/ مصدر سابق، ص٤٤٨.
١١. ألفريد لوكاس/ المواد والصناعات عند قدماء المصريين،ترجمة: زكي إسكندر ومحمد غنيم، مكتبة مدبولي، القاهرة ط١، ١٩٩١م، ص٤٥٠.
١٢. د. سمير يحيى الجمال، مصدر سابق، ص٢٦٦.
١٣. د. محمد جمال الدين مختار/ مصدر سابق، ص٥٧٠.
١٤. د. حسن كمال/ الطب المصري القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة ط١. ١٩٩١م، ص٢٩٥.
١٥. المصدر نفسه/ ص٢٩٥.
١٦. ألفريد لوكاس/ مصدر سابق ص٥٠١.
١٧. المصدر نفسه/ ص٥٠٧ - ٥٠٨.
- مصادر الصور موقع المتحف البريطاني على الإنترنت.

الهوس والمهووسون

عبدالرحمن العيسوي
الإسكندرية - مصر

للفظ الهوس Mania معانٍ كثيرة، فقد يعني حالة من الجنون، أو عرضًا من أعراض الجنون، أو الذهان العقلي، أي المرض العقلي Psychosis. وقد يكون اضطرابًا بذاته، وقد يرتبط بنوبة أخرى في حالة الذهان المعروف باسم «ذهان الهوس /الاكتئاب».

وفي هذا الذهان تتناوب على المريض نوبة متتابعة أو متعاقبة من الهوس، وفيها يشعر المريض بالفرح الزائد والبهجة الزائدة عن الحد، وكثرة الحركة والحيوية والنشاط، وسرعة الانتقال من فكرة إلى أخرى، وكثرة الأحاديث الهاتفية، والانتقال من عمل إلى آخر قبل أن ينجز العمل



الأول، ويشبه المريض، في هذه الحالة، النحلة في حركتها الدائبة. وهو لا يكلّ ولا يملّ كل الأنشطة، فيكتب الخطابات المطولة ويمزقها، ويبدأ الأعمال والمشاريع ولا يكملها، وتتزاحم في ذهنه الأفكار في فيض متلاحق منها، وتكثر في ذهنه الخطط والمشاريع التي لا يكمل أيًا منها.

وأما الدورة الثانية من هذا الذهان فهي دورة الاكتئاب والحزن والخمول والكسل وانكسار النفس وانخفاض الروح المعنوية والحزن والتراخي والانطواء والانسحاب والانزواء.

الهوس.. أنواع!!

ولمصطلح الهوس معنى آخر هو الولع الشديد بالقيام بنشاط معين، أو الاهتمام الشديد بموضوع ما أو سلوك معين، والمرح والإثارة والتهيج والثورة والنشاط المفرط والهيجان الحركي الشديد. ويتخذ الهوس هذا أشكالاً متعددة، وينتشر في أنشطة كثيرة، فمنه هوس القتل أي الميل الزائد نحو قتل الأشخاص الآخرين Homicdomania.

وقد ظهرت هذه الحالة في التاريخ لدى كثير من المرضى والشواذ وعتاة المجرمين والسفاحين، من ذلك ما عرف في تاريخ الإجرام المصري باسم «سفاح كرموز» نسبة إلى حي شعبي بمدينة الإسكندرية كان يقيم فيه هذا السفاح الذي قتل عدداً كبيراً من الناس. وظهر هوس القتل هذا لدى كثير من قادة النازية في أثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥م.

وهناك هوس الأدوية، أي الولع الشديد بتعاطي الأدوية والعقاقير Pharmaco-mania كما أن هناك هوس الأساطير Mythomania، وهو ميل نحو الكذب وابتداع القصص والروايات والأساطير الخيالية. وهناك حالات غريبة من الهوس كالولع الشديد بالاستلقاء على الفراش Clinomania. وتختلط حالة الهوس بحالات عقلية أخرى مثل الوسواس، وهو اضطراب يؤدي إلى هبوط أفكار غريبة وشاذة تظل تهبط على ذهن الفرد وتقض مضجعه دون أن يتمكن من التخلص منها، وفي الغالب ما تكون أفكاراً سخيفة، كرغبة المريض في إضرام النار في منزله. كما تتشابه حالة «المانيا» أي الهوس باضطراب الأفعال القهرية أو القسرية أو الإجبارية أو الاستحواذية التي يجد الفرد نفسه مسوقاً إليها على الرغم من إرادته، ولا يستطيع منها فكاكاً، ويضطر إلى القيام بها مع علمه أنها أفعال سخيفة وتافهة وعديمة المعنى، مثل غسل الأيدي مئات المرات في اليوم، أو عد أعمدة الإضاءة، أو حصر درج السلم كلما هبط أو صعد الفرد على الدرج نفسه. ويشبه ذلك هوس الاغتسال والنظافة الزائدة عن الحد Ablutomania. وهناك هوس الأفيون Opiomania، وهو الميل المرضي الشديد لتناول أو تعاطي الأفيون، كما أن هناك هوس تناول الطعام بصورة مفرطة Phagomamia. وهناك الميل الهوسي للضحك والفرح والانشراح Cheromania. وقد يجد الفرد نفسه ميالاً أو مدفوعاً نحو المشي والجري Dromomania، وهناك هوس التكسير، وفيه يجد الفرد نفسه مسوقاً إلى تحطيم الأشياء التي تقع في متناول يديه. ومن الحالات الغريبة أن يتوهم المريض بهوس التلاشي أنه قد تلاشى فعلاً من الوجود ولم يعد موجوداً. وهناك الهوس الجنسي، أي الولع الشديد بأمور الجنس سواء عند الذكور أو الإناث. ومن غرائب هذا الاضطراب ما يعرف باسم الهوس الحسابي إذ يجد الفرد نفسه مسوقاً للقيام بعمليات حسابية



وللنوم.. هوس!

متكررة مثل عد حروف الكلمات في نص من النصوص، أو عد الخطوات التي تفصل مكاناً ما عن مكان آخر. وهناك هوس السرقة القهرية Kleptomania، إذ يجد المريض نفسه مدفوعاً لسرقة أشياء ليس لها قيمة اقتصادية بالنسبة إليه كالملابس الداخلية للإناث. وهناك من يهتم اهتماماً هوسياً بالسماء وما يوجد فيها ويظل ينظر صوبها. ولدى بعض النساء ميل قهري هوسي للشراء يتمثل في شراء ملابس وحلي وأدوات لسن في حاجة واقعية إليها، ولكن الواحدة منهن لا تقوى على مقاومة هذا الإغراء. وهناك من يهتم اهتماماً زائداً عن الحد أو اهتماماً مرضياً بعمله. ومن مظاهر الهوس الخطيرة هوس العض، إذ يجد المريض نفسه مضطراً إلى عض غيره من الناس. بل إن المريض في بعض الحالات قد يعاني من هوس عقاب ذاته، فيأخذ في إيقاع الأذى بنفسه. ولقد لوحظ لدى بعض الناس الميل القهري الهوسي لجمع الأموال واكتنازها مما تكشف عنه بعض الحالات التي تقبض عليها الشرطة من بين محترفي التسول.

ويوجد مثل هذا الميل لدى المصابين بدرجات كبيرة بالبخل والشح، وفي الواقع إن جميع الأنشطة قد تتحول إلى حالة من الهوس أو الولع الشديد، ومن ذلك هوس حب القراءة والاطلاع، ومثلها هوس الكتابة، وقد يوجد بصورة

معتدلة لدى بعض الأدباء والكتاب والعلماء والفلاسفة والقصاص والروائيين.

وهناك حالة يجد الفرد نفسه فيها مسوقاً لشراء الكتب واقتنائها.

ومن الاضطرابات العقلية اللغوية استعمال بعض المرضى لغات ليس لها معنى، أو مقعّرة أو استعمال ألفاظ منحوتة نحتاً.

وبالمثل هناك من يبالغ في استخداماته للمياه، وقد يعاني الإنسان من ميل مرضي نحو جمع التحف والعاديات والآثار، أو الاهتمام الشديد بالأشياء المقدسة. ومن مظاهر الهوس المزعجة هوس الموت إذ تسيطر على الإنسان فكرة الموت، ويشغل ذهنه بها باستمرار. ومن مظاهر الهوس الخطيرة هوس إضرام النار Pyromania وقد يحدث فعلاً في أن تشب الحرائق بسبب نشاط هؤلاء المرضى وحبهم الاستمتاع برؤية ألسنة اللهب.

ومن الأعراض الهوسية كذلك هوس نتف شعر الرأس أو نتف الحواجب(١).

تعدد مستويات الهوس

لحالة الهوس مستويات أو درجات مختلفة، فهناك الهوس الحادّ أو المسّ الحاد Acute mania، كما أن هناك الهوس المزمن Chronic mania. وهناك الهوس الخفيف أو البسيط، ومن أنواع الهوس التي كانت أكثر انتشاراً في العصور الوسطى وقلّت في هذه الأيام: هوس الرقص أو الولع الشديد بالرقص Dancing mania وهو نوع من الرقص الهستيري. ومن الأعراض المزعجة إصابة المريض بهوس الشك والريبة.


هناك من هو مهووس بإضرام النار

الهوس الدائم والمؤقت العارض

هناك الهوس الهستيري أي المرتبط بأعراض عُصاب الهستيريا، وهناك الهوس الفني والأدبي والديني، وهناك هوس الشيخوخة.

وقد تكون حالة الهوس دائمة، وقد تكون وقتية عارضة، وعلى ذلك فإن اضطراب الهوس يرتبط بما يأتي من الاضطرابات الأخرى:

- عُصاب **الهستيريا**: وهو مرض نفسي وظيفي.
- عُصاب **الفوبيا**: وهو خوف شاذ أو مرضي من أشياء مثل المياه الجارية.
- عُصاب **الوسواس القهري**: وهو تسلط أفكار وأفعال على ذهن الفرد.
- ذهان **الاكتئاب**: وهو مرض عقلي من أهم أعراضه الحزن الشديد.
- ذهان **الشيخوخة**: وهو مرض عقلي يصاحب التقدم في الشيخوخة(٢).

فأعراض الهوس مشتركة مع اضطرابات أخرى، ولذلك يمكن أن نتبين أن هناك حالتين من الهوس:


الخوف الشاذ من أنواع الهوس

الهوس

حالة انفعالية	حالة عقلية ذهنية مرضية
نفسية وجدانية	كالقتل وامتصاص الدماء
مثل الولع بنشاط	والاغتصاب والتلاشي أو
معين مثل القراءة والكتابة	العدم

وفي حالة هوس الكذب يميل المريض إلى اختلاق قصص وحكايات وهمية، يدّعي أنها حدثت له بالفعل، ويظل يكررها حتى وإن تمت مواجهته بكذبها، وربما كانت لها وظيفة لديه في توكيد ذاته، أو للإشباع الوهمي لبعض الدوافع المكبوتة، أو لتغطية بعض أوجه النقص، أو لملء فجوات في الذاكرة. كذلك الخادم الذي كان يدعي أنه كان ملكًا على إفريقية(٣)، فالهوس من الاضطرابات الانفعالية.

تعدد أعراض الهوس ومجالاته

وتشمل أعراض الهوس ما يأتي:

- مشاعر المريض وانفعالاته كالفرح والبهجة والانشراح.
- أفكار المريض كاعتقاد المريض أنه شخصية عظيمة.
- حركات المريض كالنشاط الحركي الزائد.

ويصاب بتطاير الأفكار، وعدم ترابطها أو تماسكها، وقد يعبر من خلالها عن شعوره بالعظمة والثقة الزائدة بالنفس، ويشعر بالصحة والمرح والانشراح والسعادة والبهجة والتفاؤل، وتغلب عليه سرعة التقلب في المزاج مع كثرة الحركة، وقد يظل المريض بالهوس مستمرًا في بذل الجهد والطاقة حتى تنفد طاقته فيموت. وقد تظل حالة الهوس تصاحب صاحبها مدة قد تصل إلى ثلاثين عامًا. وهناك حالة من الهوس تصاب بها النساء بعد الولادة. وفي حالة هوس الخطابة يصبح المريض مولعًا بالخطابة. وهناك هوس التعذيب أي الولع الشديد بإنزال الأذى بالآخرين. وتعرف هذه الحالة بالسادية Sadism وفيها يستدر المريض لذته من إنزال الأذى بالآخرين، وترتبط بالنشاط الجنسي،




هوس الطعام!!



هوس غسل اليدين

وترجع إلى الماركيز دي ساد Maquis de sade (١٧٤٠-١٨٨٤م).

وهناك هوس الغناء أي الولع الشديد بالغناء. وهناك نوع من الهوس أو المس يدفع صاحبه للتفوه بالألفاظ البذيئة.

وهناك الشخص المهووس بالإطراء أو الثناء والمديح المستمر، وهو نمط مغرور من الناس.

وهناك حالة من الهوس يكف المريض فيها عن القيام

بأي عمل، بل يمنع غيره من القيام بأي نشاط خوفاً عليه من الأذى. وهناك هوس الأنانية. وفي هوس التفاني يرغب الفرد رغبة عارمة في أن يهب نفسه لخدمة الآخرين ويتفانى في حبهم. وهناك هوس الجمال حيث يطلب المريض الجمال، وهناك هوس حب الوطن، ويشتد لدى الفرد في حالة الغربة عن أرض الوطن. وفي بعض حالات الهوس يتوهم المريض أنه أصبح ذئباً أو أنه قادر على تحويل غيره إلى حيوانات ، وفي هوس الشيطان يتوهم المريض أن الشيطان قد تلبسه، وكانت فكرة تلبس الجن والشياطين والأرواح الشريرة سائدة في العصور الوسطى، وكانت تعزى إليها الأمراض العقلية.

الهوس بين كبار الشخصيات التاريخية

وهناك مشاهير في العالم بدت عليهم أعراض من الهوس المعروف باسم هوس القياصرة Caesarmania، وهو نوع من شعور المريض بالتسلط والتحكم في أقدار الناس، وقد يشعر به بعضهم مجرد وهم فقط، وقد نلمس هذه الأعراض(٤) لدى بعض مشاهير التاريخ ومنهم:

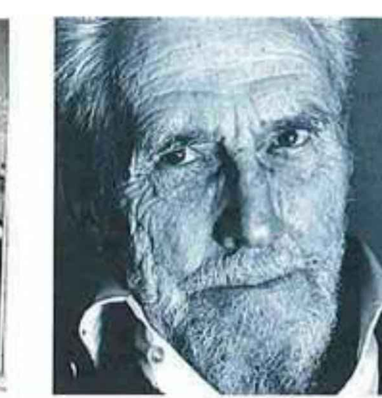
- نيرون Nero: وهو الإمبراطور الروماني الشهير (٣٧ - ٦٨م) حكم روما في المدة من (٥٤ - ٦٨م) وقد تميز عهده بالطغيان والوحشية والقسوة، حتى قام بحرق روما في عام ٦٤م.

- هتلر: وهو مؤسس الفلسفة النازية Nazism، وهي الحزب الاشتراكي الوطني الألماني الذي حكم ألمانيا بزعامة أدولف هتلر من (١٩٣٣ - ١٩٤٥م) أي حتى هزيمة ألمانيا على يد الحلفاء وانتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م).

وأدولف هتلر Adolf Hitler عاش بين عامي ١٨٨٩و ١٩٤٥م، وقد أدت سياسته التوسعية، وكذلك اعتقاده في سمو الجنس الألماني على سائر الأجناس، إلى نشوب الحرب العالمية الثانية التي قتل فيها أكثر من ٢٠ مليوناً من البشر.

- بنتو موسوليني Bento Mussolini: عاش في الفترة من (١٨٣٣ - ١٩٤٥م)، وهو زعيم إيطاليا الفاشي، وقد هزمت قواته في الحرب العالمية الثانية وتم اغتياله، واشتهر بالقسوة والعنف.

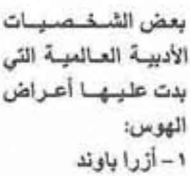
- وهناك إيفيا هولاكو Hulago (١٢١٧ - ١٢٦٥م): وهو إمبراطور مغولي حفيد جنكيز خان. وقد دمر هولاكو مدينة











بعض الشخصيات الأدبية العالمية التي بدت عليها أعراض الهوس:
١ - أزرا باوند
٢ - همنغواي
٣ - ج.د. سالينجر
٤ - غوته
٥ - إليوت
٦ - فولكنر



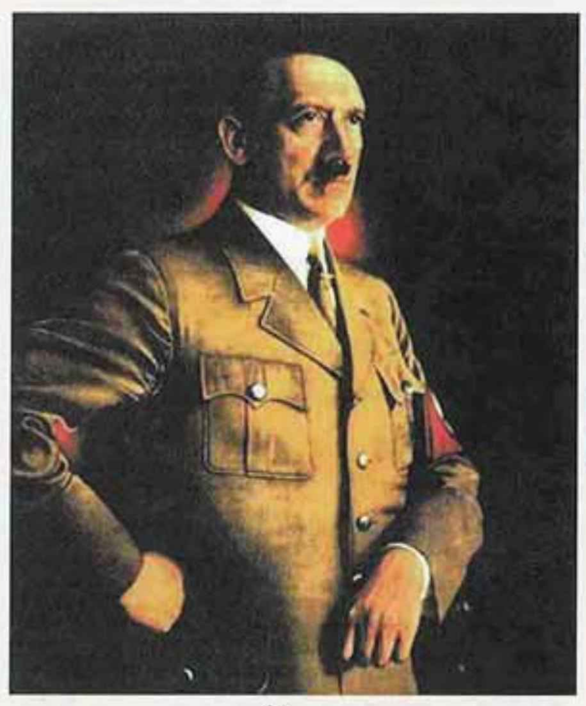
موسوليني

بغداد، وقضى على الخلافة العباسية (١٢٨٥م)، وعرف بوحشيته.

- وأما **جنكيز خان**: فهو ابن يشوكي (١١٦٧ - ١٢٢٧م)، وهو مؤسس الإمبراطورية المغولية. ولد في بلاد الروس حالياً وقد هز بفتوحاته الدول التي بين الصين والبحر الأسود.

وتاريخ دولة إسرائيل زاخر بالشخصيات المولعة بالقتل وسفك الدماء العربية وارتكاب المذابح والمجازر في دير ياسين وبحر البقر وقانا، وفي صبرا وشاتيلا في لبنان، وتاريخهم كله ملطخ بالدماء العربية، ومنهم أريل شارون رئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي، وقد يرجع ذلك إلى شعورهم الدفين بالضعف وانعدام الثقة، ولذلك يلجؤون إلى المبالغة في العنف والقتل وسفك الدماء وتدمير منازل العرب. مع ارتباط ذلك بتحلل أخلاقي وانفلات من كل المواثيق الدولية والمعاهدات والقوانين، وعدم التزام حتى المعاهدات التي يوقعون هم أنفسهم عليها؛ وإلى جانب ذلك فقد عرف عن اليهود الرغبة في العزلة عن المجتمعات التي يعيشون فيها، والانغلاق الثقافي فيما يعبر عنه بفكرة «حارة اليهود»، ومن سماتهم النفسية الولع الشديد بالبخل والشح وجمع الأموال واكتنازها، والسيطرة من خلالها على العالم، ذلك لفقدانهم الثقة بأنفسهم.

والمهووس يكون مملوءاً بالنشاط والانشراح والسرور والبهجة والرضا عن النفس، والسعادة بالظروف التي يعيشها، مع سرعة نشاطه الحركي والعقلي، ويتسم



هتلر

بالتعجل، ويتنقل بانتباهه من موضوع إلى آخر بسرعة دون أن يكمل ما بدأه.

ويعوز نشاطه التحكم والضبط والسيطرة، ويكثر من الضحك وإلقاء النكات الساذجة. ويتسم المهووس بالانبساط، فالهوس اضطراب انفعالي(٥) وعقلاني أيضاً وسلوكي أو أخلاقي.

فالحماس إذا زاد عن الحد أصبح هوساً وولعاً زائداً عن الحد، وفي حالة الهوس الديني قد تتقاتل طوائف متناحرة داخل الديانة الواحدة، ومن ذلك ما يحدث في بعض الأحيان في الهند حين يسود العنف الديني.

ولوضع مزيد من التحديد الدقيق لحالة الهوس نسوق للقارئ الكريم تعريفاً دقيقاً وشاملاً لهذه الحالة حتى تتضح الصورة المرضية لهذا الاضطراب المتعدد المجالات، والمتعدد المستويات، إذ لا يظهر في مجال واحد وإنما في عدد من المجالات، كالمجال الجنسي والديني والفني والأدبي والعلمي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي. يعرف بأنه:

mania = an emotional disorder during which there is elation, talkativeness impatieence with others, over - codifidence and an uncontroblled flight(6) of ideas.

فالهوس اضطراب انفعالي من أعراضه الفرح الشديد أو البهجة أو الغبطة الزائدة، وكثرة كلام المريض، وقلة صبره على الآخرين، والشعور الزائد عن الحد بالثقة بالنفس، **وتطاير الأفكار بصورة تخرج عن نطاق سيطرة المريض وتحكمه في أفكاره.**

وقد يوجد الهوس لدى بعض معتادي الإجرام، أو لدى بعض الإرهابيين إرهاباً حقيقياً، ولا يشمل بالطبع المدافعين عن أوطانهم . وكذلك قد يوجد الهوس لدى مرتكبي(٧) جرائم الاغتصاب Rapists، وبالنسبة إلى هوس القتل أو الاغتيال، أو جنون القتل أو هوس تسلط القتل، فإن صاحبه يقدم على القتل عن قصد أو بلذة أو غرور، ولا يخاف من عواقب الجريمة(٨).

وقد ترجع حالة الهوس إلى عملية إنكار لا شعوري لما يعاني منه المريض فعلاً من الاكتئاب، فيتحول إلى الضد(٩). وقد يتخذ طموح الإنسان الزائد عن الحد شكلاً هوسياً ambitious mania أو هذياناً في العظمة.

وبذلك قد يظهر الهوس في نواحٍ إيجابية أو يعبر عن نفسه في جوانب سلبية من السلوك:

الهوس

مجالات إيجابية	مجالات سلبية
كالقراء والكتابة	كالسرقة وإضرام النار

وكذلك قد يتخذ شكلاً مرضياً، وقد يتخذ شكلاً سوياً:

الهوس

شكل مرضي	شكل سوي
كالقتل والاغتصاب	كحب القراءة والبحث
والسرقة وإضرام النار	والاطلاع والولع بالفن

وقد يكون حاداً عنيفاً لا يقاوم، وقد يكون بسيطاً خفيفاً:

الهوس

حاد عنيف	بسيط وطفيف

وعلى ذلك فالهوس ليس مرضاً واحداً، ولا عرضاً واحداً، ولكنه عدة أعراض وعدة أنواع، وله عدة مجالات يظهر فيها، وله مستويات كثيرة تراوح بصاحبها من السواء إلى المرض العقلي الشديد. فالولع بالقراءة والاطلاع والبحث والتنقيب والتجريب والعمل والنشاط والحيوية جانب إيجابي، وقد يوجد لدى كثير منا.

أما الهوس الجنسي أو هوس الاغتيال أو امتصاص الدماء أو هوس الأذى فإنه ضرب من ضروب الانحراف السلوكي.

أما الوضع المثالي الذي يتعين أن نربي أبناء الجيل الصاعد عليه فهو، كما يعلمنا إسلامنا الحنيف، التوسط والاعتدال بين الإفراط الزائد عن الحد والتفريط: أي الإهمال الزائد عن الحد، أو بين الشدة واللين.

وتؤدي عملية التنشئة الاجتماعية الصالحة دوراً رئيساً في حماية الإنسان منذ نعومة

أظفاره من خطر الإصابة بمثل هذه الاضطرابات، ومنها الهوس والسادية والشك والريبة والخلط والتشويش والوسوسة والقهر وتوهم المرض والمعاناة من المخاوف الشاذة، أو الاكتئاب والحزن والهم والغم والنكد، أو القلق والشد والتوتر والصراع والهستيريا. فلنا نحن - المسلمين - في إسلامنا أسوة حسنة(١٠)، وفيه نجد القدوة الصالحة والمثال الطيب الذي يقتدى به.

المراجع

١. عبدالمجيد سالمي وآخرون /معجم مصطلحات علم النفس، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب - المصري، القاهرة، لبنان - بيروت، ١٩٨٨م ص٢٥٢.
٢. حامد زهران/ قاموس علم النفس، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٧م ص٢٨١.
٣. فرج عبدالقادر طه وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، ب ت ص٤٧٨.
٤. عبدالمنعم الحفني، موسوعة الطب النفسي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢م ص١٤١١.
٥. فرج عبدالقادر طه وآخرون/ موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار سعاد الصباح، القاهرة، والكويت، ١٩٩٣م، ص٨٢٩.
6- Stratton, p. and Hayes, N.,A student's dictionary of psychology, Arnold, London, 1999, p.159.
7- Gallatin, J., Abnormal psychology, Macmillan publishing, 1988, p.645. N.Y.
٨. كمال دسوقي/ ذخيرة علوم النفس، الدار الدولية، القاهرة، ١٩٩٨م ص٦٤٥.
٩. المصدر السابق، ص٨٢٢.
١٠. عبد الرحمن العيسوي، الأعصبة النفسية والذهانات العقلية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

التنجيم
في مواجهة مع الحضارة الإسلامية

عبدالأمير المؤمن
قم - إيران

التنجيم، هذا الحقل المعرفي المرفوض علميًا، والخائف من تقانة (تكنولوجيا) العصر، عاش آمنًا في ظل الحضارات القديمة، وأدى دورًا أساسيًا في حاضرها ومستقبلها. لكنه حين وصل إلى الحضارة الإسلامية، واجه حضارة من نوع آخر، وقفت في وجهه، واستخدمت كلّ طاقتها وأدواتها في سبيل الحدّ من سيطرته واستمراره. فكان القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال العلماء والمفكرين، سيوفًا مُصْلَتة على خرافاته وأوهامه وخزعبلاته.



والتنجيم، هذا الحقل القديم، عاش جنبًا إلى جنب مع علم الفلك الرصدي، ولم يعش آمنًا لحظة واحدة في ظل الحضارة الإسلامية، ولم يلْتق ثانية واحدة معها، لقد عاش موازيًا للخط الفلكي العلمي، طول التاريخ العلمي الإسلامي، لم يؤثر في هذا الخط الأصيل، ولم يوقف مسيرته الظافرة، ولم يستطع أن يحتويه كما احتوى تنجيم الحضارات القديمة فلكها، وابتلعه في أحيان كثيرة.

التنجيم خرافة وافدة

والتنجيم Astrology خرافة، وليس علمًا يخضع لمنهج علمي صحيح، وإن تضمن عناصر علمية أخذها من العلوم الأخرى، ولاسيما علم الفلك، التوأم الملاصق له طول التاريخ الحضاري القديم.

ويمكن إجمال فكرة التنجيم، بأنه ربط بعض الظواهر الفلكية والتشكيلات السماوية بحوادث تحدث على الأرض؛ فقد تصْطفّ الكواكب بشكل معين، ويحدث في أثناء ذلك الاصطفاف حادثةٌ أرضيةٌ، سواء أكانت بشرية، كالحروب والنزاعات وقتل زعيم أو سلطان، أم طبيعية، كالزلازل والبراكين والفيضانات وما إليها، فالربط بين ذلك التشكيل السماوي، وتلك الحادثة أو الكارثة الأرضية، هو ما ندعوه «التنجيم».

وفي الحضارة الإسلامية، أُطلق على التنجيم مصطلح «أحكام

النجـوم»، وهناك تسميات أخـرى (علم الأحكام، علم النجـوم، علم صناعة النجوم، علم النجامة)(١).

وذكرت مصادر اللغة فـي تعريفه: «والمنجّم والمتنجّم والنجّام من ينظر فيها [النجوم] بحسب مواقيتها وسيرها»(٢).

وفي المعنى الاصطلاحي ذكـر حـاجي خـليفـة المتـوفى سنة ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م أنّه «هو الاسـتـدلال بالتـشكلات الفلكيـة من أوضاعها وأوضاع الكواكب في المقابلة والمقارنة والتثليث والتسديس والتربيع على الحـوادث الواقعة فـي عالم الكون، والفسـاد في أحوال الجو والمعـادن والنبات والحـيوان، وموضـوعه الكواكب بقـسميها، ومبادئه اخـتـلاف الحـركات والأنظار والـقران، وغـايتـه العلم بما



أفلاطون وأرسطو

سيكون لما أجرى الحق من العادة بذلك مع إمكان تخلفه عندنا كمنافع المفردات»(٣).

ولو تتـبـعت تاريخ التنجـيم، من يوم وُلد ونشـأ وترعـرع ونضج، لوجدت صـفةً مشتـركة في هذه المادة على اختـلاف المراحل التي قد مرّت بها، صـفةً أعاقتـها عن النمو والتطور، والحصـول على مركز علمي بين العلوم المخـتلفـة، تلك هي الربط غيـر العلمي بين السـبب والمسبّب. فأيُّ علاقة بين الكسوف أو الخسوف الفلاني أو اصطفاف عـددٍ من الكواكب على خطٍ واحـد، ومـوت الحـاكم الفلاني أو قـيـام الحرب الفلانية، أو حدوث هذه الزلزلة أو ذاك البركان؟

بالطبع لا علاقة علميةً في ذهن المنجم على الأقل. إن هذا الربط غير العلمي كان موجـوداً في عقل أول من عرف التنجيم، وآخر من آمن به ومارسه، أينما كان.

وقد كـان التنجيم في بدايته ممتـزجاً بالفلك، فكان الإنسـان القديم يعـتـقـد بوجـود أرواحٍ تسكن الكواكب والـنجـوم والظواهر الكونيـة المختلفة، وحين كان يـنظر إليها ويتتبعهـا، ويربط بينها وبين حوادث وكـوارث تقع على الأرض، كـان ذلك هو ممارسـة الـتنجـيم والفلك مـعـاً. وقـد عـاش هذا الهـاجس في داخل الإنسـان في كل مـراحل التاريخ الحضـاري القديم، ومنها الحضارات القـديمة الكبرى. فعلى الرغم مـن تكدس الأرصـاد، وتطور الملاحـظات الفلكيـة فـي تلك الحضـارات، إلاّ أن جميع تلك الأرصاد والملاحظات، كـانت تعيش الهـاجس التنجيـمي والخـرافة، فـهي محكومـة بالأرواح والأشبـاح والقوى المخيفة والحياة الدينية، والآلهة المزيفة.

ولعل أوضح حضارة، عاش التنجيـم في وجدانها، هي الحضارة البابلية ـ الكـلدانية، فمعارف تلك الحـضارة، ولاسيما الفـلكية منها، «ظلت منوطةً إلى آخر الأمر، بمفاهيمهم الدينية التي كان علم الفلك خاضعاً لها»(٤) على حدّ تعبير مرجريت روثن.

والتنجيم مازال إلى اليوم حاضـراً بيننا، يمارسه كثيرٌ من الناس، من أدنى الطبـقـات في الهند وبنغـلادش وغـيرهـما، إلى الطـبـقـات المتمـدنة في العالم الغـربي. التنجيم حـاضر، وكـأنه (علم معـاصر) يقبل عليه كلُّ من لم يسعفه العلم والتقانة (التكنولوجيا) المعاصران.

وحقيقـة هذا التنجـيم المعاصـر، هي حقيقـة ذلك التنجيم الـقديم نفسها.

التنجـيم المـتـد إلى أعـمـاق الزمن، وخـاصـة إلى ذلك التنجـيم (العـريق) البابلي الكلداني ولا فـرق كبـيراً إلاّ في بعض الـتفاصـيل والإضافات، فجوهر الاثنين واحدٌ.

وقد انتقل من البابليين والكلدانيين خـاصة، والحضارات القديمة الأخرى عامة إلى اليـونان، الحضارة التي نظمت المادة الموروثة عن الأسلاف. فحين انتـقلت المادة التنجيمية إلـى اليونانيين، عاشت في إطار واضحٍ ونظام مـحدد وشعـائر خاصة، وأصـبحت بيـد العلماء والفلكيين، بعد أن كانت بيد الكهنة والمشعوذين، فقد عرف أفلاطون التنجيم، وعـرفه أرسطو وبطليمـوس وآخرون كثيـرون. ولم تختلف حياة اليونانيين عن سابقيهم في سـريان الروح التنجيمية في دمائهم، لكن الفـرق بينهم وبين الحـضـارات الأخـرى، أنهم نظـمـوا المادة



أي علاقة بين الظواهر الفلكية وحدوث كارثة طبيعية؟!

التنجيمية وأكدوها علماً بين العلوم. وهذا بطليموس القلوذي سلطان الفلك القديم، يصنع كتاباً أساسياً في هذا المجال، أسماه «المقالات الأربع» جمع فيه أفكاراً تنجيمية متنوعة، وقد اهتم به العرب والمسلمون، فترجمه إبراهيم بن الصلت، وأصلحه حنين بن إسحق (ت: ٢٦٠هـ/٨٧٣م) (٥). ومن تلك الترجمة انتقل إلى الحضارة الإسلامية ضمن العلوم التي تُرجمت من خارج الحضارة الإسلامية.

التنجيم ضيف غريب على الحضارة الإسلامية

التنجيم بشكله اليوناني البطلمي لم يكن شائعاً في الجزيرة العربية، فعلى الرغم من شيوع الأساطير والخرافات والأوهام والعقائد الفاسدة والأنواء، إلا أن ذلك التنجيم اليوناني المنظم لم يكن شائعاً. لقد آمن أبناء العصر الجاهلي بالنجوم والكواكب والشمس والقمر وعبدوها ضمن عباداتهم المتنوعة، وعرفوا الأنواء التي حرّمها الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم بقوله: «... وأما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»(٦). والنوء كما ورد في مصادرنا القديمة هو: «سقوط النجم منها في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق»(٧).

لقد دخلت إلى الحضارة الإسلامية عناصر تنجيمية كثيرة، منها ما كان شائعاً في العصر الجاهلي، كالإيمان بتأثير الكواكب والظواهر الفلكية والخسوف والكسوف في الأرض والناس، ولكن الدخول الأكبر كان وافداً ضمن العلوم والمعارف الوافدة من الخارج، وخاصة مع علم الفلك توأم التنجيم، فكانت أغلب الكتب الفلكية الوافدة، هي كتب تنجيمية، أو جامعة بين عناصر فلكية وتنجيمية ورياضية. وكانت الكتب الفلكية الأولى، خاصة، تنجيمية أكثر منها فلكية، ولعل من أوائلها كتاب: «عرض مفتاح العلوم» المنسوب لهرمس، ذلك الكتاب الذي ترجم في نهاية الدولة الأموية(٨)، وذلك الكتاب الهندي (السندهند) الذي ترجمه إبراهيم الفزاري زمن

المنصور(٩)، وتلك الكتب الفارسية، ككتاب (البزيذج في المواليد) المنسوب إلى بزرجمهر، وكتاب (صور الوجوه) لتنكلوس، وهما كتابان تنجيميان كما يقول نالينو(١٠)، وهناك كتب تنجيمية أخرى.

لكن الأهم من كل ذلك، هو دخول التنجيم اليوناني إلى حضارتنا الإسلامية، فهذا التنجيم، كان في الحقيقة خلاصة للتنجيم القديم، جامعاً شتاتاً كثيرة من العناصر التنجيمية والخرافية القديمة. يقول جورج سارتون: «وأما علم التنجيم Scientific Astrology الذي راج رواجاً كبيراً في القرون الأخيرة السابقة على العصر المسيحي فهو كلداني ومصري، وهو كذلك يوناني أيضاً، من حيث إنه مجموعة متنافرة من المعارف العقلية وغير العقلية التي تجمعت حتى ذلك العصر»(١١).

وقد دخل التنجيم اليوناني بترجمة الكتب الفلكية اليونانية، ولاسيما كتاب «المقالات الأربع» الذي ألفه بطليموس القلوذي، فقد دخل هذا الكتاب الحضارة الإسلامية ضمن الكتب الكثيرة الوافدة، فترجم إلى اللغة العربية، يذكر ابن النديم أن: «كتاب: المقالات الأربع، كتبه إلى سوريس تلميذه. نقل هذا الكتاب إبراهيم بن الصلت، وأصلحه حنين بن إسحق، وفسر المقالة الأولى أوطوقيوس. وجمع المقالة الأولى ثابت وأخرج معانيها، وفسره عمر ابن الفرخان وإبراهيم بن الصلت والنيريزي والقبّاني»(١٢).

من هذا النص نعرف كيف اقتحم التنجيم الحضارة الإسلامية، وكم كان المهتمون بهذا الكتاب كثيرين، نقلاً وتفسيراً وجمعاً وإصلاحاً ونشراً! وهو في الحقيقة كتاب مهم في هذا الحقل، وصفه حاجي خليفة بقوله: «وفي كل مقالة أبواب، فأبواب الأولى أربعة وعشرون، وأبواب الثانية ثلاثة عشر، وأبواب الثالثة أربعة عشر، وأبواب الرابعة تسعة، وهو كتاب عظيم النفع، كالأصل في علم النجوم»(١٣).

إن هذا الكتاب التنجيمي، والتنجيم بشكل عام، وإن استُقبل استقبالاً حاراً في أوساط الحضارة الإسلامية، خصوصاً على

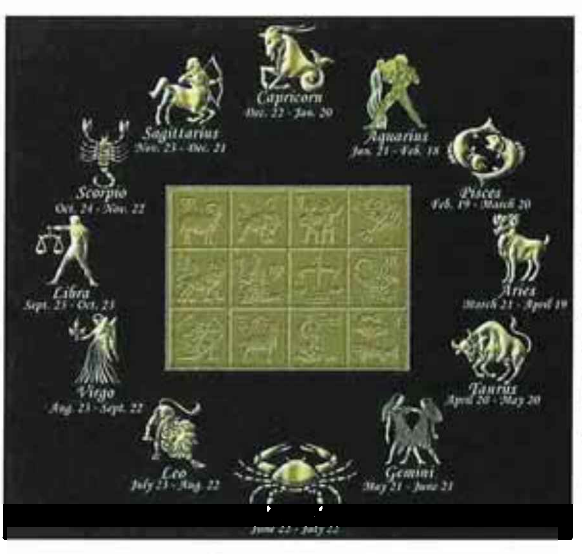


شاع التنجيم في الأوساط الشعبية الإسلامية ورفضه العلماء والمفكرون والفلكيون

مستوى عامة الناس لا العلماء والمفكرين، إلاّ أنه كان في حقيقته غريبًا عن علوم الحضارة الإسلامية، سواء العلوم النقلية والشرعية المستمدة من القرآن والسنة الشريفة، أم تلك التي نُقلت من الخارج إلى الحضارة الإسلامية بحثٍّ من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة كحديث «اطلبوا العلم ولو بالصين»(١٤) وأمثاله. كان التنجيم غريبًا لأنه خالف المبادئ الدينية التي جاء بها الإسلام، فالقرآن ذمّ أو حارب تقليد الآباء، والأخذ بالظن، والقول بغير علم، والتدخل في أمور الغيب.

لكنه، على كونه غريبًا عن جسم حضارتنا الإسلامية، حمل جنبةً إغرائية كانت تلبّي حاجات النفوس والعواطف، فرواجه كان تلبية لتلك الرغبات والنزعات الداخلية، ويعلّل سارتون هذه الرغبات بقوله: «لأن الإنسان يتوق دائمًا إلى معرفة المستقبل، ويأمل في تناقض عجيب أن يدفع الشر عنه قبل وقوعه»(١٥).

لكنه.. ومع كل تلك الإغراءات الكامنة فيه، حين يصطدم بالدين الحنيف، وخاصة ذلك النوع الذي ينسب التأثير إلى النجوم بدلاً من الخالق المبدع، يُرفض رفضًا باتًا، ويُحاسب عليه. وهكذا كان، وهكذا حصل، لذلك كله لم يكن ابنًا شرعيًا في الحضارة الإسلامية، بل لم يكن زائرًا مقبولاً لديها، وإنما كان ضيفًا غريبًا.. وقف القرآن والحديث وأقوال العلماء والمفكرين في وجهه كي لا يتمادى.



التنجيم خرافة، وليس علمًا يخضع لمنهج علمي صحيح، وإن تضمن عناصر علمية أخذها من العلوم الأخرى

المواجهة على مستوى القرآن والسنة

أراد الله تعالى للإنسان أن يعيش حياة كريمة، تزخر بالحيوية والنشاط، وتحارب الركود والجمود والتخلف، أراده أن يستفيد من قراءة أفكار الأولين، ويلتقط من تجاربهم ما ينفعه في حياته وآخرته. دون تقليدهم تقليدًا أعمى، فأنزل الله الأديان وأرسل الرسل والأنبياء ليخرجوا الناس من ظلمات الاستعباد إلى نور الحرية.

ويعد القرآن نموذجًا فريدًا للخير الإلهي الذي أراد الله به هداية الناس، وبناء حضارة عقلانية متزنة، تؤمن بالعقل والعلم والعمل وبناء المستقبل، وترفض الخطأ والخرافة والأسطورة والتقليد الأعمى من غير علم والهوى والظنون، فجاء القرآن زاخرًا بذلك الرفض والذم لأمور سيئة كثيرة. فإذا عددنا التنجيم خرافات وأساطير وظنونًا وخزعبلات - وهو كذلك كما رأينا - فلا شك أنه سيقع ضمن ذلك الرفض والإنكار والذم، بل والمحظورات الكثيرة التي وردت في القرآن الكريم.

ومن النصوص والمعاني الكثيرة التي أكدت ذلك الرفض والإنكار، وحثّت على اتباع العلم، والابتعاد عن الظن والهوى وغير العلم، والتثبت من القول بالدليل والبرهان قوله تعالى: *ما لهم به من علم إلا اتباع الظنّ*. النساء:١٥٧. وقوله أيضًا: *وإنّ كثيرًا ليُضلّون بأهوائهم بغير علم*. الأنعام:١١٩. وقوله عز وجل: *تلك أمانيُّهم قُل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين*. البقرة: ١١١. وأخرى مشابهة كثيرة.

لكنّ هناك جانب في التنجيم، أكثر من كونه يقع ضمن الخرافة وعدم العلم والظن والهوى والقول من دون برهان، هناك جانب يدّعي أن النجوم والكواكب هي المؤثرة في الحوادث وما يصيب الأرض والناس من كوارث وحروب ودمار، وهذا الجانب من التنجيم حرّمه الدين صراحة ودون تردد. وعلى الرغم من أن جانبًا من التنجيم تساهل معه العلماء، لعدم نسبة التأثير إلى النجوم، إلا أن كثيرًا منهم حرموا التنجيم مطلقًا. يقول طاش كبرى زاده: «واعلم أن كثيرًا من العلماء على تحريم النجوم مُطلقًا، وبعضهم على تحريم اعتقاد أن الكواكب مؤثرة بالذات، وقد ذُكر عن الشافعي رحمه الله، أنه قال: إذا كان المنجم يعتقد أن لا مؤثر إلاّ الله، لكن أجرى الله عادته بأن يقع كذا عند كذا، والمؤثر هو الله، فهذا عندي لا بأس به. وحيث جاء بالذم ينبغي أن يحمل على من يعتقد تأثير النجوم»(١٦).

والحقيقة أن التنجيم هو ادّعاء بالغيب، ومعرفة المستقبل (وإن

كانت درجة قربه وبعده عن الغيب والمستقبل ليست واحدة في كل أنواعه). وفي كل الأحوال إن الغيب لله وحده. إنه مختص به ولمن ارتضى من رسول، جاء ذلك بصريح القرآن الكريم. وهذه نصوص قرآنية مقدمة تؤكد هذا المعنى.

قال تعالى: *وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين*. **الأنعام:٥٩.**

وقال أيضاً: *عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً، إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً*. **الجن: ٢٦ و ٢٧.**

وقال عز وجل: *قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون*. **النمل:٦٥.**





البراكين والزلازل من الظواهر الطبيعية التي يهتم بها المنجمون

وقال كذلك: *فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين*. **يونس:٢٠.**

حتى النبي العظيم محمد صلى الله عليه وسلم، المرسل من قبل الله تعالى، والحامل الأمين للرسالة السماوية، لم يدّع العلم بالغيب، فقد جاء القرآن الكريم صريحاً بذلك على لسانه: *قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون*. **الأعراف:١٨٨.**

إذن بموجب تعاليم القرآن، لا يجوز للإنسان الادعاء بمعرفة الغيب والمستقبل، فالغيب لله وحده، كما ورد صريحاً في الآيات الشريفة المذكورة آنفاً. فكيف بإنسان عادي «منجم» تعلم عدداً من الأصول والأوليات يستطيع أن يهتك حجاب الأسرار والغيب، ويلتقط معلومة غيبها الله عن عباده؟. إنه هراء وأكاذيب مصطنعة.

وقد وردت في الحديث الشريف روايات كثيرة تسد هذا المنفذ، وتذم المنجمين والعمل بالتنجيم.. فهم كاذبون وإن صدقوا.. فقد ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنوء



فكرة التنجيم تقوم على ربط بعض الظواهر الفلكية والتشكيلات السماوية بحوادث تقع على الأرض

كذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب» الحديث صحيح(١٧). وورد أيضًا عنه صلى الله عليه وسلم: «من أتى كاهنًا بالنجوم أو عرّافًا أو منجمًا فصدّقه، فقد كفر بما أنزل على محمد»(١٨). وورد أيضًا «أن الشمس انكسفت يوم مات إبراهيم بن مارية، فقالوا: انكسفت الشمس لموته، فقال عليه الصلاة والسلام: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته»(١٩).

إن تلك الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تجابه مجابهة حقيقية الأوهامَ والخرافات ومصاديقها الكثيرة. ولا سيّما التنجيم... وهذه إحدى أهم ميزات ديننا الإسلامي العظيم.

المواجهة على المستويات الأخرى

على الرغم من شيوع التنجيم بين أوساط المجتمع الإسلامي، واكتسابه شعبية كبيرة، واهتمام بلاطات الملوك والأمراء والوزراء بالتنجيم، والاحتفاظ بالمنجمين في قصورهم على الرغم من ذلك، لم يعش في عقول النخبة من العلماء والمفكرين والفلكيين، بل كان في كثير من الأحيان موضع سخريتهم، لفشل عدد كبير من التنبؤات التي أكد المنجمون وقوعها، وسنذكر بعضها لاحقًا.

والرافضون - وهم في الغالب شخصيات علمية فكرية لها وزنها في التاريخ الإسلامي - كثيرون، والمؤلفات التي كتبت في الردّ على التنجيم والمنجمين ليست قليلة، منها مثلاً: «النكت في الطعن على أصحاب النجوم» للفارابي (ت:٣٣٩هـ/٩٥٠م) و«رسالة في إبطال أحكام النجوم» لابن سينا (ت:٤٢٨هـ/١٠٣٧م)، وألّف حسن النوبختي (ت:٣١٠هـ/٨٢٤م) كتابًا ضد التنجيم، وكذلك كتب أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحي (ت: ٤٠١هـ/١٠١٠م) رسالة ضد التنجيم، وكتب آخرون لا مجال لذكرهم.

ويمكن أن نعدّد من الرافضين للتنجيم، الفارابي، وابن سينا، والشافعي (ت:٢٠٤هـ)، وأبا سهل المسيحي (أستاذ ابن سينا)، وحسن النوبختي، والشريف المرتضى (ت:٤٣٦هـ)، والبيروني (ت:٤٤٠هـ)، وابن حزم الأندلسي (ت:٤٥٦هـ)، وأبا حامد

الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، وابن خلدون (ت:٨٠٨هـ)، وآخرين كثيرين جداً(٢٠).

لقد قال هؤلاء وأمثالهم أقوالهم صريحة في التنجيم، على الرغم من أن بعضهم كان يؤمن بجوانب منه، فمثلاً في حديث ابن سينا عن تغيرات الهواء التي تجلب الطاعون يذكر: أن أول سبب لذلك يكون ناشئاً عن هيئة الأفلاك وأن الأسباب الأقرب مرجعها إلى الطبائع الأرضية، فالطواعين تحدث حين تصبح قوى الأفلاك نشطة، وتفرض نفسها على القوى الأرضية(٢١). وكان فخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ) قد رأى أنه ربما كان مرجع العواصف الشديدة أسباباً تنجيمية، ولكن هذا الاعتقاد لم يغير من معارضته للمنجمين الذين يدّعون معرفتهم بتفاصيل العمليات الخاصة بهذه الظواهر(٢٢).

كان التنجيم في بدايته ممتزجاً بالفلك، فكان الإنسان القديم يعتقد بوجود أرواح تسكن الكواكب والنجوم والظواهر الكونية المختلفة، وكان يربط بينها وبين حوادث وكوارث تقع على الأرض





ويبدو من هذا الكلام، أن عدداً من الرافضين للتنجيم، لم يرفضوا كل التنجيم، وإنما كانوا يؤمنون ببعض وينكرون بعضاً آخر، بل حتى اليوم لم يستطع العلم أن يقطع برفض كل تفاصيل التنجيم، فهناك أمور من قبيل التأثيرات العلمية، ذات السبب العلمي الواضح. لكنه، وبشكل عام، كان مرفوضاً، ولاسيما على مستوى النخبة من العلماء والمفكرين والفقهاء والمتكلمين وآخرين من درجتهم. يقول الفارابي: «واعلم أنك لو قلبت أوضاع المنجمين، فجعلت الحار بارداً، والبارد حاراً، والسعد نحساً، والنحس سعداً، والذكر أنثى، والأنثى ذكراً، ثم حكمت لكانت أحكامك من جنس أحكامهم تصيب تارة، وتخطئ تارات، وهل معهم إلا الحدس والتخمين»(٢٣).

ويقول ابن حزم الأندلسي: «زعم قوم أن الفلك والنجوم تعقل، وأنها ترى وتسمع ولا تذوق ولا تشم، وهذه دعوى بلا برهان، وما كان هكذا فهو باطل مردود عند كل طائفة بأول العقل، إذ ليست أصح من دعوى أخرى تضادها وتعارضها، وبرهان صحة الحكم بأن الفلك والنجوم لا تعقل أصلاً»(٢٤).

وهذا ابن خلدون، يشن حملة شعواء على التنجيم والمنجمين تحت عنوان: «في إبطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها» فيقول: «هذه الصناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجتمعة، فتكون لذلك أوضاع الأفلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلية والشخصية، فالمتقدمون منهم يرون أن معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتجربة، وهو أمر تقصر الأعمار كلها لو اجتمعت عن تحصيله، إذ التجربة إنما تحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم أو الظن. وأدوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن فيحتاج تكراره إلى آماد

وأحقاب متطاولة يتقاصر عنها ما هو طويل من أعمار العالم، وربما ذهب ضعفاء منهم إلى أن معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها كانت بالوحي، وهو رأي فائل وقد كفونا مؤونة إبطاله...»(٢٥).

لقد رفضوه وجابهوه، بشكل مباشر، وقالوا قولاتهم الصريحة فيه، وذلك ـ كما ذكرنا ـ بدافع من قرآنهم ودينهم الرافض بشدة كل نسبة إلى غير الله تعالى، والمحارب دائماً وأبداً الخرافة والأسطورة والربط غير العلمي. وكذلك بدافع من مناهجهم العلمية في دراسة الموضوعات المختلفة، تلك التي لا تسمح بدراسة مادة خرافية لا يرتبط فيها السبب بالمُسبِّب.

ولعلّ فيما سمعوه وشاهدوه من أكاذيب المنجمين وإخفاقاتهم أسباباً إضافية لتلك المجابهة، وذلك الرفض. فقد ورد في التاريخ عددٌ كبير من الادّعاءات التنجيمية لم يثبت تحققها في المستقبل كما حدده المنجمون، وليس هنا مجال لذكرها جميعاً في هذه المساحة المحدودة(٢٦).

ويمكن أن نذكر من تلك التنبؤات الكثيرة، ذلك التنبؤ الشهير الذي قاله عدد من المنجمين في وفاة الخليفة الواثق حين كان مريضاً، ولكنهم أخفقوا فيما قالوا، يذكر ابن العبري (ت: ٦٨٥هـ): «ولما اشتد مرضه (أي الواثق) أحضر المنجمين، منهم الحسن بن سهل بن نوبخت، فنظروا في مولده فقدروا له أن يعيش خمسين سنة مستأنفة من ذلك اليوم، فلم يعش بعد قولهم إلا عشرة أيام»(٢٧).

وإخفاق آخر ورد في ترجمة الحسن بن الخصيب، فقد ذكر القفطي (ت:٦٤٦هـ) أن «له كتاباً في أحكام النجوم سماه الكارمهتر حكم فيه بأحكام اختبر بها فلم يصحّ منها شيء، فمنها أنه قال: إذا نزل زُحل في دقائق من أول درجة من الجوزاء يموت ملك مصر في ذلك الأوان، ورأيت هذا في عمري دفعتين ولم يصح شيء منه، إلى أمثال ذلك»(٢٨).

إن قرآننا الكريم وأحاديثنا النبوية الشريفة ـ وهما عماد حضارتنا ـ وأفكار علمائنا ومفكرينا، الذين عاشوا في قلب الدين الإسلامي الحنيف، تأبى منهجاً خارجاً عن بيئتها وطبيعتها الإيمانية، لذلك حاربوا بقوة ذلك الغزو التنجيمي الوافد من خارج الحضارة الإسلامية، حاربوه على قوته وتمكن عناصره المغرية من نفوس الناس.

وبذا حين نقرأ الحضارة الإسلامية، يبهرك، أول ما يبهرك، منهجها العلمي الصحيح، المستمد ـ بشكل أساسي ـ من القرآن الكريم. ويبهرك ثانياً تلك الإنجازات العلمية العظيمة التي أضاءت ظلمات العصور الأوروبية الوسطى، والتي قام على أساسها العلم الحديث. ويأخذ بألبابك ذلك الفلك العظيم القائم على الأرصاد الميدانية، والمنبثق من المراصد الفلكية. إضافة إلى علوم الحضارة الأخرى، كالطب والهندسة والرياضيات والكيمياء والبصريات وما إليها مما هو معروف في كتب تواريخ العلوم.

أما التنجيم، على شهرته الكبيرة، فقد كان خاوياً، وخائفاً، لم يستطع أن يمتزج بتلك العلوم أو يشلها عن التقدم في طموحاتها.

فحقّ أن نميز حضارتنا الإسلامية من حضارات العالم المختلفة، ونسمها بسمة الإيمان والعقل والعلم، فهي حضارة إيمانية علمية في الدرجة الأولى.

المراجع

١. لمعرفة مصطلحات التنجيم والفرق بينها وبين علم الفلك راجع كتابنا «مكانة الفلك والتنجيم في تراثنا العلمي» مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث/ دبي ص٤٧، وما بعدها.
٢. الفيروزأبادي، القاموس المحيط ـ المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت مادة (نجم).
٣. حاجي خليفة، كشف الظنون، دار الفكر، بيروت، ج١ ص٢٢.
٤. مارجريت روثن، علوم البابليين، ترجمة يوسف حبي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ص١٢.
٥. ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت ص٣٧٤.
٦. ابن خلدون، المقدمة، دار الجيل، بيروت ص٥١٦.
٧. ابن قتيبة، الأنواء، تحقيق شارل بلاّ ورفيقه، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند ص٥.
٨. كارلو نالينو، علم الفلك تاريخه عند العرب في العصور الوسطى، روما ١٩١١م ص١٤٣.
٩. صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، طبعة مصر ص٥٧.
١٠. نالينو، علم الفلك (مرجع سابق) ص٢١٠.
١١. جورج سارتون، تاريخ العلم، ترجمة مجموعة من الباحثين، دار المعارف بمصر، ج١ ص٢٦٠.
١٢. ابن النديم، الفهرست (مرجع سابق) ص٣٧٤.
١٣. حاجي خليفة، كشف الظنون، (مرجع سابق) ج٢ ص١٧٨١.
١٤. طاش كبرى زادة، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار الكتب العلمية، ج٣ ص٩.
١٥. سارتون، تاريخ العلم، (مرجع سابق) ج١ ص٣٦.
١٦. طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة (مرجع سابق) ج١ ص٣١٤.
١٧. ابن خلدون، المقدمة، (مرجع سابق) ص٥١٦.
١٨. حاجي خليفة، كشف الظنون، (مرجع سابق) ج٢ /١٩٣١.
١٩. الزمخشري، ربيع الأبرار، تحقيق سليم النعيمي، الأوقاف، بغداد ج١ ص١١٩.
٢٠. راجع في ذلك كتابنا «مكانة الفلك والتنجيم» (مرجع سابق) ص ٢٩٢ ـ ٣٠٣.
٢١. د. أيدين سايلي، المراصد الفلكية في العالم الاسلامي، ترجمة عبدالله العمر، الكويت ص٩٥.
٢٢. سايلي، المراصد الفلكية، (مرجع السابق) ص٩٥.
٢٣. ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية، بيروت ج٢ ص١٣٣.
٢٤. ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة، بيروت ج٥ ص٣٦.
٢٥. ابن خلدون، المقدمة (مرجع سابق) ص٥٧٤.
٢٦. مكانة الفلك والتنجيم.. (مرجع سابق) ص٣٠٣ وما بعدها.
٢٧. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، بيروت ص١٤١.
٢٨. القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار، بيروت ص١١٤.



مع الفعل في العربية المعاصرة

إبراهيم السامرائي
عمّان - الأردن

اهتدى المعاصرون إلى أن العربية في عصرنا لا بُدَّ لها أن تفيد من اللغات الغربية ولا سيما الإنجليزية، أو قل: إنهم أحسُّوا أن الجديد اللّغوي الوافد لا بُدَّ أن يكون له موضعٌ في العربية المعاصرة، فأنت إذا استقريت هذه العربية في العلوم الإنسانية والعلوم التطبيقية وجدتَ الكثير من هذا.

إنك لا تستطيع أن تحمل هذا الجديد المولّد على الخطأ، وإن خالف شيءٌ منه نظامَ العربية، وذلك؛ لسيرورته وشيوعه. إن أصحاب اللغة ممتحنون بهذه السيرورة التي زُعم فيها أن الحاجة تدعو إلى هذا الجديد المصنوع، وأن مطالب العصر في العلوم والآداب والفنون تقتضي أن يكونَ في العربية لونٌ جديد.

وقد رأيتُ أن أثبت من هذا الجديد في مادة الفعل شيئًا ولّدَهُ المعاصرون أجعله نماذجَ للغة جديدة ليس لنا منها في معجمنا إلا الأصولُ التي بدتْ بعيدةً عما صنعه المعاصرون متَّبعًا حروفَ المعجم فيما أُدرجُه(١):

- تأسْلَمَ: يردُ هذا الفعل في مقالات الصحف التي يكتبها الناقدون أو قل المناوئون لأصحاب الدعوة الإسلامية فينعتونهم بـ «المتشدِّدين» أو «المخرّبين». وقد تجدُ من لا يذهبُ إلى هذا الحد فينعتُهم بالأصوليين. إن هذا الفعل في لغة هذا النفر المنحاز إلى ما يسمى العلمانية ونحوها ينبزُ أصحابَ الدعوة فيقولُ أحدُهم مثلاً: إن فلانًا قد «تأسلم»، فيريد بذلك أنه يعتقدُ ويرى ويصوِّبُ ما يفعلهُ «المتشدِّدُ» أو «الأصولي» فهو منحازٌ في قوله وسلوكه مع هذا النفر.

ومن هنا نجدُ «الأسْلَمة» مصدرًا جديدًا لدى هؤلاء الكُتّاب الناقدين بل المنكرين لأصحاب الرأي الإسلامي.

أقول: كنا قبل سنين نقرأ مثلاً: أن الجماعة الإسلامية تشجبُ ما يقومُ به طائفةٌ من الشبّان في عاداتهم وسلوكهم الذي خرجوا به عن الموروث المتعارف.

و«الشَّجْب» في قولهم هذا يعني الاستنكار والرفض، وكنا نقول: إن هذا معنىً جديدٌ ليس لنا في العربية. وذهب نفرٌ إلى أن هذا «الشجب» يَردُ في العربية النصرانية، فلعله من أصل سرياني.

- تأسْتَذَ: كان مما يقتضيه النظامُ أن يسبق هذا الفعلَ الفعلَ السابقَ وهو «تأسْلَم»، ولكني رأيتُ أن أبدأ

بالمشهور الكثير فأقدمه على هذا الفعل الذي ولّده المعاصرون من «أستاذ». إن «المُتأستذ» من لم يكن في زعم المعاصرين من النقاد «أستاذًا» من أهل العلم، ولكنه يلبس لبوسهم ادّعاءً وكذبًا فيزهى بصفة لا يملكها.

إن هذا يدفعنا إلى الوقوف على «الأستاذ» هذا اللقب التشريفي الذي أحياه المعاصرون ولا سيما أهل العلم، وجعلوه مقابلاً لنظيره في اللغات الأعجمية Professeur. غير أن المعاصرين توسّعوا فيه فأطلقوه على جماعات لا صلة لها بالعلم من قريب أو بعيد(٢).

- **تأقلم**: وهذا فعلٌ احتيج إليه في الزراعة قبل أيّ موضع آخر، فقال أهل العلم في الفلاحة مثلاً: جرت «أقلمة» هذا النوع من التفاح فنجحت التجاربُ و«تأقلم» التفاحُ، أي: إنه احتمل ظروف المناخ من حرارة أو جفاف أو نحو هذا(٣).

إن هذا الجديد قد جاء من كلمة «إقليم» التي استقرت في العربية بمعنى: البلد الواسع أو ما ندعوه «المنطقة»، وقد يكون «ولاية» تتبعُ غيرها.

ولنا أن نسأل، كيف نظر أولو العلم إلى هذه الكلمة وجعلوا منها «الأقلمة» و«التأقلم»؟ لا بُدّ أن يكونوا قد لمحوا الأصل في هذه الكلمة ودلالتها على الظروف المناخية.

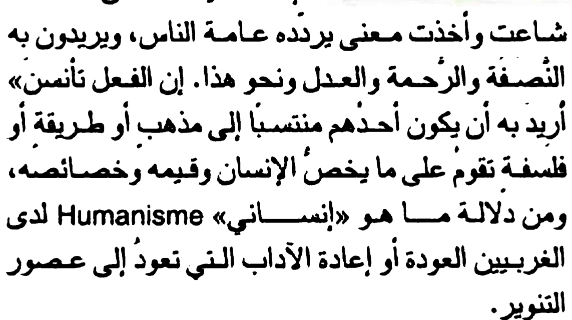
أقول: إن «الإقليم ليس من العربية، بل هو من أصل إغريقي وُجد في اللغات الغربية في: Climate و Climat، إن دلالة هاتين الكلمتين في الإنجليزية والفرنسية تذهبُ إلى ماندعوه «المناخ»، وإن ذُهب فيهما إلى غير المناخ الطبيعي فقالوا على سبيل التوسُّع «المناخ الأدبي» Le Climat Litteraire. وإلى مثل هذا ذهب المعاصرون في اللغة العربية فقالوا: «المناخ الفنّي أو الأدبي».

وأعودُ إلى «الإقليم» فأجد البلدانيين العرب استعملوا «الأقاليم» للدلالة على البلاد ناظرين إلى أن «البلاد» يكون من أسباب اختلافها اختلافُها فيما ندعوه «المناخ».

أقول: إن «المناخ»، في دلالته على ما هو حرٌ أو بردٌ أو جفافٌ أو مطرٌ، جديد عرفناه في العربية المعاصرة، ولعل الدافعَ إلى هذا امتحانُ أهل العلم من المعاصرين فيما هو في اللغات الغربية Climate أو Climat، ذلك أن «المناخ» في فصيح العربية هو الموضع الذي تناخُ فيه الإبل، وإلى هذا ذهب قول المتنبي:

لحى اللهُ ذي الدُنيا مُناخًا لراكبٍ
فكلُّ بعيدِ الهمّ فيها مُعذّبُ(٤)

- **تأكسَدَ**: أقول: هذا الفعل لدى أهل الكيمياء في عصرنا من «أوكسيد» وهو ما تعلمناه من اتحاد أو قل تركيب المعادن بنسب معروفة بما هو «الأوكسجين»، فيقال: أوكسيد الحديد، وأوكسيد الكربون وغيرهما.



وهذا الجديد بقي في حيّزه الكيماوي، ولم يتوسع فيه.

- **تأنسَنَ**: أقول: هذا فعلٌ مولّدٌ جديدٌ أخذ من «إنسان» لإفادة ما هو عائدٌ لدى القائلين بهذا الجديد إلى ما هو من Humanisme. لم يقولوا في هذا المولّد الذي أريد به مصطلحًا «الإنسانية»؛ لأن هذه قد شاعت وأخذت معنى يردده عامة الناس، ويريدون به النّصفَة والرّحمة والعدل ونحو هذا. إن الفعل تأنسَنَ» أُريدَ به أن يكون أحدهم منتسبًا إلى مذهب أو طريقة أو فلسفة تقوم على ما يخصُّ الإنسان وقيمه وخصائصه، ومن دلالة ما هو «إنساني» Humanisme لدى الغربيين العودة أو إعادة الآداب التي تعودُ إلى عصور التنوير.

قلت: إن الأصل في هذا الفعل هو «إنسان» الذي وجدوا فيه الفعل «أنسَنَ» والمصدر «أنسنَة». ولم يتوقف المعاصرون من أهل المصطلح الجديد بما يكون في العربية من قواعد الاشتقاق والتوليد، أو قل: إنهم لم يعرفوها، وإذا عرفوها لم يكن لها حسابٌ لديهم.

إن النون الأخيرة في «إنسان» زائدة أتي بها للصيغة والأصل انس»(٥).

- برمج: إن هذا الفعل جديد، ومثله المصدر «برمجة» ودلالتهما اتباع طريقة خاصة فيها نظام وقياس وحساب. وكأن أصحاب المصطلح الجديد الذي خصوه في الحقبة الأخيرة بـ «الحاسوب» Computer، لم يلتفتوا كثيراً إلى الأصل المعرب القديم وهو «برنامج».

ولا بد أن نقف قليلاً عند هذا المعرب القديم فنقول: إنه أعجمي في الأصل «برنامه»، وقد دأب العرب في جملة من هذه الأصول الأعجمية على تعريبها فكسوها بالجيم، فكان من ذلك: الساذج، والمالج، والفالوذج، والبابونج، واللوزينج، والإهليلج، وغيرها.

وجاء المعاصرون فأدخلوا الجيم في «البرمجة» كما أدخلوا الجيم فجمعوا «ساذج» على «سذج» وكأنه مثل ساجد وراكع، وقالوا «سذاجة» مصدراً.

ولا بد لي أن أقول: إن «المصدر» هو الأصل الذي نظر إليه المعاصرون فأخذوا الفعل.

إن هذا ليدفعني إلى القول: إن المصادر هي الأصول، وليست الأفعال، كما ذهب النحاة البصريون. وهذا القول بقدم المصدر وأوليته هو قول نحاة الكوفة، وهو قول صائب.

أقول: ولعل مصطلح «المصدر» كان مما اهتدى إليه النحاة الكوفيون، ويدل على هذا ما نلمحه من أقوال اللغويين الذين اتبعوا آراء البصريين من أنهم جعلوا «المصدر» فعلاً. وهذا يتردد كثيراً في المعجم القديم.

- تبغدد: أقول: هذا ليس من العربية المعاصرة، ولكني أدرجته لدخوله في النظم. وهو يعني في الأدب القديم التشبه بكل ما هو بغدادي في الطبع والعادات ونحو ذلك.

وقد يكون من هذا سائر الأفعال التي تعود إلى البلدان والقبائل والناس نحو: تعرب وتعرق وتمصر وتمضر وتيمن وغيرها من عرب وعراق ومصر، ومضر ويمن.

ومثل هذا: تزندق من زنديق، وتفرعن من فرعون، وتدروش من درويش.

ونستطيع أن ندرج هنا الفعل «تلمذ» و«تتلمذ» وهو من «تلميذ».

ومثل هذا الفعل «تلفن» من «تلفون» Telephone، على أن هذا من المولد الجديد.

ومثله أيضاً «تلفز» من «تلفزيون» الجهاز المعروف، وهذا أيضاً من المولد الجديد.

- تجلبب: وهذا رباعي آخر أخذ من الاسم «جلباب»، والجلباب: «الرداء»، والإزار يشتمل به ويجلل جميع الجسد.

أقول: ومثل سائر الأفعال التي تؤخذ من أسماء الذات، فأنت تقول: اختشب وخشب من الخشب، كما تقول: احتطب من الحطب. وعلى هذا كان الثلاثي «حطب» من الحطب أيضاً أي من الاسم.

الأستاذ لقب تشريفي مقابل لنظيره في اللغات الأعجمية Professeur، فتوسع فيه المعاصرون وأطلقوه على جماعات لا صلة لها بالعلم من قريب أو بعيد

ونقول: «عدن» من المعدن، وكذلك المصدر «تعدين».

ونقول «علب» وكذلك «التعليب» وأصلهما «العلبة» الجديدة التي هي من صفيح معدني، وليست «العلبة» القديمة التي هي وعاء من جلد.

وباب التضعيف للثلاثي واسع في العربية المقارنة فقد قالوا:

« طعم» و«تطعيم» والأصل «الطعم» منظوراً فيه إلى الطعام الذي يؤكل.

إن هذا «الطعم» جديد، وهو ما يدعى «المصل» في اللغة الصيدلية والطبية يزرق للمريض علاجاً في أمراض كثيرة.

ومثل هذا قال أهل الكيمياء «هدرج» و«مهدرج» إفادة من عنصر الهيدروجين في دخوله إلى مواد أخرى.

وأعود إلى «الاسم» وليس المصدر والإفادة منه في توليد الفعل، فأنت تقول: «تسطح» الشيء، أي: صار ذا سطح مستو.

كما تقول: «تسفل» من السفل، كما تقول: «تفوق»

من الظرف «فوق»، ومنه جاء الفعل الثلاثي «فاقَ» وما كان منه مزيدًا.

ومن هذا الظرف «وراء» الذي كان أصلاً للفعلين: وارى وورّى.

وليس من شكٍّ أن فعل القصد «أمّ» يعني الذهاب إلى الأمام في الأصل، ثم تُوسِّع فيه. ومثل هذا كان «خلف» بمعنى الجهة المعروفة أصلاً لأفعال كثيرة معروفة.

وإذا كان هذا، كان أصل «العلوّ والعلاء» وما يتصل بهذا من الأفعال من حرف الجر «على»الذي يفيدُ الاستعلاء.

- تَمَخْرَقَ: هذا فعلٌ ولَّدهُ العوامُّ، ثم ذُهِبَ به إلى العربية المعاصرة، وهو من «مخرقة» مصدر في لغة العامَّة بمعنى «الخُرْق» في فصيح العربية الذي يعني الجهل والحمق.

ثم إن بناء هذا الفعل مبتدئًا بالميم جديدٌ، وهو نهجٌ جرى عليه العوامُّ في الألسن الدّارجة، ثم ذُهِب به إلى الفصيح الدّارج في العربية المعاصرة. إن هذا مما يقفُ عليه الدّارسون في هذه العربية وسنرى الكثير منه مبدوءًا بميم زائدة جُعلت من الأحرف الأصول.

- تَمَخْطَرَ: إنه فعلٌ جديدٌ ولَّدهُ العوامُّ فأغروا به الذين درجوا في عربيتهم المعاصرة غير مكترثين بما كان يُدعى خطأً، إنه بمعنى «خطر» أي تمايل في المشي.

أقول: إن جهل أصحاب هذه العربية المعاصرة بملاك اللُّغة قرَّب إليهم العاميُّ الدّارج فصار من مادتهم، وخُيِّل للكثيرين أنه فصيحٌ، وشاع حتى عُدَّ من فصيح العربية المعاصرة.

- تَمَسْخَرَ: وهذا جديدٌ آخر مولَّدٌ لدى العامَّة أخذوه من قولهم: «مَسْخَرة» أي: سُخْرية وسُخْر. وأثبتوا الميم فكانت لديهم من الأحرف الأصول.

- مَسْرَحَ: وهذا ما نقرؤه لدى نقَّاد الأدب في عصرنا وهم يتكلمون على الرِّواية والقصة وتهيئتهما «مسرحية» أي: ما يُحكى ويُمثَّل في «المسرح».

أقول: ولالتزام هؤلاء المسرح بعيدًا عن مادته التي هي «سرح» جعلوا الميم أصلاً فكان الفعل «مَسْرَحَ»، قالوا: مسرح الحوار، والحوار قد «تَمَسْرَحَ».

- تَمَسْكَنَ: وهذا فعل أخذوه من «مسكين» وهو الشديدُ الفقر، والفعلُ على معنى التشبيه بالمسكين في زيه. والتاء تأتي في الأفعال التي يُراد بها التظاهر والتشبيه بالأصل، فقولهم: تباكى وتمارض وتعامى كلُّه يُفيدُ التظاهر بالبُكاء والمرض والعمى.

وجاء في «مسكين» أيضًا «المَسْكَنَةُ» بمعنى فقر النفس.

- تَمَشْدَقَ: أقول: هو، فعل صنعه أصحاب العربية المعاصرة، وكأنهم جهلوا الفعل «تشدَّق» في قول المغربيين: تَشَدَّقَ في منطقة أي: توسَّعَ وتفيهق دون احتراز واحتياط. والميمُ من زيادات العوامّ في لُغتهم في كثير من الأفعال.

- تَمَشْيَخَ: أقول: وهذا نظيرُ الفعل «تَمَسْكَن» في إفادة التَّظاهر بالهيئة المخصوصة بمن هو «شيخ» في حقيقته، فقالوا مثلاً: صبيٌ يتَمَشْيخ.

لقد جاؤوا بالميم على طريقة العوامّ في كثير من الأفعال التي أثبتناها. غير أنهم لم يكنْ لهم ما يُشبه القاعدة في هذا التوليد. إنهم أثبتوا «الميم» وجعلوها كالأحرف الأصول، ولم يكونوا على علم أن من جموع «شيخ» على غير القياس «مَشْيَخة»و«مشْيخة» و«مشْيوخاء» و«مشايخ».

وأثبتوا الياء من «شيخ» في هذا الفعل الجديد، ولم يثبتوها في الفعل «تَمَسَّحَ» أي: صار «مسيحيًا»، والياء في «المسيح» كالياء في «مبيع»، وكان حقُّها أن تثبت.

- تَمَطْرَحَ: وهو من الأفعال الدّارجة التي نرصدها قليلاً في العربية المعاصرة بمعنى طَرْح نفسه على الأرض أو على فراشٍ مع حركةٍ وتقلُّب.

والأصل في هذا اسم المكان «مطرح»، وهو كلمة عاميّةٌ قد تكون بمعنى المكان أو المهاد أو الفراش، وهي من عاميّة المصريين في عصرنا التي عرفت في غير

المصادر هي الأصول، وليست الأفعال، كما ذهب النحاة البصريون، وهذا القول بقدم المصدر وأوليّته هو قول نحاة الكوفة، وهو قولٌ صائبٌ

مصر بسبب التواصل بين المصريين وغيرهم.

- تمغنط: وهذا رباعيّ مزيدٌ من لغة أهل العلم، والأصل فيه «المغنطيس» وهو المعدن المعروفُ ذو القوة في الجذب لقطع الحديد ونحوها. و«المَغْنَطة» للمعدن مسألةٌ علميةٌ تدخل في التجارب العلمية وما تؤدي إليه من تطبيقاتٍ في الصناعة وغيرها.

- مَكْنَن: وهو من الماكنة والميكانيك، ويُراد بالفعل إدخالُ الماكنة في إنجاز أعمالٍ كثيرة في شؤون الاقتصاد كالزِّراعة وما يتصل بها من أعمال.

ونأتي إلى «الماكنة» فنجدُ أنها مُعرَّبة عن Machine.

إن العلم الحديث بأجهزته الجديدة دخلت الحياة العلمية في البيت والمصنع وغيرهما، وقد رأينا أن من التلفزيون كان لنا الفعل «تلفز»، ومن الحاسوب جاء الفعل حوسب أو برمج.

كلمة أخيرة

أقول: هذه طائفةٌ من الأفعال التي نجدُها في العربية المعاصرة، وكلها مولَّدةٌ جديدةٌ وأنا واثق أن غيري من الدارسين قد وجدوا فيما استقروه منها أفعالاً أخرى.

وأريدُ أن أشير إلى أن الأفعال الرُّباعية التي دعاها الصرفيون «مجرَّدة» كثيرةٌ في فصيح العربية. وقد كان لأصحاب المعجمات سعيٌ في إثبات الكثير منها، وقد نظر فيها بعضهم فرأى أن من هذه الأفعال الرُّباعية ما كان قد عرض له شيء خاصٌ في بنائه وتركيبه، فقد ذهب أحمد بن فارس في «معجم مقاييس اللغة» إلى أنه مؤلفٌ من أصلين ثلاثيين، وقد جاء بأمثلةٍ كثيرةٍ تؤيدُ ما ذهب إليه.

أقول: ولنا أن نذهب في شيء مما ذهب إليه مستدركين مثلاً أن: «اقشعرَّ» المزيد الرُّباعي فيه «قشعر» وهو من «قشر» و«شعر» ثم كان النحت فكان من الاثنين الرُّباعي الذي زعم أنه «مجرَّد».

ومثل هذا «اضمحلَّ» والرباعي فيه «ضمْحل» وهو من «ضحل» و«محل»، ثم كان النحت فكان من الاثنين الرباعي المذكور.

وأنت تدركُ في «اقشعر» ما يومئ إلى الأصلين الثلاثيين في المعنى.

لقد ذهب إلى مثل هذا أحمد بن فارس فذكر من ذلك «صلدم» وردَّها إلى «الصلد والصدْم» كما ذكر مواد أخرى سعى إلى ردّها إلى أصولها.

الهوامش

١. يغلبُ على هذه الأفعال بناءُ الرباعي: وهذا الرباعي يؤخذ من «الاسم». إن هذا الاسم يكونُ كثيراً اسم مكان مبدوءاً بميم زائدة، فكان لأصحاب هذا المولّد الجديد أن جعلوا الميم في بنية الفعل، كأنها من الأحرف الأصول. وعلى هذا رأيت من المفيد أن أغضَّ النظر مثلاً عن الواو من كلمة «موضع» التي هي فاء الفعل الثلاثي، وانظر إلى الميم فأجعله كما أراد المولدون أول الفعل الرباعي بعد حرف التاء التي هي زائدة وذلك في «تموضع». الفعل المولّد من «موضع» الاسم، وقد يكون الأصلَ مصدراً نحو «إسلام» فقد ولدوا منه «تأسلم» وجعلوا الهمزة من الأحرف الأصول. وقد يكون الأصل أعجمياً نحو «إقليم» وقد قالوا: «تأقلم».

٢. لقد عرضت للأستاذ في باب «المصطلح التربوي» الذي كان مادة «معجم» من المعجمات الخاصة التي اضطلعت بشيء منها.

٣. ويستعمل هذا الفعل في تجارب أهل العلم وإخضاع الحيوان إلى ظروف غير التي درج فيها.

٤. أقول: من المفيد أن أعرض لكلمة أخرى ذهب بها إلى المناخ اليومي أو الخاص وهي كلمة «طقس»؛ فقالوا مثلاً: الطقس في هذا اليوم حارٌ رطبٌ، ونحو هذا.
إن هذه الكلمة جيء بها من أدبيات النصرانية، وفي هذه يقال: «الطقوس الدينية» ويريدون بها الرسوم التي هي من ملاك التعبد والتقرب في النصرانية، يقوم بها كاهنُ الكنيسة، ويلْزمُ بها المتعبدون من النصارى. وهذه الرُسوم قد تكونُ من صميم العبادات أو غير ذلك مما أثر عن القديسين والرهبان.
إن كلمة «طقس» من المعرّب في الكتابات النصرانية وهي من Taxe أو Tax في الفرنسية والإنجليزية، وهي في هاتين اللغتين تعني «الضريبة» أو «قيمة الأتعاب». وهذه «الضريبة» تفرضها السلطات على الناس أو على ما يمتلكون من أجل أغراض عامة.
أقول: وقد توُسِّع في هذا فذهب بها النصارى العرب إلى الرسوم الكنسية، وهم في ذلك قد ذهبوا إلى ما ذهب إليه الغربيون في هذه الأغراض نفسها.
ومن المفيد أن ننظر إلى «التاكسي» وهو المركبة المعروفة ودلالتها الحاضرة. وهذه لدى المغاربة هي: «الطاكسي» على أصول التعريب لدى الأقدمين.

٥. أقول: إن كلمة «إنسان» هي من «إنس» التي وردت كثيراً في الآيات الكريمة تسبقُ «الجن». ويرادُ بها جنس الإنسان الظاهر للعيان، وهو غيرُ «الجن» المخلوقات التي لا تدركها الأبصار.
ومن هذا جاء الفعل «أنس» وما يتبعه من ألفاظ كثيرة. وهذا يومئ إلى الأصل الصوتي للكلمة وهي «إسْ» التي أبعد عنها التضعيف فكانت «إيس». ومن هذا جاء «إيسان» بمعنى «إنسان» والياء والنون في الكلمتين تعويض عن السين الأولى في الأصل المضعف. وقد يكون لنا أن نجد هذا في الكلمة العبرانية «إيش» بمعنى رجل.
ومن غير شك أن كلمة «شيء» هي مقلوب «إيش»، وقد صرف المقلوب إلى غير الرجل، والإنسان إلى كل ما تبصره من أجسام أو مما له جرم خاص، ثم توسِّع فيها فذهب إلى ما لا تبصره من «أشياء».
وهذا في العربية أيضاً «الأيس» التي التزمها المتفلسفون للدلالة على ما هو كائن موجود، ويقابله «اللاأيس».

الأدب الأمريكي ـ الحالة الخاصة

هنري غيفورد
ترجمة:
فؤاد عبدالمطلب
حمص ـ سورية

بما أننا مواطنون ناطقون باللغة الإنجليزية فنحن واثقون بأننا نسعى لتأسيس وعي خاص بنا.
إن اللغة الإنجليزية تقدم الأداة لآداب متنوعة من بينها الأمريكي الذي يسترعي الانتباه أكثر من أي أدب آخر. فمنذ زمن ليس ببعيد اعتاد الكاتب والقارئ الأمريكيان أن يضللا، وغالبًا من دون رغبة، وعيًا حول أدبهم الخاص على أنه ملحق بأدبنا.

والإشارة الضمنية إلى إنجلترا وأوربا نلمسها باستمرار في الكتابات الأمريكية. لقد قلت سابقًا: إن النظرة المقارنة تبدو طبيعية بالنسبة إلى التفكير الأمريكي الذي لا يستوعب في حالته هذه الأدب الإنجليزي فحسب، بل على الأقل آداب ستة من الشعوب الأوربية، وينتشر في هذه الأيام إلى أبعد من ذلك وصولاً إلى الصين والهند واليابان. إن وضعه الثقافي جعل أمريكا المركز الرئيس للدراسات المقارنة. وبما أن الفكر والأسلوب والمواقف الأمريكية تتدفق بقوة أكثر في حضارتنا، فإن الحس المقارن، على الأقل بالنسبة إلى أمريكا نفسها، يبدأ بالتشكل هنا.


ماثيو أرنولد

يتم غزوها الآن: إن الإنجليزية (اللغة الإنجليزية) تبدأ الآن بالاستسلام. لقد أصبح من المستحيل تمامًا في هذه الأيام أن نتجاهل الكتابات الأمريكية التي تعدل الخطا وتحدد الاتجاه في أدبنا. ويدين الشعر الإنجليزي في الوقت الحاضر بالكثير من اندفاعه إلى النموذج الأمريكي. إن فكرنا الاجتماعي يشتق الأفكار بشكل متزايد من الأنساق الأمريكية. إن التذوق الكامل للأدب الأمريكي بقوته وضعفه يجب أن يكتسبه أي شخص ذكي في هذا العصر، ويكتسبه أشخاص إنجليز أكثر من غيرهم.

وهنا تكمن فرصة، وهي ليست أقل من إلزام. فنحن ملتزمون بوصفنا مشاركين في تراث مشترك، وهو واسع على هذا النحو، أن نعرف الأدب الأمريكي ونفسره ونحكم عليه. إن ذلك يهم الكاتب والقارئ الإنجليزيين ليس لأن تقدم أمريكا ينعكس كثيرًا على قضايا تؤثر في العالم كله فحسب، بل لأن اللغة التي

حضور مستشعر!!

إن الكاتب والقارئ الإنجليزيين في العصر الحاضر يمكنهما أن يشعرا في كل مكان بهذا الحضور، وبأي حال، غير مرحب به بكل ما في هذه الكلمة من معنى. إن أطراف موطن لغتنا ومجالاتها الأكثر حساسية وحميمية

تهذب مشاعرنا، وتقود تفكيرنا قد أخذ التأثير الأمريكي يهزها. ويجب أن نميز ما يحدث أو أن تغيرات كبيرة ستحدث، ونصبح متورطين فيها كمجرد إحساسات أسيرة. ويجب المحافظة على صوت اللغة الإنجليزية عاليًا ليس لأنها الصوت الوحيد والسائد في فرقة موسيقية (لم يكن هذا مرغوبًا أبدًا)، ولكن على أنها متساوية مع التنوعات الجديدة المختلفة عن لغتنا فيما وراء البحار، ولا بد من فهم الأدب الأمريكي، وإلا فالأدب الإنجليزي سيفقد مكانته بسرعة. إن الثقافة التي تتجاهل ما يحدث في الخارج يضيق أفق تفكيرها بسرعة ومن ثم ستخفق في أداء مهمتها.

وعلى نحو مساو فإن علاقتنا الخاصة بالأدب الأمريكي - وهي أمر واقع في الثقافة على الأقل - تمنح امتيازًا؛ فهي لا تسمح فقط للقارئ الإنجليزي ببعد جديد في الفكر والشعور الذي يستطيع أن يمتلكه دون أن يكون هو ملكًا له بالنتيجة. وهنا أيضًا ربما يكمن الكسب الحقيقي، إنها تحطم فكرة الاكتفاء الذاتي، والقناعة الذاتية الراسخة وغرور الإنسان الإنجليزي الذي حاول أن يبديه ماثيو أرنولد Mathew Arnold. فقد هدد هذا الأمر بجعل أدبنا في منتصف القرن التاسع عشر أكثر انعزالاً مما كان عليه في القرن السابع عشر. وهذه الفرصة تترافق مع الخطر. ففي العقود القادمة يمكن للأدب الإنجليزي أن يتوافق بسهولة مع الاتجاهات الأمريكية إلى حد بعيد، أو أن ينهض ليقبل التحدي، فإنه يستطيع أن يحقق إدراكًا قويًا لطبيعته الخاصة وللتقاليد التي صاغته والتي لا تزال غير بعيدة عن التذكر، وللتقاليد الأمريكية المتفرعة عنها أيضًا. وهذه ستكون خدمة يستطيع كلا الأدبين الاستفادة منها ضمن أدب واحد.



إميلي ديكنسون

تحفظ وانعزال!!

إن اتجاه الفكر الأمريكي في الكتابات الإبداعية يختلف عن اتجاه الفكر الإنجليزي. فهو غالبًا ما يسير نحو المغالاة حيال القطيعة الجارفة كما في بعض الآداب - كما في الفترة الكلاسيكية الفرنسية على سبيل المثال. ولكنه يفتقد في أمريكا إلى ثقل التراث المعترف به واستقراره. وفي معظم الحالات يظهر الاستعجال الأمريكي بوصفه مضادًا للتحفظ الإنجليزي (وهي نفسها ميزة تضعف).

ومنذ بضع سنوات وازن ريتشارد تشيس بين «الحكمة العملية» و«توازن الحكم» الخاص بالرواية الفكتورية مع «التغريب والتناقض والفوضى» الخاصة بنظيرتها الأمريكية (تشيس، عام ١٩٥٨م، ص٤). إنه يطرح ميزة صحيحة تمامًا تنطبق على القرن الماضي، وميزة لا تزال تحتفظ بجزء من قيمتها حتى الوقت الحاضر، مع أن المخيلة الإنجليزية لم تعد معيارًا كما تحدث عنها. ويبقى، على المدى المنظور الطويل، حتى مع أن الأدب الإنجليزي قد يخرج عن مداره القديم، هناك اختلاف واضح وقد يستمر كذلك. ويبدو الكاتب الإنجليزي قليل الاطلاع والخبرة في أمور العنف، وفي إدمانه عليه يبدو أنه قد يتمسك بتجربة أوربا في زمن الحرب. وهذه التجربة تعكس الشر في حياة المدينة مثل كل المدن الحديثة التي تنحرف باتجاه شيكاغو، ولكنها أيضًا تعكس شيئًا من الفكرة المجردة: أي الحالة الإنسانية مقروءة باصطلاحات أمريكية.

بدأ الأمريكيون من جانبهم يشعرون بأن الكتابات الإنجليزية في فترات ما قبل الاستيطان لا تنتمي إليهم مباشرة؛ لذا يجب تمييز الإيقاع والنبض الحقيقيين للغة الإنجليزية الأمريكية على أنها ظاهرة جديدة

لقد تعدلت خصائص الأدب الأمريكي منذ الفترة البيوريتانية (التطهيرية)، ولكن هناك استمرارية كافية، وإلى حد كبير، من الكتابات الأمريكية لتجعلها شبه أجنبية بالنسبة إلى الآمال الإنجليزية. وقد بدأ الأمريكيون من جانبهم يشعرون بأن الكتابات الإنجليزية في فترات ما قبل الاستيطان لا تنتمي إليهم مباشرة؛ لذا يجب تمييز

الإيقاع والنبض الحقيقيين للغة الإنجليزية الأمريكية على أنها ظاهرة جديدة.

فالكلام الأمريكي يتطلب معايير خاصة به. فبينما أخذت الكتابات الأمريكية والإنجليزية تبدو مندمجة بعضها مع بعض، اختلف التيار وأصبح الأدب الأمريكي يجر اللغة الإنجليزية وراءه.

الطالب والأدب الأمريكي

ومن المؤكد أن الطالب في سنوات ما قبل التخرج سوف يقرأ الأدب الأمريكي الحديث كأنه شيء يخاطبه، ويمر هذا الطالب في دراسته بعدد من الكتاب مثل فوكنر، وهمنجواي، وسالينجر، وساول بيلو أو مالامود، أو شعراء وحدة الإيقاع - وهؤلاء الكتاب وغيرهم لعلهم ساروا بالطريق نفسه الذي يسير عليه، وكما في المدرسة أيضاً. إن عدة أحكام على أدبنا ستصبح مألوفة بالنسبة إليه قبل أن يصل إلى المرحلة الجامعية، عندها يتحول إلى الأدب الأمريكي بحس واسع الأفق وحقيقي. سيقابله هناك كثير من المعتقدات التقليدية المغالية، ولكنها ليست معتقداته الوطنية الأصلية وقد يدخل في صراع مع بعضها. إن استكشاف الكتابات الأمريكية من عصر كوبر إلى الوقت الحاضر، مع أنها روتينية، يشحذ اهتمامه بكتابتنا الخاصة في الفترة نفسها. وهكذا يصادف الطالب علاقة حية بين الآداب، وباستطاعته أن يرى ما هو التراث، وكيف يتطور؟ ومن ثم يبدأ بإدراك النغمات في لغة الكتّاب الإنجليز والأمريكيين، وأن يفهم المعاني والمضامين عندما نتحدث عن عبقرية قومية. إن معظم مناهج الأدب الإنجليزي ومقرراته فيما قبل التخرج تبدو مكتظة، ولكن يجب أن يكون هناك مجال لدراسة أولية للكتّاب الأمريكيين مع معاصريهم الإنجليز في العصر الحديث. وإن أدى هذا إلى أكثر من مقدمة لدراسة هوثورن، وميلفيل، وتوين في مقرر حول رواية القرن التاسع عشر، وهذا سوف يظهر محدودية الكتّاب الفكتوريين من طرف، وقدرتهم من طرف آخر أيضاً. ويوحي هذا بمدى جديد من الإمكانات في شكل الرواية. وقد يجد الطالب نفسه منجذباً بقوة إلى



دستويفسكي

ميلفيل في «شعر الفوضى» أكثر من انجذابه إلى الثوابت المستقرة في تقاليده الأدبية.

أما بالنسبة إلى الفترة الحديثة جداً، فلا يوجد منهاج حول الشعر الإنجليزي يستطيع إغفال الأمريكيين - ليس فقط باوند وإليوت وأثرهما الواضح فيه بل أيضاً فروست، ووالاس ستيفنز، ووليام كارلوس، ووليامز، ولويل. والشيء نفسه يسري على الرواية في القرن العشرين، وكذلك على النقد. وأن نبقى مواكبين للتطورات الأمريكية شيء مهم بالنسبة إلى الكاتب مثلما هو بالنسبة إلى العالم والمهندس.

مزيج غريب

إن نسق الأدب الأمريكي على مدى ثلاثة قرون في كفاحه لتكوين بدايات بسيطة تصل به إلى مكانة عالمية تتخذ صفة بيانية تقريباً. ويعرض العصر البيوريتاني (التطهيري) الأول بشكل واضح المجتمع الصغير الذي نشأت منه أمريكا الحديثة. ويمكن للمرء أن يقرأ مسبقاً أن هناك بعض الأدلة على ذلك. ويدعي بيري ميللر أنه

> جمعت أمريكا الكثير من الأجناس معًا فيجب أن توفق وتكيف جميع أنواع التنوع الأدبي الأوربي لأهدافها الخاصة

لا بد لدى جونثان إدواردز، الوارث والمدافع الأخير عن الإيمان، أن نقابل أشياء أكثر بكثير من كونه رجل دين عظيماً، ويطلق عليه ميللر دون تردد لقب «واحد من خمسة أو ستة من الفنانين الأمريكيين البارزين». ويبرز دون شك كل من هوثورن، وميلفيل، وإميلي ديكنسون إلى جانبه، وإن ما يضعهم هناك هو علاقة عميقة بإدواردز. وقد تكونت عبقريتهم في وحدة وعزلة وانشقاق أيضاً (وبصورة كبيرة الاثنان الأخيران منهم) وهي تدفع نحو أقصى الحدود. إنها تظهر ذلك المزيج الغريب من الجرأة والانحراف نفسه، وتتحرك بخوف في عالم

عدائي. وهذه الشخصيات الأربع تقف في وجه التفاؤل السهل الذي بدأ في زمن إدواردز واختارت في النهاية شاعراً مثل إمرسون ليكون ملهمها. فالتباين واضح في الأدب الأمريكي كما في الفكر الأمريكي. إن آر دبليو بي لويس يجد دراما طبيعية في المنافسة بين الملتزمين بالماضي ودعاة المستقبل من عام ١٨٢٠ إلى عام ١٨٦٠م، التي تقود إلى نشوء فريق ثالث من الكتاب الساخرين من أمثال هنري جيمس الأكبر سناً (لويس، عام ١٩٥٥م، ص ١-١٠). ومرة ثانية كما في العهد البيوريتاني، فإن كل شيء يمكن التركيز فيه بوضوح مضنٍ قليلاً. ويستمر الجدل في الإفصاح عن نفسه على مدى جيلين. إن مثل هذه المرحلة المركزة، عندما تتوضح فيها كل القضايا يمكن الموازنة بينها وبين نهضة الجنوب بعد الحرب العالمية الأولى. وقد عرّفها ألان تيت بأنها «انفجار غريب الذكاء حصلنا عليه عند مفترق الطرق» (عام ١٩٥٥م، ص٣١٩). وهكذا أيضاً

لقد أصبح من المستحيل تماماً في هذه الأيام أن نتجاهل الكتابات الأمريكية التي تعدل الخطا وتحدد الاتجاه في أدبنا

دام فترة قصيرة - عقدين أو ثلاثة من الزمن. ومنذ الحرب بدأت مرحلة أخرى كهذه في نيويورك، ومن الممكن أنها كانت تمثل آخر وهج أوربي في الثقافة الأمريكية.

إن الحس الموازن يثير الانتباه باستمرار من خلال خصوصيات المشهد الأمريكي. حتى إننا منذ البداية نعلم أن إنجلترا الجديدة تختلف عن نيويورك، ونيويورك تختلف عن فيلادلفيا. ولكن التباين الأكثر جدية كان أعمق من أي تباين آخر بين الأراضي الجديدة والمستوطنات القديمة، وهو كما يظهر بين أمتي الشمال والجنوب اللتين اقتتلتا في الماضي. ولكي نميز، لنربط هذه الثقافات بعضها ببعض مع الانتباه إلى الاختلافات


هنري جيمس

والعناصر المشتركة في خلفية كل منهما، فهذا أمر يستدعي قدرة نقدية؛ إذ يجب أن يكون هناك دقة في التعاريف مدعمة بوجهة نظر أوسع من تلك المتبناة بشكل شائع. ففي هذا المجال يمكن للدراسة الموازنة أن تستخدم جميع مصادرها: الاطلاع على التقليد تحت مظاهر متعددة، واستخدام الإشارة إلى أشياء متناظرة في الماضي (دون التوغل بعيداً في أثناء تعقبها)، وإعمال الغريزة لاستكشاف العلاقات الحقيقية والصلات الأعمق. إن ادعاءات الجنوب للتشبه بفرنسا أكثر من الشمال في شعوره الديني والاجتماعي، أو في اعتقاده أنه كان يشكل مجتمعاً أرستقراطياً رفيعاً، يحتاج إلى إثبات أمام معرفتنا الخالصة بالثقافة الفرنسية والأرستقراطيات في أوربا. لذلك فإن أسئلة كهذه عن الثقافة والكتابات الأمريكية تقودنا إلى النظر في النسيج الذي نشأت منه أمريكا.

صياغة نظرة أوسع

إن الدراسات الأمريكية ليست أقل قيمة، لأنها تطور أفكارنا حول الأدب الأوربي. إن الوجدان الأمريكي يُبقي كل قارئ يقظاً ببحثه وبأسئلته التي ليس من السهل الإجابة عنها. إنها مجموعة الأسئلة التي تنشأ من النظرة المباشرة للثقافة الأمريكية، وتمس هذه الأسئلة أنفسنا تقريباً بوصفنا أوربيين أو شعباً إنجليزياً شبه مقحمين في التاريخ الأمريكي. وليس بإمكاننا أن نعالجها بشكل منفصل. إنها تجبرنا على أن نصوغ تلك النظرة الأوسع التي تتضمن المثل الواحد - أمريكا - والخلفية التي منها نستطيع تفسيرها والحكم عليها. ويتم ذلك باهتمام مكثف لم يُعرف من أيام الناقد بيلنسكي وخلفائه، ويقوم النقاد الأمريكيون بقراءة أدبهم بإنعام من أجل ما يمكن أن يفضي إليه من إضاءة وتوجيه. كما أن قراءة أعمال هؤلاء النقاد تعني التخلص فوراً من الافتراضات حول تطلعات المجتمع التي لم يواجهها جميع النقاد الإنجليز كتحديات. فالكتابة الجدية في أمريكا تبقى حية على نحو واسع من خلال الجامعات التي تدرب القراء عليها وتقدم

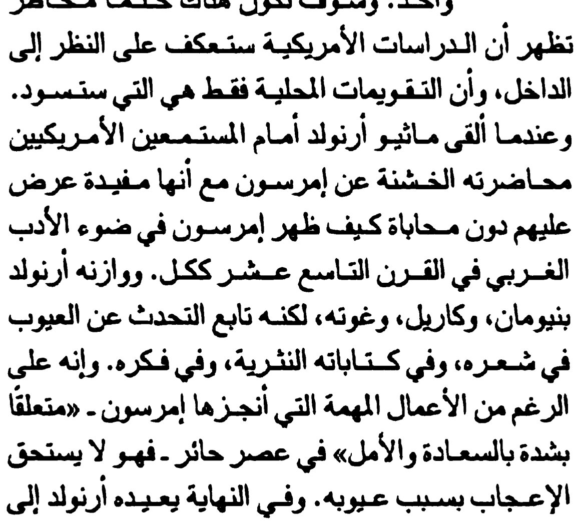
معونات مالية للكثير من الكتّاب. وهذه الحالة لا يمكن أن تؤخذ كلها على أنها مفضلة بالنسبة إلى الأدب. ففي أمريكا تتكشف الضغوط بصورة حادة أكثر في الثقافة الحديثة تحت تأثير التغيرات التكنولوجية. فهم يحذروننا أن نراقب الإشارات هنا. إن الشيء الذي يصيب الثقافة الأمريكية سوف يرتد علينا، لذلك من الضروري دراسة النكسات والانتعاشات إن كانت ثقافتنا ستسير على الطريق نفسه.

الأمريكيون ليسوا أوربيين في الإحساس والشعور على الرغم من أن أدبهم يحتوي على مصادر أوربية متعددة؛ إنهم يقفون والنصف الآخر داخل الأدب الإنجليزي ونصفهم خارجه

لا يحتاج المظهر المثالي في الأدب الأمريكي إلى تأكيد جديد. فنحن مهتمون به فقط بتأثير من المظهر الموازن، وهنا، فإن الأدب الأمريكي يفتح مجال رؤية واسعة. ففي عام ١٨٦٧م كتب هنري جيمس إلى صديق له عن مزايا أن تكون مولودًا في أمريكا: «... باستطاعتنا أن نتعامل بحرية مع أشكال للحضارة غير أشكال حضارتنا، وبإمكاننا أن نلتقطها ونختار منها ونستوعبها وباختصار (جماليًا) بإمكاننا أن ندعي ملكيتها أنى وجدناها». وهذه الكلمات تسبق استشهادنا بباوند في بداية الفصل الأول. و تشير هذه الكلمات أيضًا إلى الحقيقة البسيطة والمألوفة أن الأدب الأمريكي مرتبط بأشياء كثيرة إضافة إلى الأدب الإنجليزي ـ فقد تتطلع بلهفة تجاه الأساتذة الإيطاليين والفرنسيين والألمان وحتى الأساتذة الإسبان والروس.. إن الفكرة هي: بما أن أمريكا قد جمعت الكثير من الأجناس معًا فيجب أن توفق وتكيف جميع أنواع التنوع الأدبي الأوربي لأهدافها الخاصة ـ وليس التفوق الأدبي الأوربي فحسب. (لم يبد الشعراء في أي بلد آخر جهدًا جديًا أكثر للتعلم من دانتي الذي يسخر نظامه وكماله من الفوضى والتشتت اللذين نجدهما في التجربة الأمريكية). لذلك يدفع الأدب الأمريكي الطالب الدارس إلى أن يشكل مفهومه الخاص عن الإرث الغربي وأن يستحضر، كما فعل إليوت، «الذاكرة الأوروبية» التي يجب أن تستوعب أمريكا.

ينبغي علينا دون أي سؤال أن نفهم الأدب الأمريكي من خلال «ذاكرة أوربا». وعلينا أن نمارس «الرؤية بالمنظار» كما استخدمها توكفيل في كتابه عن الديمقراطية في أمريكا.. وفي الحقيقة لم تنس أوربا أروع نقاد الولايات المتحدة وباحثيها أبدًا. ففي محاولاتهم لتوضيح غرائب التقاليد الأمريكية يتحولون باستمرار إلى التقاليد الأوربية التي سبقتهم. وبأخذ قدراتهم البحثية العالية في الحسبان واطلاعهم على مصادر أوربا التي لا تحصى وعلومها الصعبة، بإمكان المرء أن يسأل ما الشيء الذي يمكن أن تسهم به أوربا؟ إنها يمكن أن تعطي ما أعطاه المغتربون منذ ربع قرن رجالاً مثل إريك أورباخ، وريناتو يوغولي، ورينيه ريلكه، وجورج غويلين. فقد قدم هؤلاء فكرة الأدب الغربي بكل تنوعاتها، وسجلاً متعددًا ذا معرفة متجمعة ومتراكمة أكثر بكثير من تلك التي يمكن أن تكتسب من أي تقليد أدبي واحد. وسوف تكون هناك حتمًا مخاطر


ريلكه



تظهر أن الدراسات الأمريكية ستعكف على النظر إلى الداخل، وأن التقويمات المحلية فقط هي التي ستسود. وعندما ألقى ماثيو أرنولد أمام المستمعين الأمريكيين محاضرته الخشنة عن إمرسون مع أنها مفيدة عرض عليهم دون محاباة كيف ظهر إمرسون في ضوء الأدب الغربي في القرن التاسع عشر ككل. ووازنه أرنولد بنيومان، وكارليل، وغوته، لكنه تابع التحدث عن العيوب في شعره، وفي كتاباته النثرية، وفي فكره. وإنه على الرغم من الأعمال المهمة التي أنجزها إمرسون ـ «متعلقًا بشدة بالسعادة والأمل» في عصر حائر ـ فهو لا يستحق الإعجاب بسبب عيوبه. وفي النهاية يعيده أرنولد إلى

موقعه كحضور أخلاقي مثل ماركوس أوريليوس «صديقًا ومساعدًا لأولئك الذين يرغبون العيش في الروح». إن ذلك الحضور الأخلاقي يبدو بعيدًا جدًا. إن النقد القاسي الذي نقد به أرنولد أعمال إمرسون الأدبية فاق «الإطراء العاطفي للمزاج الهادئ الجميل المفعم بالأمل إلى حد ما». إن ما كتبه أرنولد عن إمرسون قد نتذكره الآن عندما ننظر إلى عدد من الكتّاب ببساطة من خلال معيارهم الأمريكي فقط.

شفقة وفقدان ثقة

ليس لدى الناقد الإنجليزي تفويض بالظهور على الأرض الأمريكية ليحذر من الأحكام المحلية. إن هذه الأحكام لا تصاغ حول الأدب الأمريكي في أجواء أقل حرية من تلك التي تصاغ حول الأدب الإنجليزي. ولكن الناقد الإنجليزي يبدو مناسبًا لمهمة جدية واحدة. وقد عرف الدارسون الأمريكيون بشكل مقنع التقاليد الأمريكية في الشعر والرواية. ونحن نفهم تفردات الشكل «الرومانسي» في النثر الروائي. إننا نرى بوضوح تام أن «الشعر الأمريكي» كله - كما قال أحد النقاد - يصبح وكأنه «سلسلة من الحوارات مع وايتمان» (بيرس، عام ١٩٦١م، ص٥٧). إن النزعة التي تشكل تقليدًا في هذين الشكلين معروفة، ونحن لن نخطئ بالنظر للشعر الأمريكي في نزعته المميزة. فالشعر الأمريكي كسب اعترافه كشكل نشأ من دوافع معينة، وواجه ضغوطًا معينة. ولكن تحريره من ارتباطات مضللة ليس أكثر من خطوة أولى. وتحتاج الرواية الأمريكية إلى أن توضع ضمن علاقة أوسع مع الرواية الأوربية حسب تطور هذه العلاقة في بلدان مختلفة؛ وبما أن الشعر الأمريكي قد أفصح عن نفسه بوضوح من خلال تقاليده الأمريكية الخاصة، يجب أن يجد مكانه الحقيقي إلى جانب الشعر الأوربي. فقد يكون والالس ستيفنز على صواب عندما احتج قائلاً: «لا شيء يمكن أن يكون غير ملائم للأدب الأمريكي أكثر من منبعه الإنجليزي مادام أن الأمريكيين ليسوا بريطانيين في أحاسيسهم». وهم ليسوا أوربيين في الإحساس والشعور على الرغم من أن أدبهم يحتوي على مصادر أوربية متعددة؛ إنهم يقفون والنصف الآخر داخل الأدب الإنجليزي ونصفهم خارجه. إن موقعهم تجاه أوربا هو مزيج من الشفقة وفقدان الثقة على حد سواء.

ذريعة وصراحة

لقد ميز هذا الموقف، بتناحراته وبطرقه في التعريف المتحمس، الروس منذ زمن طويل. وسوف نكون قادرين على أن نحكم على الأدب الأمريكي من خلال منظور أوضح كثيرًا بملاحظة تشابهاته مع الأدب الروسي واختلافاته أيضًا. وحقيقة أن الأدبين يحتويان على قدر كبير من أشياء مشتركة بينهما ليست اكتشافًا جديدًا. فمنذ خمسين عامًا، وجد لورانس أنه من الطبيعي في بداية «دراساته في الأدب الأمريكي الكلاسيكي» أن يعدّ الأدب الروسي قريبًا من الأدب الأمريكي في الشعور أو في «درجة الوعي». إن طريقة التعبير فقط هي التي كانت لدى كل من الأدبين مختلفة جدًا.

إن الشيء الذي يصيب الثقافة الأمريكية سوف يرتد علينا، لذلك من الضروري دراسة النكسات والانتعاشات إن كانت ثقافتنا ستسير على الطريق نفسه

إن لورانس يضع الذريعة الأمريكية أمام الصراحة الروسية؛ ولكن كلا الأدبين قد وصل إلى «أفق حقيقي». أفق لم يستطع العقل الأوربي بلوغه مع كل محاولاته أن يكون متطرفًا (لورانس، عام ١٩٥١م، ص٨). وطبيعي أن الأدب الروسي لم يتطور ضمن لغة كانت تحتوي من قبل على أدب أوسع بكثير، كما أن أسلافهم في القرون الوسطى كانوا محليين والاستمرارية لم تكن قوية. ولكن العلاقة التي يحملها تجاه الأدب الأوربي الحديث منذ أوائل القرن الثامن عشر وما بعد ليست مختلفة إطلاقًا عن العلاقة بالأدب الأمريكي. ويبتعد هذان الأدبان عن أوربا إلى داخل تجاربهما الخاصة، والتي بعضها متشابه وبعضها الآخر مختلف. وعندما يتم فحص المجابهة بين هذين الأدبين بالتفصيل نجد أنها تكشف عن مظاهر جديدة لكل منهما. ويمكن الموازنة بين هوثورن وغوغول

أو بين ميلفيل ودوستوفسكي بدقة في بعض النقاط، خصوصاً عندما نصل إلى مستويات أعمق من الفهم. ويجب أن نميز الجدية الأمريكية من الجدية الروسية، على كل حال كلتاهما تطرحان النوع نفسه من الأسئلة المحرجة. فكلا الأدبين متشابهان في رغبتهما في العرض، حتى وإن كان الأدب الأمريكي يلتجئ إلى الغموض هرباً من النتائج.

يجب أن يكون الناقد الإنجليزي قادراً على تفسير هذين الأدبين من أجل فائدتهما المتبادلة. فنحن نشترك مع الأمريكيين بلغة واحدة وجزئياً بالأدب أيضاً. أما مع روسيا فنشترك في أشياء أقل تحديداً ـ خبرة الانبثاق من العالم المسيحي في القرون الوسطى، على الرغم من أن مظاهره اللاتينية والأرثوذكسية مختلفة، وبتدخلها في الحياة الأوربية العامة، وفي حروبها وتبادلاتها، وأكثر من كل شيء الإحساس بماض قومي طويل، وفي أشكال مألوفة عميقة الجذور في الشعور والتفكير، وفي إلفة مع طبيعة فطرية. إن الحساسية الروسية مهما بدت غريبة في صيغتها ولهجتها فهي تأخذ نسقاً مألوفاً، ولكن لنفهم ماضينا يجب ألا نهمل أي شيء منه. ومع ذلك فإن الصلة بين هذين الأدبين بدأت بصعوبة. إن استقصاء أشمل سيظهر أشياء أكثر حول الأدب الغربي ككل، وسيوضح الخطوط التي يجب على أساسها أن ندرس الأدب العالمي.

بعد وصفه للاستمرارية التي يمكن أن توجد في الشعر الأمريكي يصل روي هاردي بيرس إلى نتيجة مضمونها أنه ربما «لن يكون هناك شعر أمريكي في نصف القرن القادم، بل سيكون هناك شعرٌ عالمي جديد» (عام


هيرمان ميلفيل

١٩٦١م، ص٤٣٣). فهذه النبوءة ليست إلا تخميناً، ولكنها تبدو مضمونة بمسيرة الأدب الأمريكي الذي يميل بصورة محمومة إلى التوسع. وهكذا نحن نواجه بمشكلة موجودة ضمناً عبر هذا التساؤل: كيف وبأي شكل سيولد الأدب العالمي الذي أعلن عنه غوته؟ لقد فكر غوته في اندماج بين الآداب في النهاية، تناغم بين كل الأصوات الأدبية القومية المستقلة. وليس هناك احتمال بأن هذه الآداب سيتناقص عددها. وفي الوقت نفسه يبدأ بالنمو شكل جديد من وعي عظيم يتجاوز القوميات. وتزدهر الترجمة في حقبتنا بمعيار لم يعرف من قبل: وأفضل الأشياء في الأدب العالمي، والأكثر استيعاباً، تنتشر بسرعة من خلال الترجمة إلى عدد من الألسن. لقد وصل هذا النشاط إلى أقصى مدى له في أمريكا والذي يحتوي على عيِّنات من معظم المجتمعات الأوربية. وكنتيجة لذلك أدخلت اللغة الإنجليزية الأمريكية إليها الكثير من الأدب العالمي، وأعمالاً ما إن أفسح المجال لها أن تترجم حتى تبدأ بالتدريج تأثيرها في سريان الدم. إنني لا أقترح هنا أن الأدب العالمي سوف يحقق نفسه نهائياً عبر اللغة الإنجليزية الأمريكية، ولكن من المحتمل أن الأدب الأمريكي أو بالأحرى الأدب المشترك للشعوب التي تكتب باللغة الإنجليزية سوف تقدم شيئاً متقارباً واحداً إلى الأدب العالمي. إن أربع لغات أو خمساً ربما تؤدي الوظيفة نفسها التي أدتها اللغة اللاتينية تجاه مجموعة من المجتمعات القومية. ففي وقتنا الحاضر، ولأسباب مختلفة تحقق اللغة الإنجليزية هذه الغاية أكثر من أي لغة أخرى. لذلك كانت دراسة الأدب الأوربي، كشريك كبير وأساسي في تلك اللغة، ستبدو وكأنها تهيئنا لاستقبال الأدب العالمي.

يبتعد الأدبان الأمريكي والروسي عن أوربا إلى داخل تجاربهما الخاصة، والتي بعضها متشابه وبعضها الآخر مختلف

الهوامش

- المقالة ترجمة لفصل من كتاب «الأدب المقارن» COMPARATIVE LITERATURE الذي لم يترجم إلى العربية بعد.

نظرة من الباب الأخير

فيصل أكرم
الرياض - السعودية

بلادٌ هي الشمس
والريح أيضًا بلادُ..
وماءٌ هي العينُ، في نظرة
ردّها الخوفُ.. أو هدّها الإبتعادُ
يقول المُهاجرُ:
إني تعبتُ من الحُزن
أتعبني الفرحُ المُستعارْ..
وأتعبتني أيها القلبُ
لا الليل فيك يقوم
ولا قام فيك النهارْ..
أقول: انتهت حفلتي
ثم تبدأ في العزْف، أنتَ
ويبدأ فيّ الدُوارْ
إلى أين؟ بي حيرةٌ تتنامى..
إلى أين يمضي بنا مثلُ هذا الحوارْ؟

***

وحده الوقتُ، يدري
ووحدي أقول: تعبتُ
ووحدي أمرُّ على المُتعبين
أغازلهم واحدًا.. واحدًا
ثم أجرح كفّي بمسمارهم..
أبدأ القولَ: أين المَزامير؟
يأتي الجواب.. تعبْنا
وشاخت طبولُ الهوى
تحت وقْع العصيّ..
أنت أيتها الشمسُ:



تشتعلين، بكلّ صباح
تزيديننا إشتعالاً
تزيديننا.. كي نفيضَ
ولا تنقصين..؟
أنت أيتها الريحُ:
تحتفلين بنا في المساء
على رقصة الآخذين على الرقص
منك؛ ولا ترقصين..؟
نحن ماذا، إذًا
لو دعانا الوقوف؟
تعبنا.. هو الردُّ
والهزْلُ، والجدُّ.. أيضًا: تعبنا..

***

يحتدُّ لونُ الرّخام
ويشتدُّ ربْط الحزام
وتبقى الرشاقةُ رمزًا
على الخاصرات
ويبقى هنا..
من يمدُّ الشموعَ إلى الساهرات
ويمسح دمع اليتامى..
ويدفن من مات جوعًا
ويخرج منتصرًا بالحياة..
الحياة الأخيرة؟
لا؛ إنّ بابَ البداية هذا
وهذا طريقُ النجاة..

***

يقولون: من ماتَ.. ماتْ
يقولون: ما فات.. فاتْ.

لظى الأشجان

يحيى بن صديق حكمي
جازان - السعودية



تدثرتُ ليـلاً من لظى يأسـه أشـجى
تمور بيَ الأحـــزانُ في ظلّه الأدْجى
نسـجتُ على كـفي مُنى الحبِّ شـامـةً
ولكنّمـا الأشـجـانُ أحكمتِ النّسْـجـا
أحـاطت بأكناف الجـوى ليس للجـوى
نجـاةٌ ولا من بَرْي حـمْـتـهـا يُنجى
رأتْ في وريدي خـيـرَ مـأوىً يضـمُّـهـا
فـخطّتْ لهـا - في وجْدِ لوعـتـه - نهْـجـا

***

حلفتُ لهـا إنَّ الهـوى شـجْـه النوى
وإنَّ الـغــرامَ الصبَّ في روحيَ ارتّجـا
وإنَّ رؤى الأشــواق قــد شـاخَ دَلُّهـا
وإنَّ شـعـاع العـشق في زمني ضـجّـا
ومـا عـادت الذكـرى تُسَقّي مـرافـئي
ومـا عـاد غـمْـرُ المُزْن في أفْـقي مُـزْجى
فـمــا اتّضـحتْ إلا مُكوثًا، كـأنما
دمي قـد غـدا للحـزن والأرَقِ المَلْجـا

***

وحـسـبي بأنَّ الحـزْنَ كـالليل.. لو همَى
فـعند احـتـلاك الليل نَبْضُ السنا يُرجَى
وفي غـمـرةِ الأنفـاس ينسلُّ شـاعـرٌ
مـعانيـه من صدق الهـوى كَـمُلَتْ نُضْجا
تَلحّـفَـه الطوقُ البـهـيُّ، ومـا خـبَتْ
شـمـوعُ الهـوى، والوَهْجُ يُتبـعـه وهْجا
فــإن أزجت الآلامُ في الروح بـارقًــا
فـأمـواجُ برقِ الحُبِّ في خـافـقي تُزْجى

صحا القلب

زهير بن أبي سُلمى

صحا القلبُ عن سلمى وأقصرَ باطلُهْ
وعُـرّيَ أفـراسُ الصِّبـا ورواحلُهْ

وقـال العـذارى: إنما أنت عَـمُّنا
وكـان الشبابُ كـالخليط نُزايلُهْ(١)

فـأصبَحْنَ مـا يَعْرفْنَ إلا خليقـتي
وإلا سوادَ الرأس والشيبُ شاملُهْ(٢)

وذي نعـمـةٍ تَمَّمْتَـهـا وشكرتَهـا
وخـصمٍ يكادُ يَغلبُ الحقَ باطلُهْ(٣)

دفـعتَ بمعروفٍ من القول صائبٍ
إذا مـا أضلَّ القـائلين مـفـاصلُهْ

وذي خَطَلٍ في القـول يَحْسَبُ أنه
مُصيبٌ، فما يُلمِمْ به فـهو قـائلُهْ

عَـبَـأتُ له حِلْمًا وأكرمت غيـرَهُ،
وأعـرضتُ عنه وهو بادٍ مـقـاتلُهْ(٤)

وأبيضَ فـيّـاضٍ يداه غـمـامـةٌ
على مُعْتَـفِـيـه مـا تُغِبُّ فـواضلُهْ

بكرتُ عليـه غُـدْوةً فـرأيتُـهُ
قُـعُـودًا لديه بالصـريم عـواذلُهْ(٥)

يُفَـدِّينَهُ طورًا وطورًا يلُمْنَهُ
وأعيا فما يدرينَ أين مَخاتلُهْ(٦)

فـأقْصَرْنَ منه عن كريم مُرَزَّأً
عزومٍ على الأمر الذي هو فاعلُهْ(٧)

أخي ثقـةٍ لا تُتْلفُ الخمرُ مالَه،
ولكنه قـد يُتْلفُ المالَ نائلُهْ(٨)

تراه إذا مـا جـئـتَـه مُتَـهلِّلاً
كـأنك تُعطيـه الذي أنتَ سائلُهْ(٩)

وذي نَسَبٍ ناءٍ بعـيـدٍ وصلتَـهُ
بمالٍ، ومـا يدري بأنك واصلُهْ(١٠)

حُذيفـةُ يَنْميـه وبَدرٌ كلاهمـا
إلى باذخٍ يعلو على من يُطاولُهْ(١١)

ومَنْ مِثْلُ حصنٍ في الحروب ومِثْلُهُ
لإنكارِ ضيمٍ أو لأمرٍ يُحاولُهْ؟

أبى الضيمَ والنعمانُ يَحْرِقُ نابَهُ
عليه، فأفضى والسيوفُ مَعاقلُهْ

* * *

الهوامش

• ينسب الناسُ زهيرًا إلى مُزينة. ومزينة هي بنت كعب بن ربوة وأم عمرو بن أدّ إحدى جدات زهير لأبيه.

ولد زهير بن أبي سُلمى في ديار مزينة قرب المدينة، في نحو عام ٥٢٠م ، وكان يقيم في الحاجر من ديار نجد، وفيها نشأ. ولكنه يتم من أبيه باكرًا، فتزوجت أمه أوس بن حجر. وعُني أوس بزهير فجعله راوية له.

وتزوج زهير امرأة اسمها ليلى في الأغلب، وكنيتها أم أوفى. ورزق منها عددًا من الأولاد ماتوا كلهم صغارًا. ولعل حب زهير للذرية جعله يكره أم أوفى، فطلقها وتزوج كبشة بنت عمار بن سُحيم أحد بني عبدالله بن غطفان، فرزق منها ولديه كعبًا وبجيرًا. وكانت كبشة، فيما يبدو، ضعيفة الرأي مبذرة صلفة. فلقي منها عنتًا كثيرًا، فأراد - بعد عشرين عامًا - أن يعود إلى أم أوفى؛ ولكن أم أوفى لم تقبل.

وعُمّر زهير طويلا - نحو تسعين عامًا - وتوفي قبل مبعث رسول الله، قبل عام ٦١٠م.

وعُني زهير بشعره، فكان كثير التنقيح والتهذيب له، حتى زعموا أنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر، وينقحها في أربعة أشهر، ثم يعرضها على أصحابه في أربعة أشهر، فيتم له ذلك في حول (عام) كامل. من أجل ذلك عرفت قصائده بالحوليات.

ولقد كثرت الحكمة في شعر زهير، ثم توالت في قصائده أحيانًا، كما نرى في آخر المعلقة مثلا؛ ولكن الحكمة ظلت عنده غرضًا، ولم تصبح فنًا مستقلاً قائمًا بنفسه.

١. إنما أنت عمنا: أصبحت مسنًا - كنا نخالطك (نصاحبك) في الشباب، فلما فارقك الشباب فارقناك، لأنا في الحقيقة كنا نصحب شبابك.

٢. أصبحن لا يذكرن إلا حالي يوم كنت شابًا. أما الآن فقد عم الشيب رأسي.

٣. نعمتان: نعمة (لي على غيري) تممتها، ونعمة (لغيري علي).

٤. أكرمت نفسي عن الرد عليه. بادية مقاتله: أستطيع أن أتغلب عليه، أن أصيبه في مقتل منه.

٥. الصريم: جمع صريمة وهي رملة تنقطع عن معظم الرمل. عواذله: اللاتي يعذلنه ويلمنه على إنفاق المال.

٦. يفدينه: يقلن له: فديناك بأنفسنا وآبائنا وأمهاتنا. أعيا: أتعبهن وأعجزهنّ. مخاتله: الأمر الذي يختله ويخدعه فيه حتى يقبل عذلهنّ.

٧. المرزأ: المصاب بماله كثيرًا. عزوم: إذا أراد فعل شيء عزم عليه وأمضاه ولم يرِدْ عنه.

٨. النائل: الشخص الذي ينال المال منه.

٩. ذكر بعض النقاد أن هذا أمدح بيت قالته العرب.

١٠. ما كان يظن أنك ستعطيه مالاً.

١١. حذيفة وبدر: والد الممدوح وجده. ينميه: يرفعه في المجد أو النسب، إنه ينتسب إلى حذيفة وبدر. الباذخ: العالي (النسب الشريف).

الحياة في قرية الأنهار الخمسة

صموئيل سيلفون
ترجمة: جودت أحمد الحمد
إربد - الأردن

يقطنُ جزيرة ترنيداد أناس من مناطق كثيرة. إذا ما عشتَ هناك فقد يكون أصدقاؤك وجيرانك من الزنوج أو الهنود الشرقيين أو الأوربيّين أو الصينيين.

تتدفقُ خمسةُ جداول بالقرب من القرية في ترنيداد حيث عاش سام عندما كان صبيًا صغيرًا. استخدم الناسُ الماء النقيّ الصافي لكُل الأغراض. كانت تلك الأنهار الخمسة جزءًا من القرية كما الأكواخ والناس والطرقات التي سمّوها شوارع، لذلك عُرفت المستوطنة بقرية الأنهار الخمسة.

لم تكن لديهم في ذلك الوقت أيّ مدرسة، أو مخفر شرطة، أو مصابيح كهربائية. اعتاد سامُ السيرَ خمسةَ أميالٍ لأقرب مدرسة وهو يحمل في حقيبته المدرسية غداءه المكون من خبز بيتي وسمك مُملح. كان سامُ ينتظر بوبو، الصبيّ الهنديّ الصغير، أفضل أصدقائه كل صباح. كان سام في التاسعة من عمره وكان بوبو في السابعة. ولكونه أصغر من سام، اعتاد سام أن يُجبر بوبو على حمل كُتبه له. كثيرًا ما تجادل بوبو مع سام حول هذا، لكن سام كان يُحقق رغبته عندما كان يعدُ بوبو بالسماح له باللعب معه ومع الأولاد الأكبر سنًا في المدرسة.

لم يكن لدى الأطفال الوقت الكافي للاكتراث بما كان يجري في القرية قبل أن تُغلق المدارس أبوابها للعطلة في أغسطس. كان بوبو مُمتلئًا بالبهجة وهو عائد للبيت في آخر يوم مدرسيّ. قال لسام وهو يتحدثُ معه بلغة إنجليزية ركيكة اعتادها: «عطلةٌ طويلة، علينا أن نقوم بأشياء كثيرة».

- «أشياء كثيرة، نعم!» ردّ عليه سام «لكنني أحذرك مُقدمًا، لا أريدك حولي طوال الوقت، ما زلت ولدًا صغيرًا».

- «لن أفعل شيئًا» أمسك بوبو يد سام «أريدُ فقط أن أكون معك لأنك تقوم دائمًا بأشياء جريئة. ولقد كبرت أنا الآن».



أبعد سامُ يد بوبو عنه «أنت صغيرٌ جدًا لفهم أيّ شيء، تقومُ دائمًا بأعمال مُزعجة، أو تبدأ بالبكاء وتقول: إنك تريدُ العودة إلى البيت».

- «أعدك بأنني لن أقوم بأيّ إزعاج»، مشى بوبو إلى الوراء أمام سام ليُحدثه وهو يُواجهه. استمر بوبو في مَشْيه بتلك الطريقة وهما عائدان إلى البيت، وبوبو يُحاول إقناع سام بأنه لن يكون مزعجًا.

حسنٌ، لم يكن بوبو في الحقيقة كذلك. كانا يصطادان السناجب والطيور، ويستحمان في الجداول، ويتجولان في الغابة. لديهما أشياء كثيرة يقومان بها. تمثلتْ أحبُ تسليةٍ لهما في إغاظة الولد الكسول. لكنه تجاهلهما بكسله لدرجة أنهما تعبا من

ذلك. كان بوبو الولد الوحيد الذي لا يزال يجدُ متعةً في إغاظة الولد الكسول، ربما لأن الولد الكسول جبان، ويستطيع بوبو أن يقول أو يفعل أيّ شيء دون خوف.

لكن بوبو تسبب بأعظم مغامرة لسام في تلك العُطلة. بينما كان سام منطلقًا مع بعضِ الأولاد الكبار لصيد السمك ذات صباح هرع بوبو نحوه، وانتحى به جانبًا.

قال بوبو: «لديّ سر كبير».

قال سام: «آه» «لم تكن لديك أية أفكار جيّدة. أنا ذاهب إلى الصيدِ ولا أُريدك أن تأتي».

- «لكن اسمع. أمر جيّد أن تبحث عن كنز!».

قال سام: «كنز»، من يمتلك كنزًا في الأنهار الخمسة فكل الناس فُقراء جدًا؟» كان بوبو مبتهجًا جدًا لدرجة أنه استمر في القفزِ إلى الأعلى والأسفل.

- «هذا سرّ جيّد! يقول الولدُ الكسولُ: إنّ لدى جاغروب كنزًا. يقول: كل ما علينا هو البحث عنه».

عرف كلُ الناس أن جاغروب خبأ ماله في مكانٍ ما، لكن المشكلة تتمثل في العثور عليه. افتخر جاغروب بأن أحدًا لن يكتشف مخبأه أبدًا، وأخذ افتخاره هذا تحديًا. لا أحد يريدُ أن يسلب الهنديّ العجوز ماله، لكن القول بأن أحدًا لن يستطيع العثور عليه جرأة لابد من الردّ عليها.

قال سام: «لا وقت لديّ لذلك»

- «وبالاضافة إلى ذلك»، استمر بوبو بالقول «في حديقة جاغروب شجرةُ مانجو. ألم تلاحظها؟ الوحيدة الحاملة الآن».

كان ذلك صحيحًا على أيّ حال. كانت كل أشجار الفاكهة في الوادي عارية عدا هذه الشجرة التي بدت وكأنها امتصت كُل الحياة من الأشجار الأخرى؛ لأنها كانت حاملة تمامًا. يستطيعُ سام وبوب رؤية ثمار المانجو تتدلى من على سيقانها من بُعد.

اعتقد سام أن من الأفضل الذهاب إلى مانجو جاغروب بدلاً من صَيْد السمك؛ لأن الموسم جاف، ولم تكن الأنهار الخمسة حول القرية سوى سيول هزيلة؛ لذا قرر سام الانطلاق إلى هناك، وبالطبع ذهب بوبو معه. صعدا التلة وكانت الأوراق والعيدان الجافة تتكسر تحت أقدامهما كالقواقع. لم يكن هناك أيّ أثرٍ لجاغروب، وتمكنا من الوصول إلى خلف الكوخ تحت شجرة المانجو بالضبط. رفع سام بوبو إلى أعلى، وعندما أصبح آمنًا على الشجرةِ لحق به وبدأا بالتهام الفاكهة. ملأا جيوبهما بالمانجو، وكانا على وشك النزول من على الشجرة عندما أمسك بوبو ذراع سام وأشار.

كانت الشجيرات تحتهما كثيفة فلم يستطيعا رؤية أيّ شخص في البداية. ثم شاهدا الشُجيرات تهتز.

كان جاغروب هناك يمشي مُنحني الظهرِ وهو يُمسك بحربة وعلبة يضمهما إلى صدره بيدٍ ويشُق طريقه عبر نباتِ العُلّيق باليدِ الأخرى. توقف حيث يعبر أحد الأنهارِ أرضه. نظر حوله ثم جلس على ضفة النهر، بلل حربته وراح يشحذُها على حجَر.

يستطيعُ الولدان الآن رؤية جاغروب بوضوح، وبدا لهما أنه كان يتظاهر بشحذ حربته لأنه كان يراقب الشُجيرات طوال الوقت كغزال اشتم رائحة إنسان، لكنه لم يكن متأكدًا أين هو؟ كان الولدان خائفَيْن، وبدا لهما أن جاغروب كان يعلم أنهما فوق شجرة المانجو. وبدا لهما أيضًا، من الطريقة المُريحة التي كان يجلس بها أنه كان ينتظر هبوطهما من على الشجرة ليُطاردهما بحربته ليس غير. لم يكد الولدان يجرؤان على التنفس. وبإمكاننا أن نتخيل حال بوبو الذي كان يتعصر وهو يشدُّ ويُرخي أصابعه على ذراع سام.

«أتظن أنه يرانا؟» كان همسُ بوبو في أذن سام.

- رد سام بصوت منخفض: «علينا أن ننتظر ونرى».

مرّت نصف ساعة. كان جاغروب يترنم بأغنيةٍ

هندية وهو يُحرك حربته جيئةً وذهابًا على الحجر.

لابد أن الحربة قد أصبحت حادة كالموسى، ومع هذا فقد استمر بشحذها. ضرب بالحربة ورقة خيزران مُتدلية بخفة، ثم جرب نصلها ثانية بحلق بوصة أو اثنتين من شعر رجله. بدا راضيًا لأنه نهض أخيرًا. وقف لدقيقة بالقرب من كتلة كبيرة من الصخر برزت من ضفة النهر. ثم جمع، وهو يُتمتم لنفسه، حجارةً سدّ بها مجرى الماء الرفيع، وحفر التراب من الضفة ودعم به الجدار. عندما توقف تدفق الماء بدأ جاغروب بالحفر في قاع النهر نفسه.

استطاع الولدان رؤية حبّات العرق تتلألأ على جلد جاغروب الداكن وهو يحفر ويحفر، ويتوقف فجأة لحظات يُدير رأسه إلى الجانبين بينما كانت الأوراق الجافة تُخشخش أو حمامة تطير في الأجمة بِجلَبَة، ثم توقف جاغروب عن الحفر، ومد يديه في الحفرة. أخرج صفيحتين ثم جلس وفتحهما. سقط ضوء الشمس على الفضة. تلألأت مئات من الشلنات وأنصاف الكراونات، وسمع الولدان رنينها وجاغروب يفلتها من بين أصابعه لتسقط ثانيةً في الصفيحتين. لم يريا مثل هذا المبلغ من المال في حياتهما من قبل.

عرف الولدان الآن لماذا لم يستطع أحد اكتشاف مخبأ جاغروب؟ كل ما كان على الهنديّ أن يفعله أن يدفن المال ويملأ الحفرة بالحجارة والتراب ويهدم السدّ، وسيغمرُ الماء البقعة ويحفظ السرّ إلى الأبد.

كان أمرًا رائعًا وذكيًا جدًا. لم يستطع سام وبوبو تمالك نَفسيهما. لم يستطيعا كتمان السرّ. فبعد أن هبطا من شجرة المانجو بسرعة بدأا بالصراخ عاليًا ليُشجعا نفسيهما. نزلا على التلة وهما يركضان باتجاه القرية، ويُلقيان بحبات المانجو من جيوبهما إلى اليسار واليمين.

يوم التنفيذ

ياسين أبو الهيتم
مراكش - المغرب

مالت الشمس عن كبد السماء حتى قاربت الغياب، ولولا جبال الأطلس الفارعة لنعمت هذه القرية الصغيرة - وتدعى تغبل - بوقت أطول من دفء الطبيعة ونورها. فهي تربع بسفح جبل كالطود، وظله بدأ يجعلها في حضنه، تنداح في الأرجاء زغاريد نساء، دقات طبول وأهازيج كالتي يترنم بها زنوج إفريقية السوداء، ثم لا تدعها الجبال حتى تُصْدي مجلجلة، فأهل تغبل بادون في فرح ظاهر.

في ذلك اليوم، دل صبيان القرية رجلين غريبين إلى دار شيخ القبيلة، ثم حدث أمر ذو بال

الرجلان من قرية تفوكت، وتوجد بالجانب الآخر من الطود. وقد سارا مثل دابتين يومًا كاملاً يخترقان الجبال. ولما قربا من تغبل صادفا رجلاً من القرية يسمى موحى. كان يجث نبات الشيح، ثم ينفضه ليسقط حبه كي يع زله عن العصيّ، فيدس الحب في كيس ويكوم العصيّ في جانب. قصدا إليه فتحادثوا طويلاً، ثم أومأ موحى بيده مشيرًا إلى تغبل، فعاود الرجلان المسير من جديد. يومئذ دنا النهار من المضي فقرس البرد مع أن الخريف في فوره. سلك الغريبان وبعض الصبية سبيلاً في قلب تغبل يفضي إلى دار شيخ القبيلة. كان السبيل على طوله خاليًا إلا من آل موحى. فقبالة دارهم تحلقت امرأة وبعض الصبية حول نار متقدة، وجعلوا يفركون أيديهم وهم جالسون القرفصاء يلتمسون أوار اللهب. حطبهم عصي الشيخ. وأسمالهم ثياب حائلة. ونظراتهم تعبّر في وجوم عن بؤس مدقع.

انتهى الغريبان إلى دار شيخ القبيلة، فأدخلا عليه وقد جلس على مصطبة في صدر الغرفة مدثرًا ببطانية. قال أحد الاثنين:

- أيها الرجل الجليل؛ بلغك - ولا شك - أن أسلافنا من قبيلة تفوكت استعملوا آباءكم على هذه الأرض نظير خمس ريعها، ثم عرفت البلاد سنين قحط فأهملوا هذا الأمر.. ثم حدج صاحبه بنظرة نافذة، فاندفع الآخر قائلاً:

- وجئنا اليوم ولا يهمنا مما مضى شيء. هذه أرض من أراضينا وأنتم أولى برعايتها من غيركم، وغاية ما ننشد أن تكتبوا عليكم إقرارًا بذلك.

باتت الدهشة على محيا الشيخ، وهو رجل مسن شديد السمرة كباقي أفراد قبيلته، وسكت طويلاً قبل أن يجيب:

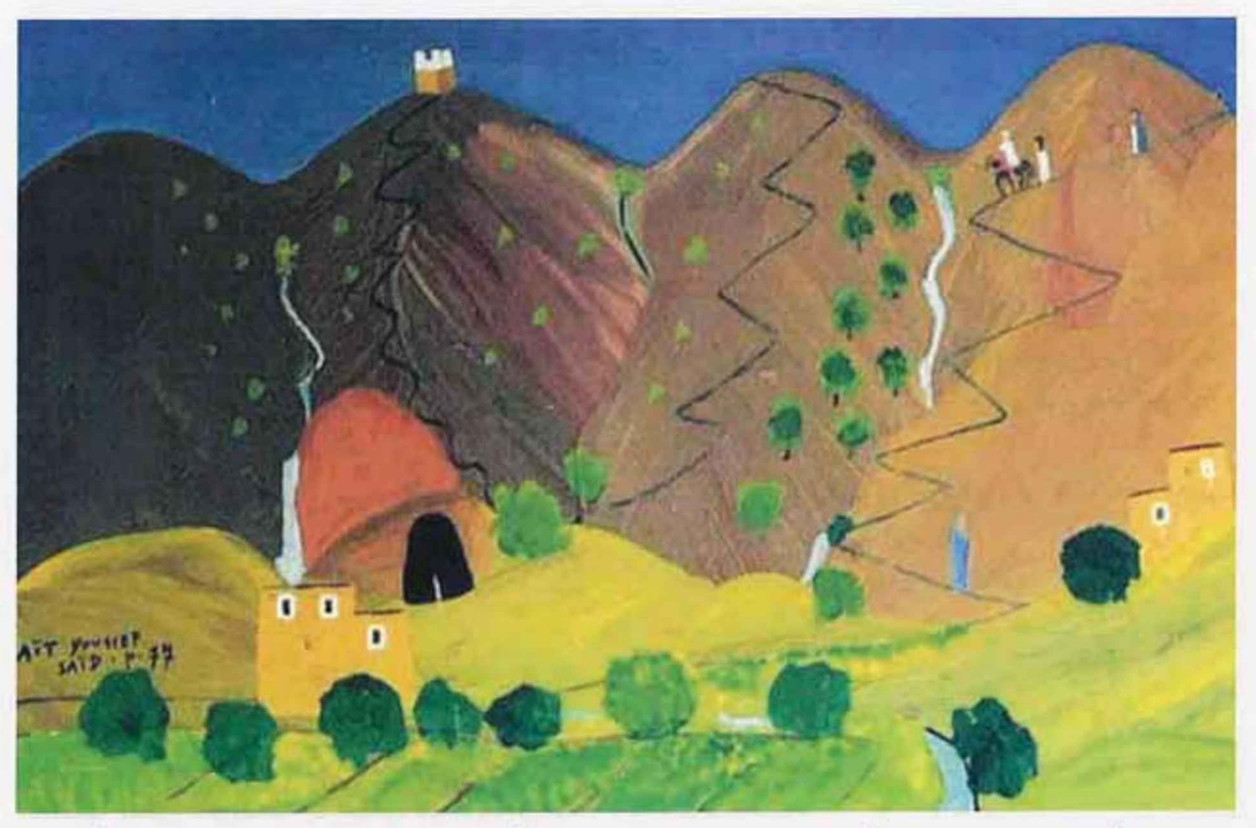
- الحق أني لم أعلم هذا الأمر من أحد قبلكما. وعلى أي حال لا أملك إلا أن أعرض ما قلتم على رجال القبيلة وأطلب منهم المشورة.

نزل الغريبان ضيفين على آل موحى. وتذاكر سكان تغبل في الأمر فلم يقبل أحد كلامهما ألبتة. فرحلا عن القرية مع انبلاج نهار اليوم الثاني.

في تغبل، كثر الحديث عن الغريبين. وبقدر ما توجس الناس فزعًا من ضياع أراضيهم بقدر ما توثقت أسباب الصلة بينهم أكثر من ذي قبل. فحرصهم على الأرض لا يقل بحال عن حرصهم على أعراضهم. أراض وهبوها سواعدهم فوهبتهم رزقهم فأخلصوا لها غاية الإخلاص، حتى قال أحدهم:

- كل من دنا إلى شبر من أرضنا فلن يخسرنا غير مترين من الكفن..

وما هي إلا أيام قلائل حتى أشعروا بمقاضاة أهل تفوكت لهم. وكم كانت دهشتهم بالغة حين مثل موحى بين يدي القاضي يشهد عليهم. وحكم القاضي لأهل تفوكت بقسم من أرض تغبل.



غضب أهل تغبل على موحى أشد الغضب وعدوه خارجًا عنهم، وأعربوا له عن حنقهم عليه. ومن آي ذلك أن زحف بعض الرجال ممن انتكلوا من الغيظ إليه، وجعلوا يرمونه بالحجارة وهو وأهله مستعصمون بدارهم. ثم أقبل عليهم شيخ القبيلة متحاملاً، ومازال بهم حتى صرفهم عما يلوثون به. وعرف في وقت متأخر أن الغريبين نفحا موحى ببعض المال ومنياه بأن ينيلانه أرضاً بعد تمام الدعوى.

لم يرض أهل تفوكت بالحكم، فالأرض خلاء في طرف تغبل، جرداء لا حياة فيها، فقصدوا إلى موظف في «القيادة» رديء السيرة، وله خبرة دقيقة في مثل هذه الأمور. قلّب الأمر بروية عن جوانبه حتى توصل إلى عجاب حملهم على الشده وأمّلهم في شماتة بأهل تغبل. واسترشى الموظف في جهده فشكموه بمال وفير.

أخطر أهل تغبل بيوم تنفيذ الحكم. وعلموا من الإشعار بمن وكل إليه الأمر. كما حصلت لهم حقيقة تردد أهل تفوكت إلى الموظف العربيد. فارتأى شيخ القبيلة أن يخلوا القرية يوم التنفيذ خشية أن يقسروا على إمضاء وثائق عن جهل. وكذلك حصل. فثمة تلة أوى إليها رجال تغبل، وجعلوا يرتقبون أراضيهم في حسرة. أما الموظف ومن معه فلم يجدوا مشقة تذكر وهم يرفعون آلات استسقاء المياه من الآبار.

مضى على ذلك اليوم العصيب زهاء شهر أو يزيد. فتضررت المحاصيل والغلال تضرراً فادحاً. ولم تفد تحركات أهل تغبل العابثة في شيء. فحدث أن سار رجالهم ونساؤهم - حين بلغ بهم الصبر منتهاه - حتى أفضوا إلى مبنى «العمالة»، وهنالك ربعوا بجنابها. وتقوذف بالخبر من فيه إلى فيه. فأحرج الموقف المسؤولين. وبقدرة قادر أرجعت الآلات إلى أصحابها.

واستأنف أهل تفوكت الدعوى بيد أن القاضي ثبت الحكم السابق.

فحقيق بهذه الأهازيج والزغاريد التي تتناهى إلى المسامع أن تخالط فضاء قرية تغبل العذب.

تمرد ليوم واحد

هزار محمد عبدالنبي
دمشق - سورية

ارتفع رنين الساعة يعلن قدوم صباح جديد على أبي عرفان.. الموظف الملتزم الدقيق الذي يضبط منبّه الساعة كل ليلة قبل النوم على موعد مبكر.. فهو يحترم مواعيده ولا يغفل كبيرة ولا صغيرة في عمله وواجباته اليومية، ومع هذا، فإن زوجته أم عرفان تصر على أن تصرخ مع رنين الساعة:

- أبا عرفان... أبا عرفان.. استيقظ.. لقد سبقك الأولاد إلى المدرسة.

- أنا مستيقظ يا امرأة.. مستيقظ..

يدير أبو عرفان عينيه في أرجاء الغرفة.. المشاهد نفسها.. السرير النحاسي القديم، و«الكومودينا» الخشبية العالية.. والستائر التي تعود إلى تاريخ زواجه من أم عرفان قبل ثلاثين سنة، لا جديد.. المشهد نفسه يتكرر كل يوم، تدخل عليه أم عرفان وهي تمسح يديها المبتلتين بالمئزر الذي تربطه حول خصرها وهي قادمة من المطبخ:

- صباح الخير.

- صباح الخير.

- القهوة على المائدة والفطور جاهز.

- حاضر.. حاضر..

هكذا اعتاد أن يجيب زوجته المنشغلة عنه دائمًا.. ينهض إلى المغسلة.. يغسل وجهه.. ويتناول قهوته وحيداً، وكذلك طعام إفطاره ذا الأصناف الأربعة: خبز.. وجبن.. وزعتر.. وزيت.. وشاي.. لم يتبدل فيه صنف واحد.. وأم عرفان مشغولة في المطبخ.

ولكن - هكذا سأل أبو عرفان فجأة - لماذا هذا النمط من العيش؟ ويجد نفسه وقد جمع شجاعته ليقول لها:

- القهوة على المائدة:.. وأين قهوتك أنت؟ لماذ لا تشاركيني احتساء القهوة في الصباح ولو مرة واحدة..

- ما حكايتك اليوم يا أبا عرفان؟ لقد اعتدت شرب قهوتك وحدك منذ سنين.. ما الذي تغيّر اليوم؟ ألا تعلم أنني مشغولة، وأنني استيقظ قبل السادسة من أجل الأولاد؟!

- ولكن الزوج يشتهي أن يجلس إلى جانب امرأته في الصباح ويشرب معها القهوة..

- لقد كبرنا على مثل هذه الجلسات يا أبا عرفان.. هيا.. اشرب قهوتك، واتكل على الله قبل أن تتأخر عن عملك.

«حتى فنجان القهوة لا تشاركني فيه.. إذن ما الفرق بين أن أشربه في البيت وأن أشربه في إدارة المدرسة؟..»

وحدق أبو عرفان في فنجان القهوة من دون أن يشربه، وكذلك الفطور.. وقرر أن يعلن تمرده قبل أن يخرج من البيت لتستقله حافلة السابعة والربع إلى المدرسة التي يعمل فيها معلمًا..

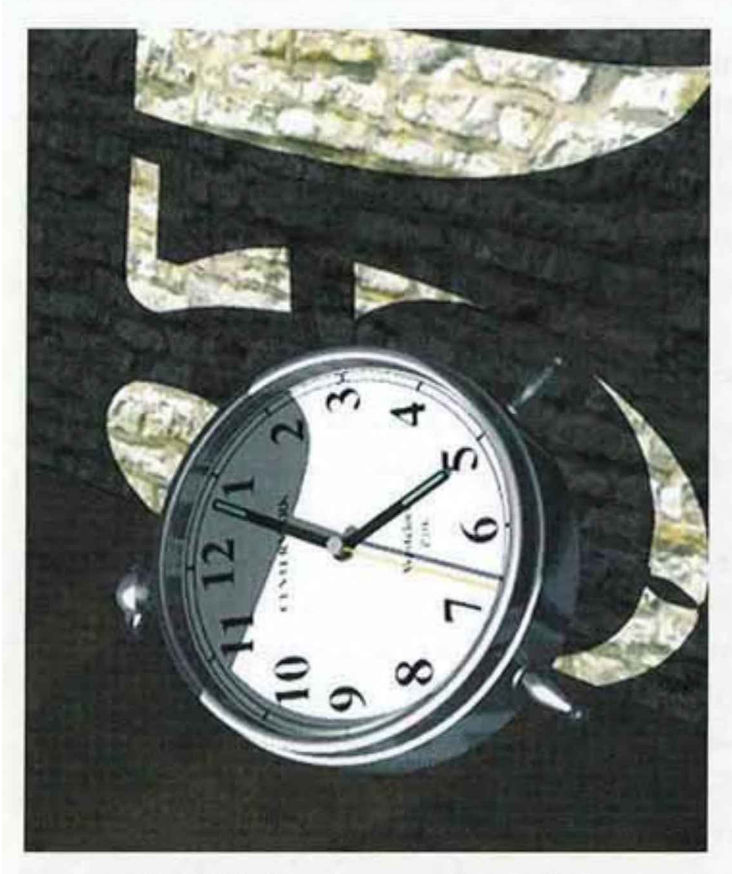
وفي الحافلة.. يسرح بأفكاره وكأنه يكتشف الأمر للمرة الأولى:

- لماذا لا تتمرد على هذا الواقع؟.. لماذا تعيش حياتك على هذه الصورة النمطية؟. كل يوم مثل الذي قبله، ومثل الذي بعده.. في النهار معلم.. وفي المساء تلميذ خائب أمام أم عرفان.

«اليوم.. وأنا أنظر إلى المرآة اكتشفت أنني أزداد شحوبًا وهرمًا.. إيه! راحت عليك يا أبا عرفان! لا. لن أستمر على هذه الحالة».

ويتذكر الورقة التي تسلمه إياها أم عرفان كل صباح تضم قائمة الطلبات اليومية.. تتبعها بالأمر اليومي: «لا تنس كيس القمامة في طريقك.. ارمه في الحاوية».

ولا يجد لديه من جواب سوى: حاضر.. حاضر..



كـان لا بد من اتخـاذ قـرار خطيـر.. لا بد من التمرد على هذا الروتين ابتداءً من اليوم.. لتفاجأ أم عرفان به رجلاً آخر أمامها.. رجلاً متمردًا.

لماذا لم أفعل هذا من قبل؟.. لِمَ عشت كل هذه السنين الطويلة على هذه الحـالـة من البـلادة والقهر؟ حتى ربطة العنق تصر أم عرفان على أن تكون كابية اللون!.

سأضع ربطة حمراء.. أجل حمراء.. أنا حر في اختيار ربطة العنق التي أريد.. ألا يكفيني وجه المدير العابس الذي لا يبتسم للرغيف الساخن؟ هو يلقي الأوامر.. وأم عرفان تلقي الأوامر... وتذكر شيئًا:

يا لي من رجل مهزوم! أم عرفان لا يطيب لها الاستحمام إلا في المساء..

وتخرج من الحمام لتملأ رأسها بخمسين من لفافات الشعر.. وتحرص على أن تنام بهذه الحالة.. غير عابئة بأن حركتها (الورشة) في أثناء النوم، تدفع باللفافات أحيانًا لتخدش وجهي.. فأنزوي في آخر السرير..

بعد اليوم.. لن أنام وأم عرفان على وسادة واحدة.. عليها أن تجهز لي وسادة خاصة بي..

بدأ تنفيذ القرار قبل أن يخرج من البيت:

- أم عرفان.. هذه هي الورقة التي سجلت عليها الطلبات.. انقعيها واشربي ماءها.. لن أحضر لك الأغراض.. ليس لدي دراهم.. وكيس القمامة كلفي أحد الأولاد برميه في الحاوية.. ولا تنتظريني على الغداء.. ولا تسأليني أين سأتغدى. أنا مدعو إلى حفل غداء.. ولا تسأليني عن الداعي ولا عن مكان الحفل.. هل فهمت؟ ثم إنني قد أتأخر في المساء.. سأذهب إلى المقهى أدخن النارجيلة وألعب (دق طاولة زهر).

لم تجب أم عرفان بكلمة.. وقفت أمامه مذهولة وقد فغرت فاها من الدهشة..

خرج من البيت وصفق الباب خلفه!

وعندما نزل من الحافلة.. لم يتوجه إلى المدرسة.

- «لن أذهب اليوم إلى المدرسة.. وليفعل المدير ما يشاء» سيجابهه بدوره.. سيقول له إنه دكتاتور صغير.. وإنه أصبح مديراً بالوساطة لأنه قريب معاون الوزير.. لن يسكت بعد الآن على واحدة..

سيذهب إلى المقهى.. يجلس مسترخيًا.. ويشرب الشاي بهدوء..

وعندما توجه إلى المقهى كان يشعر بأنه أكثر نشاطاً وحيوية.. أحس بدماء الشباب تتدفق في عروقه.. أحس بنشوة التمرد.. على أم عرفان، وعلى المدير، وعلى واقعه.. وعلى الدنيا كلها.

ماذا ستفعل أم عرفان في المساء؟ ستغلق الباب في وجهه! «لا بأس.. سأكسر الباب بقدمي وأدخل»..

وفي المقهى التقى صديقه القديم أبا العز.

- أين أنت يا رجل؟ لم نرك منذ زمن.. هل تقاعدت؟

- لا.. بل تمردت..

- ماذا؟ تمردت.. ماذا تعني بهذا؟.

- لن تفهمني يا أبا العز.. لن تفهم ماذا يعني أن يتمرد

أبو عرفان؟ هات طاولة زهر.. واطلب لنا كأسين من الشاي.. على حسابي.

بعد ساعة.. أحس أبو عرفان بالملل من المقهى.. استأذن أبا العز وخرج وهو يسأل نفسه:

- إلى أين أذهب؟.

وقرر أن يذهب إلى المدرسة.. ما ذنب تلاميذه حتى يتركهم وهم في أسبوع الامتحانات؟

وماذا عن المدير؟

لن أسكت له إذا تمادى في الكلام.. وقرار التمرد لن أتنازل عنه.. وليفعل ما يشاء، لينظم بحقي عقوبة، ولكني لن أدعه يكلمني بتعالٍ، ومن رأس أنفه كما يفعل عادة..

وعندما دخل غرفة الإدارة، وكان قد مرّ موعد حصتين من الدوام.. فوجئ بالمدير يبادره بسؤاله ملهوفًا:

- خيرًا يا أبا عرفان.. لماذا تأخرت؟

- هكذا.. تأخرت.. عشر سنوات لم أتأخر دقيقة واحدة، وتحاسبني على تأخر ساعتين.

- لا يا أستاذ.. ليس هذا قصدي.. خشيت أن تكون مريضاً لا سمح الله.. إذا كنت متعبًا تستطيع أن تذهب إلى البيت وترتاح.. سأعطي الدرس بدلاً عنك..

- لا.. لست متعبًا.. سأدخل إلى الصف.

وعند انتهاء الدوام لم يذهب أبو عرفان إلى البيت على موعد الغداء.. عاد إلى المقهى وتناول صحنًا من الحمص.. يجب أن يظل ثابتًا على قراره، وأن يتابع التمرد من دون تراجع.. لقد كان التمرد مجديًا مع المدير، أما أم عرفان...

في المساء.. عاد إلى البيت في ساعة متأخرة.. وبدل أن يفتح الباب بالمفتاح.. ضغط بشدة على الجرس..

هرعت أم عرفان تفتح الباب

- لماذا لم تفتح بالمفتاح؟

- لا أريد أن أفتح بالمفتاح.. بل سأضغط الجرس.. هل لديك مانع؟

- أبدًا.. أبدًا.. تفضل يا أبا عرفان.. شغلت بالنا عليك.

فوجئ أنها ترتدي ملابس أنيقة.. وقد وضعت بعض المساحيق على وجهها، وبعض الكحل على عينيها، وشكت في شعرها وردة جورية بعد أن قامت بتسريحة على طوله.

- الأولاد اشتاقوا إليك.. انتظروك حتى العاشرة ثم ناموا.. أنت تعرف أنهم يجب أن يستيقظوا مبكرين ليذهبوا إلى المدرسة..

ودخل المخدع فهرعت أم عرفان تساعده في خلع ثيابه، وجاءته بالجلابية مكوية.. ثم أحضرت من المطبخ الأكلة التي يحبها، والتي كان يطلب إليها دائمًا أن تعدها له فلا تفعل.

- جهزت لك اليوم الأكلة التي تحبها.

وجلس إلى الطاولة التي وضعت عليها الطعام، فإذا هي تطعمه بيدها.. لقمة بعد أخرى.

- والله لك وحشة يا أبا عرفان.

أسقط في يده.. تذكر المدير.. وصمت.. وهي تتابع الكلام.

- شغل بالي عليك.. أرجو أن تكون قد سعدت بجلسة المقهى مع أصدقائك.. هل دخنت نارجيلة؟.

لم يرد.. لم يعد لديه ما يقوله..

وعادت أم عرفان تتابع كلامها:

- كلفت أحد الأولاد فأخذ كيس القمامة إلى الحاوية.. واتصلت هاتفيًا بالبقالة فأرسل إلي ما نحتاج إليه من أغراض.. كل.. لماذا لا تأكل؟...

ونهض أبو عرفان يغسل يديه استعداداً للنوم.. وأم عرفان تسبقه إلى الحمام لتناوله المنشفة، والعطر الذي تعطرت به يهفهف في المكان..

وقبل أن يأوي إلى فراشه قدمت له ورقة:

حدق في الورقة وقد فاجأه الرقم الذي يستهلك نصف راتبه.

- ما هذا؟

- فاتورة بثمن الأغراض التي طلبناها من البقالة.

في صباح اليوم التالي.. شرب أبو عرفان قهوته وتناول إفطاره وحيداً.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وقرعة أخيرة للفائز الأخير.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا بحظ وافر لجميع القراء الأعزاء.

عنوان المجلة:

ص.ب(٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٢٩٤)

ذو الحجة ١٤٢١هـ - مارس ٢٠٠١م

الفائز الأول: **صافيناز محمد يونس - حلب - سورية.**

الفائز الثاني: **عثمان محمد الحسن أبو أحمد - الخرطوم - السودان.**

الفائز الثالث: **ريما موسى عبدالمجيد عبابنة - إربد - الأردن.**

الفائز الرابع: **هناء عبدالوهاب عماشة - الجمالية - مصر.**

حل مسابقة العدد (٢٩٤)

١ - **عرفت بما جربت أشياء جمة ولا يعرف الأشياء إلا المجرِّبُ**

قائل البيت: العباس بن الأحنف.

٢ - **العشر، الزعفرانة، الهجيمة:** أسماء لعيون مغذية لمكة المكرمة.

٣ - **الفوتون:** وحدة الكم الضوئي.

٤ - **ابن باجَهْ:** فيلسوف عربي أندلسي، شرح عدداً من كتب أرسطو.

٥ - **الكوزموبوليس:** مدينة يتألف سكانها من عناصر اجتمعت من مختلف أرجاء العالم.

أسئلة مسابقة العدد ٢٩٧

ضع علامة ☐ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) ابن سيده:

☐ عالم لغوي عربي أندلسي صاحب كتاب «المخصص»

☐ فيلسوف ورياضي عربي. من آثاره: «شرح الأعمال الهندسية».

(٢) من قائل هذا البيت:

وحلاوة الدنيا لجاهلها ومرارةُ الدُنيا لمن عقَلا

☐ حافظ إبراهيم ☐ ابن المُعتز.

(٣) قِنَّسرين:

☐ مدينة تاريخية تقع بالقرب من حلب

☐ رتبة عسكرية عثمانية تعادل رتبة العريف.

(٤) الليمور:

☐ حيوان طويل الذنب من فصيلة القردة.

☐ حيوان أمريكي من ذوات الجراب يتظاهر بالموت عندما يحدق به الخطر.

(٥) قاره:

☐ قلعة شهيرة بناها البرتغاليون بالقرب من القطيف في المملكة العربية السعودية

☐ جبل شهير في الأحساء في المملكة العربية السعودية.

الاسم: ________ **المدينة:** ________ **ص.ب:** ________ **هاتف:** ________

العنوان: ________ **الدولة:** ________ **الرمز البريدي:** ________ **ناسوخ:** ________

تعقيبًا على ما كتبه علي المقري



العقيق اليماني.. فصوص السلا والبهجة

علي المقري

نشرت مجلة «الفيصل» في عددها رقم ٢٧٢ مقالة مهمة وماتعة للأستاذ علي المقري، تحت عنوان: «العقيق اليماني.. فصوص السلا والبهجة»، تناول فيها العقيق اليماني من جوانب متعددة، واستكمالاً لفائدة القارئ وجدت من الضرورة أن أضيف إلى ما ذكره المقري المعلومات الآتية، وخصوصاً ما يتعلق بالعقيق في التراث العربي الإسلامي.

فقد أشار الكاتب إلى وجود اضطراب في تسميات العقيق وتعريفاته بين كتب التراث وسوق الأحجار اليمنية الحالية. في الحقيقة أن هذا الاضطراب لا يقتصر على العقيق وسوق الأحجار اليمنية الحالية، بل يشمل تسميات عدد آخر من الأحجار الكريمة في الكثير من البلدان العربية. ويعود السبب بالنسبة إلى تسميات العقيق إلى وجود عدد كبير من الأصناف المعدنية التي تنتمي إلى مجموعة واحدة تعرف باسم مجموعة القلسيدون. وقلسيدون Calcedony مشتقة من اسم المدينة القديمة التي تقع على شواطئ بحر مرمرة. إضافة إلى ذلك أن كلمة «العقيق» لا تعبر عن معدن واحد بل عن مجموعة من المعادن التي تشترك بتركيب كيماوي واحد (أكسيد السليكون)، لكنها تختلف بعضها عن بعض باللون. ولو عدنا إلى كتب التراث لوجدنا أن العرب القدامى قد تركوا لكل نوع اسمه الخاص به، بينما كانت كلمة «عقيق» تطلق على المجموعة بأسرها، وأشار الكاتب إلى بعض هذه التسميات. وقد حل علم المعادن المعاصر إشكالية التسميات بأنه أعطى لكل نوع من أنواع العقيق اسمًا علميًا خاصًا به، وذلك حسب اللون. كذلك الأمر مع الجزع الذي ينتمي إلى مجموعة العقيق نفسها، وهو أنواع كثيرة أيضًا، وكلّ نوع من هذه الأنواع يقابله اسم خاص به في اللغات الأوربية الحديثة.

إن مشكلة التسميات لا تقتصر على العقيق والجزع، بل تشمل مجاميع أخرى من الأحجار الكريمة، وهي مشكلة لا يمكن حلها إلا بتعاون جميع الأطراف المعنية: اللغويين والجوهريين والمختصين بعلم المعادن. لنأخذ على سبيل المثال الزمرد، فمن المعروف أن جميع أنواع الزمرد تمتاز باللون الأخضر، ولكنه يصنف حسب خضرته إلى أنواع هي الظلماني والسلقي والذبابي والريحاني.. أما الياقوت فألوانه الأساسية هي أربعة: الأحمر والأصفر والأزرق والأبيض. وللأحمر سبع مراتب هي: الرماني، ثم البهرماني، ثم الأرجواني، ثم اللحمي، ثم البنفسجي، ثم الجلناري، ثم الوردي. وقد ميز العرب بين أربعة وخمسين صنفًا من الياقوت حسب اللون.

وما دمنا بصدد الحديث عن ضرورة التدقيق في تسميات المعادن أود أن أشير إلى أن الأستاذ علي المقري ذكر أن العقيق «ينتمي إلى مجموعة القلسيدون التي تضم إلى جانب العقيق: البقران والجزع واليشب». إن معدن اليشب لا ينتمي إلى مجموعة القلسيدون، فكلمة اليشب، كما وردت في كتب التراث يقابلها مجموعة من المعادن التي تنتمي إلى سليكات الكالسيوم والمغنيزيوم التي تتدرج ألوانها من الأبيض إلى الأخضر. وكان اليشب، أو صنف منه يعرف باسم حجر الغلبة، لذلك كان الأتراك وأهل الصين يتخذون منه حليًا للسيوف

والسروج حرصًا على نيل الغلبة.. وكان يجلب من بلاد الترك حيث يكثر عندهم في واديين أحدهما قاش، والآخر واقاش(١).

أما البقران فهو ليس معدنًا قائمًا بحد ذاته، مثل الجزع والعقيق، بل هو نوع من الجزع، يمتاز ببنيته الصفائحية، حيث يتكون من عدة صفائح (أو طبقات) وفي الغالب من ثلاث طبقات. وهو أقرب إلى معدن أجيت Agate. وقد ذكره التيفاشي عند حديثه عن الجزع فقال: «الجزع أنواع كثيرة، منها: البقراني، والغروي، والفارسي، والحبشي، والعسلي. فأما البقراني فهو حجر مركب من ثلاث طبقات: طبقة حمراء، لا مستشف لها، يليها طبقة بيضاء لا تستشف، وتلي الطبقة البيضاء طبقة بلورية تستشف. وأجوده ما استوت عروقه في الثخن والرقة، وكان سليمًا من الخشونة ووجود الآثار عليه»(٢).

وتحدث البيروني بإسهاب عن البقراني فقال: «إنه يستخرج من معادن العقيق وخطوطه ممتدة على استقامة لا عوج فيها لأنها مقاطع صفائح متراكمة. ونهاياته واستواء النهايات يدلان على استواء الصفائح وسطوحها. وألوانه ثلاثة تكون صفيحة حمراء وبُسْدية عليها بيضاء غير مشفة فوقها مشفة بلورية. وربما كانت إحداهما سوداء..»(٣).

يتجلى في هذه الفقرة أسلوب البيروني العلمي في الكتابة والوصف حيث الدقة وضبط العبارة وعمق التفكير. إنه لا يتوقف عند وصف المظهر الخارجي للحجر الكريم ووصف ألوانه المختلفة، بل يحاول أن يغوص في أسرارها، ويحدد المعلومات التي منها ينطلق إلى الأحكام النهائية. فهو من خلال فحصه الدقيق لقطعة الجزع يستنتج أن هذه الخطوط (وكان أقرب إلى الصواب من التيفاشي الذي قال عنها العروق) ليست سوى مقاطع لمستويات (صفائح) متوازية. ومن طبيعة النهايات يستدل على أن الصفائح مستوية السطوح.

حمودي عدنان

حلب ـ سورية

الهوامش والمراجع

١. عن اليشب واليشم انظر: ابن الأكفاني «نخب الذخائر في أحوال الجواهر» ص٧٢ ـ ٧٤، وينقل لنا محقق كتاب ابن الأكفاني ما قاله التيفاشي عن اليشب في كتابه المشهور «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار».

٢. التيفاشي، المصدر السابق، ص١٤٦. انظر كذلك ابن الأكفاني، المصدر السابق، ص٨٥ ـ ٨٦.

٣. البيروني، «الجماهر في معرفة الجواهر»، ص ١٧٥، طبعة حيدر أباد الدكن، الهند، ١٣٥٥هـ

ردًا على صالح المحمود:

إنه الواقع المر

نحمد الله أن مجلة الفيصل العزيزة جمعت بين قلوبنا، ولملمت شتاتنا، ودفعتنا بقوة إلى التلاقي وتبادل الأفكار والآراء والمعلومات. وأذكر ذلك وفي ذهني ما وردَ في العدد ٢٨١ من تعليق من الأخ الكريم صالح بن عبدالعزيز المحمود على مقال لي نشر في العدد (٢٧٨)، وكان بدوره تعقيبًا على ما كتبه الأخ الفاضل عبدالله بن سليم الرشيد في العدد (٢٥٧) بعنوان «الأخطاء في كتابة الأعلام».

وكنت أتمنى ألا يقوم الأخ صالح بالتجني على الحقيقة ويوصفني بالمتعصب والمشيع للعصبية بسبب ما طرحت

من أفكار وتعليقات دفاعًا عن المغرب العربي، بينما تحدث عن إشراقة مقالة الأخ الكاتب عبدالله بن سليم الرشيد في «تحيز واضح»، ثم حاول إعطائي دروسًا بعيدًا عن الواقع المر فحواها أنه: «كان من المفترض أن يضع خنوس يده في يد الأستاذ الرشيد في سبيل الحفاظ على لغتنا الأم لغة القرآن، ومصدر فخرنا وتميزنا، دون الحاجة إلى الدخول في نقاش حول أمور تبرأ الموضوعية منها، ولكنها أزمة التعصب المقيت والفهم بالهوى..»(!؟..)

أخي صالح هل تعلم حقيقة ما كتبته في حق إنسان يكنُّ للغة القرآن والإسلام والمسلمين كل الحب والود والخير، وهل تعلم أنك ظلمتني وجرحت قلبي. ولم أجد ما أقوله لك سوى هذا القول الشريف لرسول العالمين محمد صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» رواه البخاري، أعاذنا الله منها.

كما أنني آمل أن تراجع ما نشرته لي مجلة الفيصل الغراء في أعدادها السابقة لسنة ٩٨/٩٩ عن اللغة العربية.

وللعلم ليست لي أي مشكلة مع أخي عبدالله بن سليم الرشيد بل أكن له، ولكل فكر نيِّر، وصدر رحب كلَّ الحب والاحترام.

وما كتبتُ إلا الحقّ والواقع.. وإذا كنت لاتزال مصرًا على اتهامك لي وحكمك عليَّ، فإنني أشهدُ عليك «الفيصل»، وقرّاءها، وأقدم لك اقتراحًا علَّه يقنعكَ وهو: أن تزور الجزائر ضيفًا عزيزًا مكرمًا عندي ببيتي وأمكث عندنا ما شئت ولتجُبْ الجزائر شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالاً حتى تقرُ عينك، وتقف على حقائق ما ورد في مقالي السابق، وإن أبيتَ فإنَّ ما كتبته ضدي تتحمل وزره وحدك أمام الله.

وأختم مذكرًا إيّاك أيّها الأخ الظالم لأخ يُحبك ويحب أمته من المغرب الأقصى إلى أقصى المدينة المنورة بما ختمتُ به مقالتي المنشورة في العدد ٢٧٨ من مجلة الفيصل العزيزة: «الأعراف والتقاليد لا يمكن أن تُمحى وتُنسى بين عشية وضحاها».

والمطلوب هو التفكير في إيجاد مركز عربي للبحوث، يرمي إلى غربلة هذا الكم الهائل من المصطلحات المتداولة بين ملايين السكان العرب، بالمغرب العربي الكبير، والمشرق العربي على حد سواء، والعمل على إيجاد آليات ـ ميكانيزمات ـ لتلاقح الأفكار، والاجتهاد في العمل للحدّ من تفشي المصطلحات الأجنبية سواء: الفرنسية، أو الإيطالية، أو الإنجليزية بدول المغرب والمشرق العربيين، لما تمثله من خطر داهم، وتأثير كبير في عقلية الجيل القادم، ولا أقصد ألا نتعلم اللغات الأجنبية، فهي مهمة في ظل اختلاف الثقافات، وتباين الأفكار، وفي تعلمها مصلحة للأمة العربية، ولكن علينا بالمحافظة على اللغة العربية، والعمل على تطويرها، بما يحقق لها استيعاب التقنيات الحديثة، كبنك المعلومات «الإنترنت» وجيل الحاسوب «الكمبيوتر» والعمل كذلك على الإسراع في وضع برنامج عربي لمحو الأمية التي تفشت بشكل داهم، ورسم خطة علمية لاستغلال «عربسات» في خدمة مستعجلة لتبادل المعلومات الثقافية المتنوعة والتنويع والإكثار من الدورات والندوات العلمية والثقافية بمشاركة علماء، وباحثين، ومختصين عرب عوض السجال العقيم، والدخول في مهاترات لا تخدم اللغة العربية في حد ذاتها.

أما الحديث الذي نسبته إلي وهو ـ أصلاً ـ للأخ الفاضل عبدالله بن سليم الرشيد فلا تثريب عليك، لعلك كنت مرهقًا من كثرة متطلبات الحياة.

فلا بأس أخي إذا عاودت قراءة المقالة، ونسأل الله من قلوبنا أن يوحّد مساعينا، ويجمع شتاتنا..

شاكرًا لمجلة الفيصل العزيزة التي جعلتنا نتوحد ونتواصل بصوت مسموع.

ولعمري، إننا جميعًا فائزون إذا سارت الأمور في اتجاه تلاقح الأفكار وتبادل الآراء عبر هذه المنابر الغراء.

إنها لنتيجة ممتازة أشكر للفيصل عرضها وطرحها، وأثني على هذه الإستراتيجية الإعلامية المتميزة.

خنوس يعقوب

ص.ب ٥٨٤ المسيلة ٢٨٠٠٠ ـ الجزائر.

وراقو بغداد في العصر العباسي

مراجعة: عبدالله بن محمد المنيف
الرياض - السعودية

تعد الوراقة وما يدور في فلكها، مما هو معروف حاليًا بآلية النشر أو صناعة النشر، عند العرب والمسلمين قديماً من الدراسات القليلة التناول إذا استثنينا من ذلك ما يكتبه الأستاذ الدكتور عبدالستار الحلوجي، أو ما يتناوله الدكتور قاسم السامرائي في بعض دراساته وندواته، فضلاً عن غيرهما من الغربيين والمستشرقين على وجه الخصوص. ولعل هذا الكتاب الذي نعرض له هنا من الكتب الجديرة بالإشهار، وإن كان هناك من ملاحظة فهي ملاحظة مشتركة لي ولغيري، وهو أن العنوان الذي اتخذ اسماً لهذا الكتاب لا يدل بشكل دقيق على محتوى الكتاب، ويبدو أنه لو كان الاسم هو: الوراقة والورّاقون في بغداد في العصر العباسي لكان أكثر تطابقًا مع المحتوى.

يقع هذا الكتاب في حدود ستمئة صفحة، وينقسم ستة أبواب، وكل باب يتضمن عدة فصول، قبلها هناك تقديم ثم مقدمة المؤلف.

فالباب الأول كان بعنوان «الممهدات الحضارية والتاريخية»، وهو في فصلين: الأول بعنوان «تمهيد تاريخي عن بغداد»، تناول المؤلف في هذا الفصل قصة انتصار الدعوة العباسية وقيام الدولة عام ١٣٢هـ إثر سقوط الخلافة الأموية في هذه السنة، ثم تحدث عن أسباب ومسببات قيام الدولة العباسية، ثم أسباب اختيار العاصمة في بداية الأمر للكوفة ثم الاستقرار ببغداد بعد مدن عراقية أخرى، وكان التركيز في مدينة بغداد بسبب اختيار المنصور لها.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان «تنامي المعرفة في بغداد»، وقد تعرض المؤلف في هذا الفصل إلى التنامي والتطور المعرفي في هذا العصر - أي العباسي الأول - وشيوع أدب النثر مع الشعر، وغيره، ثم تعرض إلى دور المعتزلة في هذا التنامي وأنهم هم الذين أوقدوا الأذهان، وقدحوا العقول، حتى اقترب منهم، ودعمهم الخليفة العباسي المأمون، ثم تعرض المؤلف إلى الدور الذي قام به بعض الرواد في هذا العصر كابن المقفع والجاحظ وابن قتيبة والنديم، وقدامة بن جعفر وأبي الهلال العسكري والباقلاني وأبي حيان التوحيدي، وغيرهم من الرواد الذين أغنوا الساحة العباسية.

أدوات الكتابة

أما الباب الثاني فقد عنون بـ «أدوات الكتابة»، وقُسِّم أربعة فصول: الأول منها كان بعنوان «الأقلام»، تحدث عن تاريخها وبداية معرفة الإنسان بها، ومعناها، وطرائق الكتابة بها وبريها، بالإضافة إلى ما يتعلق بها من حبر ومداد ومسكين ومقلمة وغيرها، ثم ما قيل في الأقلام من شعر.

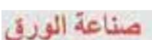
أما الفصل الثاني فكان بعنوان «الدواة»، تحدث عن معناها، ومم تصنع؟ وحجمها وكل ما يتعلق بها من محسنات جمالية، وما قيل فيها من شعر.

ثم أعقب ذلك بالحديث عمّا يتعلق بالدواة من الآلات الفرعية مثل الجونة والليقة.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان «الحبر»، فتحدث عن طرائق صناعته، وأصل تسميته، وأسرار ذلك.

أما الفصل الرابع فكان بعنوان «ألغاز في أدوات الكتابة» تحدث فيه المؤلف عما يدور بين الورّاقين من ألغاز، وذلك بهدف تمضية الوقت والأنس في ذلك.

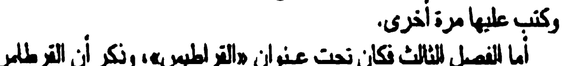
وراقو بغداد في العصر العباسي
د. خيرالله سعيد
الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٦٥٢ص، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م



أما الباب الثالث فقد كان تحت عنوان «صناعة الورق»، وقد جاء هذا الباب كالذي سبقه، في أربعة فصول: كان الأول منها تمهيداً تاريخيًا تعرض الكاتب فيه لصناعة الورق، ثم كيف انتقل إلى العرب؟ والعوامل المساعدة في ذلك. كل ذلك من خلال المصادر التاريخية العربية وغير العربية.

أما الفصل الثاني من هذا الباب فكان عن «الرقوق والجلود»؛ وذلك أن العرب المسلمين حبذوا الكتابة على الورق لطول بقائه، ولتوافره في ذلك الوقت.

ثم استعرض معنى الرق والرقوق، وكيفية صناعتها. ثم فرق بين الرّق والجلد، وذكر أيهما أكثر استخداماً عند العرب قبل الإسلام؟ ثم عرج المؤلف على الطروس، وذكر أنها نوع من الرقوق كتب عليها ثم محيت، وكتب عليها مرة أخرى.



أما الفصل الثالث فكان تحت عنوان «القراطيس»، وذكر أن القرطاس

أو القراطيس هي ما يعرف بورق البردي المصري، على أن هناك خلافاً في هذا: هل القراطيس هي البردي، أم هي أي شيء يكتب عليه؟

أما الفصل الرابع فكان بعنوان: «الكاغد أو الورق» وقد فصل المؤلف في هذا الفصل القول في أصل كلمة الكاغد، وهل هي عربية أم دخيلة أم معربة، إلا أنه لم يشر إلى أن العرب جوّزوا كتابة هذه الكلمة بالدال أو بالذال المعجمة، وكلاهما صحيح.

ثم تناول صناعة الورق، وأن العالم الإسلامي في ذلك الوقت ركّز في هذا النوع في كتاباته بعد أن عرف ميزانه وعيوبه، وسهولة الحصول عليه، وطرائق صناعته، ثم تعرض لصناعة الورق في بغداد، وذكر ذلك من خلال المصادر التاريخية التي تناولت هذا الجانب.

كما تكلم على مقاطع الورق ومقاساته وأنواعه، ثم مقاييس الورق والتي كان من أشهرها قطع البغدادي الكامل، بالإضافة إلى ثمانية مقاسات أخرى.

كما تكلم المؤلف على علاقة حجم الورق بالخطوط، وذكر أن العلاقة علاقة قديمة جداً، قدم الوراقة نفسها.

مهنة الوراقة

أما الباب الرابع فكان تحت عنوان «ظهور مهنة الوراقة»، وقد قسم هذا الباب ثمانية فصول: الأول منها تمهيد تاريخي تناول فيه دور الإسلام في تأييد عمل الوراقة وتنمية الثقافة والتعلّم.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان «تعريف الوراقة والورّاقين» من حيث اللغة وكذلك من حيث الاختصاص، إذ إن مصطلح الوراقة قد يشتمل النسخ وبيع الورق وسائر أدوات الكتابة، وتجليد الكتب بالإضافة إلى بيعها.

كما تعرض المؤلف إلى منهج الوراقة، وأشهر ما تعرض له هو مجالس الإملاء.

أما الفصل الثالث فكان عن «أثمان النسخ والتجليد»، فقد أشار المؤلف إلى طرائق النسخ وأساليب النساخ، والمؤثرات في ارتفاع أثمان الكتب سواء كان عن طريق الوسطاء أو الدلالين أو عن طريق الناسخ من مزخرف ومجود أو مجلد. ولعل أشهر الورّاقين في ذلك الوقت هم نساخ المصاحف وكتّابها.

أما الفصل الرابع فكتبه تحت عنوان «النسخ والمقابلة عند الورّاقين» متعرضاً في هذا الجانب إلى طرائق مقابلة النسخ وأساليب النسّاخ المحترفين في ذلك.

أما الفصل الخامس فكان عن «أخلاق الورّاقين» فهي مشتملة على ما يجب أن يتحلّى به الورّاق من قيم ومبادئ وأخلاق إسلامية رصينة خالية من الغش وغيرها. متحلية بالأمانة العلمية الرصينة.

أما الفصل الخامس فكان عن «معاناة الورّاقين»، وقد ركز المؤلف في هذا الفصل في المعاناة المادية دون غيرها. ولعل هذا ديدن الورّاقين حتى هذا الوقت.

أما الفصل السابع فعنون بـ «الورّاقون والسياسة»، وقصد المؤلف هنا قيام الورّاقين بمجاراة الوضع السياسي في العصر العباسي من حيث الصراعات السياسية أو المذهبية التي انتشرت بين أهل السنة وغيرهم، أو بين أهل السنة أنفسهم.

أما الفصل الثامن فكان عن «أصناف الورّاقين»، وقد عني المؤلف بذكر كثير من الورّاقين من حيث النسّاخ العامّون أو نسّاخ المصاحف، أو نسّاخ كتب الحديث، ثم ذكر النسخ الأدبي، والنسّاخ الدلالين والوسطاء، وكذلك العلماء أو الكتاب.

سوق الوراقين

أما الباب الخامس فكان بعنوان «سوق الورّاقين»، وقد قسم خمسة فصول: الأول منها تمهيد، والثاني عن الأسواق المتخصصة من وراقة وصناعة وغيرهما. أما الفصل الثالث فكان عن «موقع سوق الورّاقين»، وأشار المؤلف إلى أن هناك موقعين لسوق الورّاقين في بغداد.

أما الفصل الرابع فكان عن «بيع الكتب في سوق الورّاقين»، وتعرض المؤلف في هذا الفصل للبيع في السوق عند جلب الكتب له، أو أن ينتقل الدلال إلى مكان الكتب سواء كانت في منزل في المدينة نفسها أو في خارجها، وذلك لوضع تقويم لها.

وكان الفصل الخامس عن «نوادر في سوق الورّاقين».

الأعلام

أما الباب السادس فكان بعنوان «أعلام الورّاقين»، وقد جاء هذا الباب في أحد عشر فصلاً: كان الفصل الأول منها عن المستملين، والفصل الثاني عن ورّاقي الحديث، والفصل الثالث عن الورّاقين العلماء، والفصل الرابع عن الورّاقين الأدباء، والفصل الخامس عن الورّاقين الشعراء، والفصل السادس عن الورّاقين النسّاخين، والفصل السابع عن ورّاقي العلماء والأدباء والوزراء، والفصل الثامن عن الورّاقين الدلالين، والفصل التاسع عن الورّاقين القضاة، والفصل العاشر عن الورّاقين الفولكلوريين، والفصل الأخير عن تراجم عارضة. ويختتم الكتاب الذي يقع في ٦٥٢ورقة بكشاف عام، ثم قائمة المصادر والمراجع.

الملاحظات

- كان هذا الكتاب من ضمن الكتب التي لوحظ عليها عدم مطابقة العنوان لمحتوى الكتاب الفعلي، وقد ذكر ذلك في أول هذه القراءة. ثم إنه كان هناك في الإحالة التي في الهامش من ص ١٦٣ و ١٦٤، أن المؤلف أشار إلى أن مخطوطة «المخترع في فنون من الصنع» لمحمد بن قوام بن صفي بن محمد، المعروف بقاضي خان، ونسبه إلى كاتبه مع العلم أن هذا الكتاب لمؤلفه الأشرف الرسولي، وطبع بتحقيق الدكتور عيسى صالحية.

- كان على المؤلف، وقد أصدر كتابه في هذا الوقت، أن تكون معلوماته حديثة بحيث كان الأجدى به أن يستقصي مؤلفات الوراقة، وهي كثيرة، إلا أنه اكتفى بما قدمه الباحث العالم كوركيس عواد.

- لو اعتنى المؤلف كثيراً، وحاول أن يوفق بين الفصل الثامن من الباب الرابع، ص٢٩٩، مع ما كان قد ذكره بعد ذلك في الباب السادس، وهو حديثه في هذين المكانين عن أصناف الورّاقين وأعلام الورّاقين، بحيث إنه هنا - أي في الفصل الثامن - قد اتخذ صنف الورّاق عنواناً لبحثه، وجعله في الباب السادس، ص٣٥٥، على أنه تراجم قسمها على الأصناف، لهذا أرى أنه لو حاول دمج هذين الموقعين بشكل موحد لكان أولى.

والكتاب من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية

مراجعة: محمد أحمد عويس علي
القاهرة - مصر

تشتمل هذه الموسوعة على المجموعة الكاملة لبحوث الدكتور حسن الباشا في مجال العمارة والآثار والفنون الإسلامية التي نشرها في مجلات، أو ألقاها في ندوات منذ عام ١٩٥٠م. وقد بدأ العمل على إعادة نشرها كاملة بمناسبة حصوله على جائزة الدولة التقديرية في الفنون عام ١٩٩٢م.

ويذكر د. الباشا أن هذه المجموعة من الأبحاث تتناول تقريباً جميع جوانب العمارة والفنون والآثار الإسلامية في مختلف أنحاء العالم بدءاً من عصر ما قبل الإسلام حتى العصر الحديث، مع دراسات عن تأثيرها وتأثرها بالنسبة إلى الحضارات والفنون الأخرى. ومن هنا كان من الأنسب ترتيب هذه البحوث عند إعادة الطبع تاريخياً وموضوعياً بصرف النظر عن تاريخ نشرها أول مرة، مع إثبات تاريخ النشر ومكانه مع كل بحث من البحوث.

وقد استغرقت البحوث أكثر من ٢٥٠٠ صفحة وزعت على ٥ مجلدات، فضلاً عن الفهارس والكشافات الخاصة بالأعلام والأماكن والمصطلحات الفنية.

بدأ المؤلف هذه البحوث على سبيل التيمن بما كتبه عن المساجد الثلاثة التي لا تُشدُّ الرحال إلا إليها: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، وأنهاها ببحوث عن كتابة القرآن الكريم والمصحف الشريف.

وبين هذين الموضوعين رتب المؤلف سائر البحوث من عربية وإنجليزية حسب الموضوعات العامة الآتية:



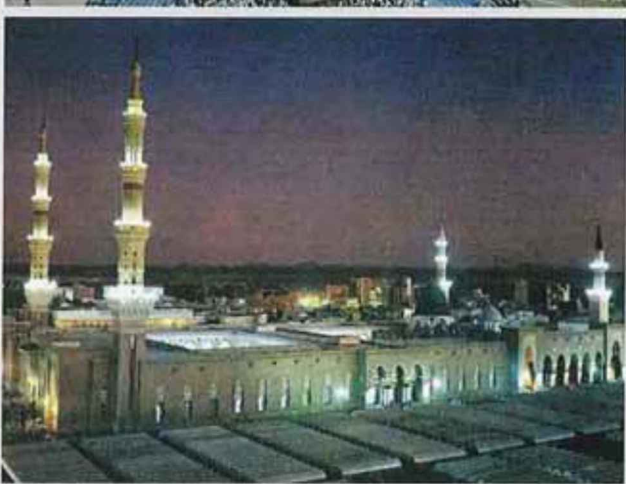
موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية
د. حسن الباشا
القاهرة، أوراق شرقية، الدار العربية للكتاب، ٢٥٠٠ ص.

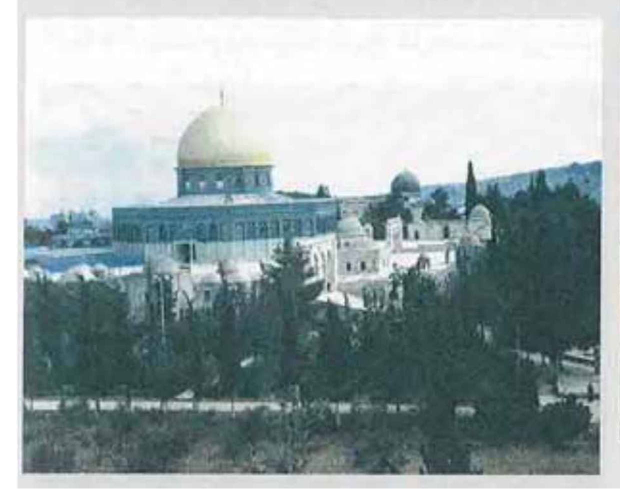
- الفن الإسلامي.
- العمارة الإسلامية بعامة.
- العمارة الإسلامية في مصر، وقد ألحقت بها دراسات مفصلة عن القصر العيني القديم الذي تم هدمه، والتسجيلات الميدانية لعمارته، وما أجري فيه من حفائر، وما اكتشف فيها من تحف.
- العمارة الإسلامية خارج مصر، ورتبت بحوثها حسب الأقطار الإسلامية: السعودية، واليمن، وسورية، والعراق، وإيران، ووسط آسيا، والهند، وتركيا، والأندلس، وصقلية.
- الفنون التطبيقية أو الزخرفية بأنواعها كافة من سجاد ونسيج وفخار وخزف ومعادن ومسكوكات وزجاج وبلور صخري وخشب وعاج وجص وحجر ورخام ومشغولات بحرية وسفن وورق، مع بحوث عن الطباعة والزخرفة بأنواعها.
- التصوير من صور جدارية، وفي المخطوطات منذ العصور المبكرة حتى العصور الحديثة، مع بحوث عن المدرسة العربية والإيرانية والتركية والهندية ومنتجاتها وأشهر المصورين الإسلاميين فيها.
- فنون الخط والتذهيب والتجليد من حيث نشأتها



فنون كثيرة ارتبطت بكتاب الله كالخط والتذهيب والتجليد







عمارة الحرم المكي والمسجد النبوي والمسجد الأقصى في عصور مختلفة

وخصائصها وتطورها وأنواعها وانتشارها وقيمتها الجمالية، والكتابات الأثرية والتذكارية، وشواهد القبور ومضمونها، وأدوات الكتابة والورق وأنواعه.

وقد ألحق ببحوث كل موضوع من هذه الموضوعات البحوث المتعلقة بالتأثر والتأثير وبخاصة بالنسبة إلى أوربا والشرق الأقصى.

فن جديد

يذهب بنا المؤلف إلى تفاصيل هذا الإنجاز الموسوعي العظيم، فلم يمض على ظهور الإسلام في الجزيرة العربية قرن من الزمان حتى كان العرب المسلمون يحكمون أقطاراً تمتد بين الصين شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً، وبين وسط آسيا شمالاً وبلاد الهند وإفريقية جنوباً، ومنذ ذلك التاريخ نبت في هذه الأقطار فن جديد جذوره العروبة والإسلام، وسقياه من فنون شعوبها. ولم يلبث هذا النبت أن استوى فناً إسلامياً رائعاً قُدّر له أن يكون من أطول الفنون عمراً، ومن أوسعها انتشاراً؛ وقد ازدهر في شتى المجالات: في العمارة، وفي الفنون الزخرفية والتطبيقية، وفي الفنون التشكيلية بمختلف جوانبها، وكان فناً يتميز بالحيوية والتفاعل مع غيره من الفنون تأثراً وتأثيراً، فناً يتسم بخاصية التنوع في الوحدة.

هذا الفن الإسلامي هو موضوع هذه الموسوعة التي تمثل أول إنتاج من نوعه في هذا المجال، وهي، في الوقت نفسه، أضخم عمل من حيث شمول المتن وعدد اللوحات: إذ تشتمل الموسوعة على نحو مئتي بحث باللغة العربية، وخمسين بحثاً باللغة الإنجليزية مرتبة

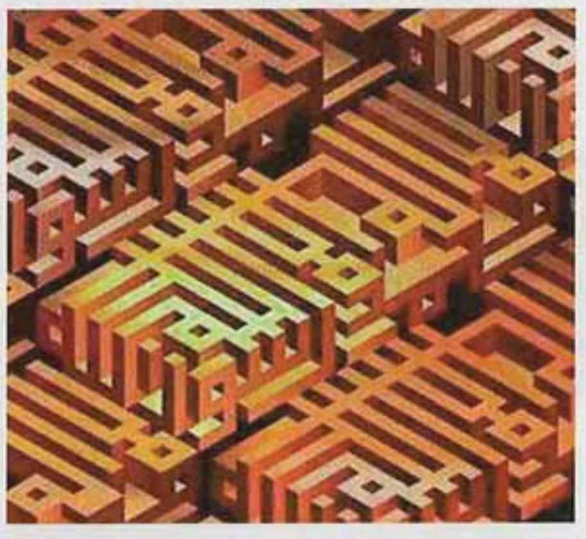
موضوعيًا وزمنيًا، فضلاً عن كشافات عربية وإنجليزية بأكثر من خمسة آلاف مدخل عن العمارة والآثار والفنون الإسلامية مرتبة هجائيًا، بالإضافة إلى اللوحات التي تزيد على ١٨٥٠ لوحة، توضح ما ورد بالمتن من مضامين، وهي تعدّ في حد ذاتها دراسة بالصور للآثار الإسلامية منذ النشأة إلى اليوم، بحيث يمكن من خلالها الإلمام بهذه الآثار وتطورها على مدى الزمن واتساع الرقعة. ولا تغفل الموسوعة في هذه الدراسات الفنية الصلة الوثيقة بين الفن والجوانب الحضارية بعامة، ومظاهر التأثير والتأثر بالفنون الأخرى.

وتبدأ بحوث الموسوعة بدراسات موسعة عن المساجد الثلاثة؛ وذلك من حيث تاريخ كل منها، ووصف عمارته وزخارفه وكتاباته، وما أجري فيه من عمائر على مدى العصور. وقد ألحق بهذه الدراسات بحوث تتضمن موضوعات إضافية، منها بحث عن عمارة المسجد الحرام على يد الخليفة عثمان بن عفان وأثرها في تخطيط عمارة المساجد بخاصة، وفي العمائر الإسلامية بعامة، وبحث عن مناقشة آراء العلماء مثل: كريزويل، سوفاجيه، أحمد فكري عن عمارة المسجد النبوي في عهد الوليد، وبحث ثالث عن دور المغول في حريق المسجد النبوي سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، كما تطرقت الدراسة عن المسجد الأقصى إلى المقصود بالمسجد الأقصى.

مؤثرات الفن الإسلامي

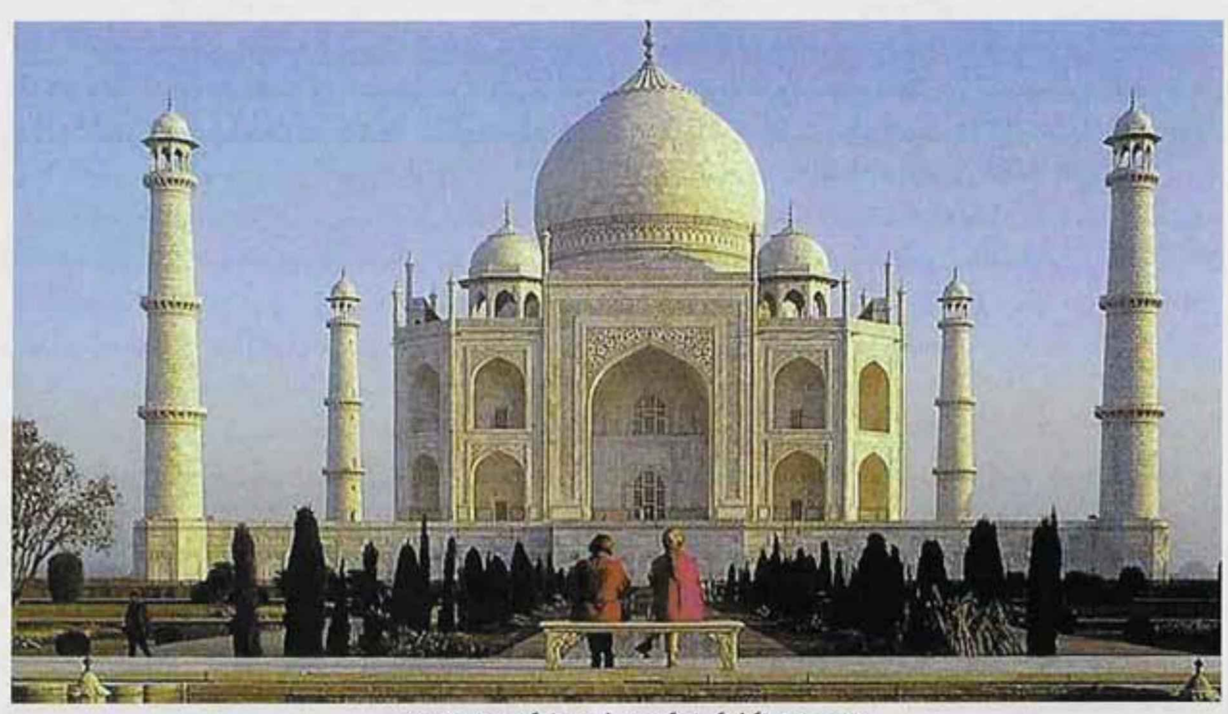
وتفرد الموسوعة قسمًا يتضمن بحوثًا عن الفنون الإسلامية بشكل عام، منها دراسات عن الفن الإسلامي ومدى انتشاره ومختلف جوانبه وأصوله، وأثر العروبة والإسلام في نشأته، ودحض الآراء التي تنكر فضلهما في تكوينه، وصدى القرآن الكريم في الزخرفة الإسلامية، كما تتمثل في قبة الصخرة، والمسجد الأموي، والقصور الأموية في صحراء الشام، وطابع التأثير الباهر الأخّاذ في الفن الإسلامي في عصر الحروب الصليبية، وأهميته في تحقيق النصر، ودور المرأة في الفن الإسلامي، وضرورة العناية بتنمية ثقافة الطفل عن طريق توعيته بالتراث الفني الإسلامي، وتطوير فن إسلامي حديث يجمع بين التراث والحداثة والتأثيرات الفنية المتبادلة بين الشعوب الإسلامية.

وبعد هذه الدراسات التي تتناول موضوعات عن الفن الإسلامي لها صفة العموم، تنتقل الموسوعة إلى البحوث التي تشمل الجوانب المختلفة للفن الإسلامي وهي: العمارة والفنون الزخرفية والتطبيقية والفنون التشكيلية. ويبدأ كل من هذه الجوانب بالبحوث التي تتناولها بصفة عامة، ثم يتبعها بالبحوث التفصيلية مرتبة ترتيبًا موضوعيًا ومكانيًا وزمنيًا. وأول هذه الجوانب هو العمارة، وتتصدر هذا الجانب دراسات متنوعة عن فنون العمارة بعامة: منها بحث عن المنهج الإسلامي في العمارة الإسلامية، وعن مدى توافق معالم العمارة الإسلامية مع تعاليم الإسلام، واستمدادها





الخط العربي والزخرفة من أهم الفنون الإسلامية


تاج محل تحفة فنية رائعة تتبدى فيها عظمة المعمار الإسلامي

من روحه، وآراء الفقهاء عن موقف الإسلام من العمارة وأنواعها وعناصرها وزخارفها، مما يمكن أن يطلق عليه مصطلح «فقه البنيان» وكذلك بحوث عن المنظور الإسلامي والبيئة، وعن فن بناء المساجد عند العرب، وعن تخطيط المدن، وعن خصائص العمارة الإسلامية بصفة عامة.

طابع متميز

وتتناول الموسوعة بعد ذلك الفنون الزخرفية، وتقرر تفوق المسلمين بشكل ملحوظ في مجال الزخرفة، وابتكارهم لأشكال زخرفية ذات طابع إسلامي متميز، وتطويرهم لزخارف من عالم الهندسة كالطبق النجمي، ومن عالم النبات كالأرابيسك، ومن عالم الحيوان كأشكال الكائنات الخرافية وتشكيل الخط العربي إلى أشكال نباتية وآدمية وحيوانية، واستنباط الفنان من الطبيعة أشكالاً زخرفية مثل زخرفة الأقمار والسحب وموج البحر وقشر السمك، وكذلك تحوير بعض الأدوات إلى عناصر زخرفية ولا سيما أشكال الدنوك أو الشعارات المصورة مثل: الدواة وعصا البولو والبقجة والكأس والسيف. ثم تتناول الموسوعة جوانب الفنون الزخرفية والتطبيقية ودراسة كلٍّ منها من حيث المادة


التراث العربي ـ الإسلامي في الأندلس شاهد على تفرد الفن الإسلامي

والطراز وأساليب الصناعة وأشكال الزخارف وطرائق تنفيذها، وتراجم الصناع.

ومن الموضوعات التي تتطرق إليها الموسوعة في مجال الفنون التطبيقية فنون الجلود، وتفرد دراسات عن مشغولات الجلود بعامة، وفن التجليد بخاصة، وتذكر تطور هذا الفن على مدى العصور، مع تبيان الأغلفة من مربع وأفقي وعمودي، وأشكال زخارفها، ومصطلحات أشغال التجليد وطرائق زخرفة الأغلفة

من: التمحيط، الطبع، الختم، التلبيس، القالب، التفريغ، الدهان، التقفية؛ كما تشير إلى أسماء أجزاء الغلاف مثل: اللسان، كبرى اللسان، البطانة، الساحة، الغرة، الخاتمة مع دراسة نماذج من الأغلفة الأثرية.

كما تتطرق الموسوعة إلى دراسات عن تطور وسائل الكتابة حتى صناعة الورق، وتشير إلى البردي والرّق والألواح الخشبية والحرير، وإنشاء مصانع الورق في العالم الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وإنتاج المسلمين أنواعاً مختلفة من الورق أو الكاغد كما كان يسمى عند العرب، ونقل صناعة الورق من العالم الإسلامي إلى أوربا وأثر ذلك في اختراع الطباعة.

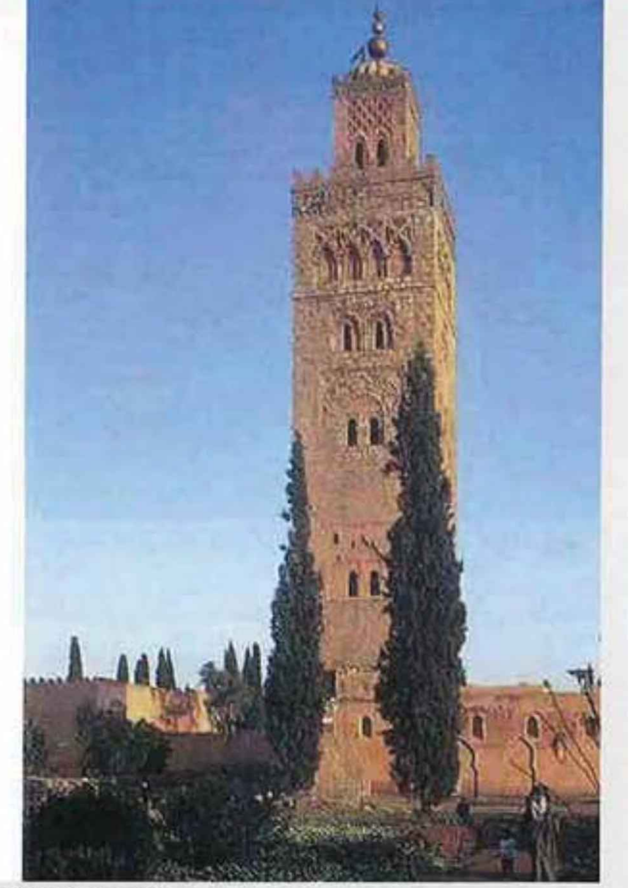
وتلحق الموسوعة بدراسات الفنون التطبيقية مجموعة من البحوث عن أساليب مختلفة استخدمت في التحف التطبيقية مثل: التصوير، والخط الزخرفي، والألقاب، مع العناية بدراستها من خلال مجموعة من النماذج.

وتفرد الموسوعة بحوثًا عن المشغولات البحرية في الفن الإسلامي، وأثر البحرية الإسلامية في أوربا، والمصطلحات الفنية العربية في اللغات الأوربية.

وإلى جانب فن العمارة والفنون التطبيقية أفردت الموسوعة قسماً مهماً للفنون التشكيلية الإسلامية من زخارف وتذهيب ونحت وتصوير وخط من حيث الطرز والمدارس والفنانون وأساليبهم.

التصوير والعمارة

ويمثل التصوير أهم الفنون التشكيلية التي درستها الموسوعة؛ إذ اشتملت على نحو أربعين بحثًا عن التصوير الإسلامي دُرست فيها: نشأته ومدارسه وتطوره، والمصورون الإسلاميون وأساليبهم وإنتاجهم، والعلاقات بينه وبين الأدب والدين، والتأثيرات المتبادلة بينه وبين الفنون الأخرى، ولا سيما فنون أوربا والصين.





تمازج حضاري يتبدى في العمارة الأندلسية

ومن بحوث الموسوعة دراسات عن علاقات التصوير بالعمارة. منها بحث عن عمارة المسجد النبوي في ضوء كيفية استخدام الصور في دراسة تطور العمائر، وبحث عن عمارة المسجد النبوي في ضوء التصاوير العثمانية، وبحوث عن التأثيرات المتبادلة بين التصوير الإسلامي والتصوير في الفنون الأخرى، مثل التأثير الأوربي في التصوير الإيراني، وأثر الفنون الإسلامية بآسيا الصغرى والبلقان في التصوير الأوربي، وعلاقة الصور الشخصية المغولية الهندية بالتصوير الأوربي.

ومن هذه البحوث دراسة عن الفن الإسلامي في صور هولباين، وهو واحد من أشهر الفنانين الأوربيين الذين استهوتهم الفنون الإسلامية، وعُنُوا عناية خاصة باستخدام بعض عناصرها ووحداتها في صورهم، ويتمثل الفن الإسلامي في إنتاج هولباين بوضوح في زخارف الثياب التي يرسمها وتُزيِّنها في كثير من الأحيان وحدات فنية إسلامية، ولاسيما الزخرفة العربية المورقة التي اصطلح على تسميتها بالأرابيسك، كما أن رسوم السجاجيد التي تظهرفي صورة من نوع إسلامي معيَّن كان ينتج في آسيا الصغرى بين أواخر القرن ١٥و ١٦ وشاع تصديره إلى أوربا، ومن ثم اصطلح على تسميته بسجاجيد هولباين.

ومن هذه البحوث أيضًا بحث عن أثر الفنون الإسلامية بآسيا الصغرى والبلقان في التصوير الأوربي، كما يتضح في أعمال جنتيلي بليني مثل: صورة «التقدمة» في الأوفيستي بفلورنسا، وموعظة سانت مارك في الإسكندرية بمتحف بيرا في ميلانو، وفي أعمال مانسوتي وجيرولامودا، سانتا كروتشي، فيتوري كارباتشي، بنتوريكيو، وكذلك الرسام الألماني ديرر. كما تظهر أيضًا في رسوم الأحافير الخشبية المطبوعة في كتاب «رحلة بحرية إلى الأراضي المقدسة» من تأليف برايدنباخ.

ومن جهة أخرى، تناولت الموسوعة موضوعات عن تأثر التصوير الإسلامي بالتصوير الأوربي من جهة، وبالتصوير الصيني من جهة أخرى؛ فمن حيث التأثر بالتصوير الأوربي تضمنت بحوثًا عن محمد زمان الذي يتضح في صوره أسلوب أوربي صرف: من حيث رسم



نموذج من العمارة الإسلامية في المغرب



دقة الصنع من صفات الفن الإسلامي

الزي الأوربي، والتعبير عن الظل والنور والمنظور وتجسيم الأوجه. ويتضح التأثير الأوربي بصفة خاصة في التصوير القاجاري، ومن أمثلة ذلك صور الطيور والأزهار والصور الشخصية، ولاسيما تلك التي تمثل: فتح علي شاه الذي يبدو فيها بلحيته السوداء، وقد أحاط به أبناؤه الكثيرون.

واشتملت الموسوعة على بحوث عن التأثيرات المتبادلة بين التصوير الإسلامي والأدب، منها على سبيل المثال: بحث عن التوافق في الأسلوب بين أدباء مقامات الحريري وتصاويرها القاهرية من حيث المبالغة في استخدام الأسلوب الزخرفي سواء في اللفظ أو في الشكل، ولو على حساب الروح. وبحث عن أبي زيد السروجي بين الأدب والفن؛ وأبو زيد هو الشخصية التي ابتكرها الحريري في مقاماته فأسند إليها حيله، وأنطق لسانها بآيات بيانه.



صورة تجمع بين أكثر من فن من الفنون الإسلامية كزخارف الثياب ورسوم السجاجيد وتطويع المعادن والفخار

ويختتم المتن العربي من الموسوعة بباب كامل عن الكتابة العربية يتضمن بحوثًا عن الخط العربي، وأنواعه، وأوجه جماله، وخط المصاحف، والكتابات الأثرية، وأثر الخط العربي في الفنون الأوربية، ونشأة الخط العربي والروايات التي وردت عن أصله، والكتابات العربية التي ترجع إلى ما قبل الإسلام مثل كتابة أم الجمال الأولى، وكتابة النمارة وزبد وحران وأم الجمال الثانية.

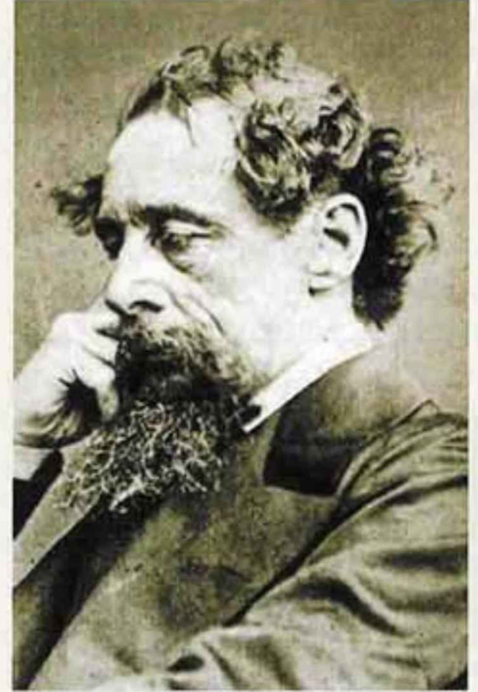
ويتضمن هذا القسم بحثًا عن الخط القرآني، وبخاصة خط المصاحف وانتشاره على طول طريق الحرير وآسيا الوسطى والصين، ويتطرق البحث إلى جمع القرآن، وإلى مصحف عثمان أو المصحف الإمام، وإلى ابتكار علامات الإعراب والإعجام لتيسير القراءة وتحسينها على يد مشاهير الخطاطين مثل: ابن مقلة، وابن البواب، وياقوت المستعصمي.

ويختتم المتن العربي ببحث عن تذهيب المصاحف وتطوره ودوافعه، واستخدامه في مواضع متعددة، كالفواصل بين الآيات، وعناوين السور، وعلامات الأقسام من أجزاء وأحزاب وأرباع وعشرات وخمسات وسجدات، ومنها تذهيب إطارات الصفحات والغرة والخاتمة، وتطور هذه العلامات على مدى الزمن.

وأخيراً تشتمل الموسوعة على بحوث باللغة الإنجليزية بوصفها مكملة للبحوث العربية، وقد رتبت حسب ترتيب موضوعات البحوث العربية، فتتضمن بحوثًا عن العمارة وعناصرها والفنون التطبيقية والتشكيلية بمختلف أنواعها، وعلاقتها بالفنون الأخرى، وتطور الخط القرآني وانتشاره.

تشارلز ديكنز:
من بؤس الطفولة إلى أحزان الكهولة

طاهر تونسي
جدة - السعودية



حلقت في سماء الأدب الإنجليزي في القرن الثامن عشر كوكبة من الأعلام، فقد نبغ في الشعر وردزورث، وكولردج، وبايرون، وتنيسون، وبراوننج. وأبدع في النثر أعلام من أمثال ثاكري، وهازليت، وكارليل، وماكولي. ولكن تشارلز ديكنز كان أكثرهم قراءة، وأوسعهم شهرة، وأغناهم موهبة في وصف المشاعر الإنسانية. وقد خلده تاريخ الأدب العالمي بوصفه واحدًا من أعظم المبدعين وأصحاب الصور الكاريكاتيرية الساخرة، فضلاً عن تفرده بموهبة في وصف الحارة في ربوع إنجلترا.

من بدايات تشارلز ديكنز حيث قسوة الطفولة ومرارة الصبا، استمدت يراعته الصور البديعة مرسلة نغمًا حزينًا ما فتئت تشجي قرّاء الأدب جيلاً بعد جيل.

بداية البؤس

ومن واقع طفولته المريرة أصبح ديكنز من أعظم الكتاب وصفًا للطفولة ومشاعرها وآلامها وعذابها.

وقد بدأ بؤس الطفولة عندما أبصرت عيناه النور في السابع من فبراير/شباط عام ١٨١٢م في تلك البلدة الصغيرة (لاندبورت) Land Port قرب ميناء (بورتسموث) Portsmouth، والتي وصف مناظرها خلال وصفه لبلدة «بورمث» Pormith في قصته «دافيد كوبرفيلد». كان والده جون ديكنز رجلاً عاثر الحظ، سيِّئ التدبير، ضعيف الرأي. وقد تناول تشارلز ديكنز

والده عندما كتب رواية دافيد كوبرفيلد في شخصية السيد ميكوبر. يقول ديكنز عن ميكوبر: «وكانت متاعب أسرة السيد ميكوبر قد أترعت قلبي حزنًا وكمدًا وكآبة. كانت تعاسة أحوالهم الإكسير الذي اجتذبني نحوهم فازددت تعلقًا بهم، وحبًا لهم على الرغم من فوارق السن التي كانت بيني وبينهم. وتوطدت بيننا أواصر الصداقة الخالصة الحقة إلى الحد الذي جعلني أقبل الذهاب بصدر رحب مرات عديدة إلى متجر للثياب القديمة كي أبيع ثيابهم ومقتنياتهم وأقبض مقابلها نقودًا تعينهم على مواجهة مطالب الحياة الضرورية، ولكن تلك النقود لم تكن تكفي إلا أيامًا. وذات يوم لم يبق لهم من متاع الدنيا



ديكنز في صورة تذكارية مع عائلته

مايبيعونه فانتهى الأمر بالحكم على رب العائلة بالسجن وفاء لديونه».

العائلة في السجن

وقد حدث لجون ديكنز والد تشارلز ديكنز ما حصل للسيد ميكوبر. فعندما بلغ تشارلز ديكنز العاشرة من عمره أودع أبوه غيابة السجن ووجدت أمه نفسها عاجزة عن إعالة أطفالها الأربعة، فحملت أطفالها إلى السجن كي تعيش على نفقة الدولة مع زوجها الحبيس. أما الطفل الخامس وهو تشارلز فقد ساقه الحظ العاثر إلى مصنع للصق البطاقات على زجاجات الدهان المستخدم لتلميع الأحذية، حيث عمل هناك عملاً قاسيًا وشاقًا.



توماس كارليل

فإذا جن عليه الليل بعد يوم مضنٍ، خلد إلى صدر أمه الحنون التي ما فتئ يستلهم روحها في كثير من شخصيات رواياته، ويصف مشاعرها الدافئة في رائعته «دافيد كوبرفيلد». يقول تشارلز ديكنز: «وتوقفت بيجوتي عن الكلام لحظة، وضغطت على يدي في حنان، ثم أردفت: حين سافرت أنت بعد انتهاء عطلتك قالت سيدتي لي: إن شيئًا يهتف أنني لن أرى ابني ثانية، أنا واثقة من ذلك. ولم تكن تتكلم بتلك اللهجة إلا معي. وقبل الحادث بأسبوع واحد همست في أذن زوجها: يا عزيزي إني أموت. وفي تلك الليلة ذاتها قالت لي وهي تأوي إلى فراشها: إنني متعبة جدًا يا بيجوتي فإذا نمت فامكثي بقربي ولا تتركيني. وليبارك الله ولديّ ولا سيما ذاك الذي ليس له أب يرعاه. وفي الليلة الأخيرة عانقتني وقالت: إن الطفل الصغير مريض منذ حين فإذا مات أيضًا فلتضعوه بين ذراعيّ ولتدفنونا معًا.

ولا تنسي أن تؤكدي لولدي العزيز أن أمه باركته في ساعتها الأخيرة لا مرة واحدة بل ألف مرة. وقد حرصت على أن تكرر وصيتها الأخيرة هذه كلما كانت في غيبوبتها. وسكتت بيجوتي مرة أخرى، وربتت يدي من جديد ثم استطردت: عند مشرق الشمس حدثتني عن طيبة والدك - مستر كوبرفيلد - وعن الأيام السعيدة التي عاشتها معه.

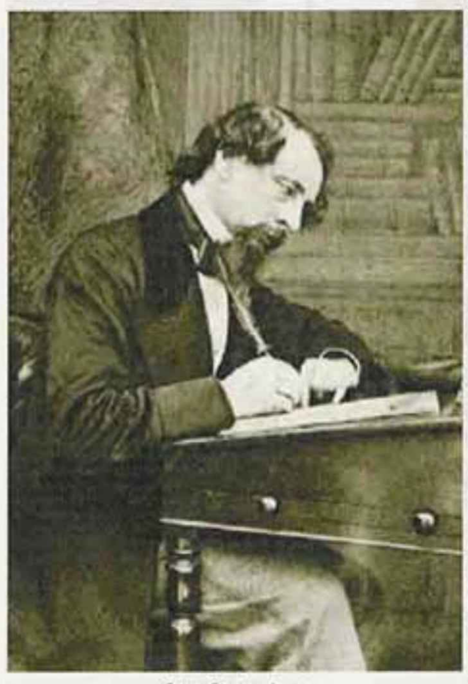
وأخيرًا طلبت مني أن أقترب منها، وأضع ذراعي تحت رأسها، وأدير وجهها نحوي ففعلت ما طلبته مني، وإذا استراحت إلى وضع رأسها المتعب على ذراع خادمتها. ابتسمت وأسلمت الروح، مثل طفل يخلد إلى نوم لطيف تتخلله أسعد الأحلام».

ألم يشحذ الملكة

سعد تشارلز بأمه الطيبة الحنون قدر ما شقي بعمله، فقد كان يعمل اثنتي عشرة ساعة في اليوم. وكان فقر أسرته وحرمانها من أبسط الحقوق الاجتماعية مصدرًا لأتون جياش من الألم يفيض شواظًا كلما رأى الأسر المعرقة في الغنى ترفل في حلل اليسار. واستطاعت هذه الآلام أن تتفجر في أثناء مؤلفاته وأن تطبع كثيرًا مما ذرفته يراعته القديرة. ونستطيع القول: إن الألم قد شحذ ملكته في وصف الطفولة المعذبة حتى أصبح متفردًا بين الكتّاب ومقدمًا عليهم في هذا المضمار.

وماتت جدة تشارلز ديكنز لأبيه تاركة لابنها جون ديكنز السجين ثروة متواضعة كانت كافية لإخراج والد ديكنز من غيابة السجن. بيد أن خروجه لم يعد بالفائدة على تشارلز ديكنز، فقد ذهب السجين السابق إلى الثريّ لامبرت الذي كان تشارلز يعمل عنده، ورأى شدّة عمل ابنه، فلم يستطع الأب صبرًا ولا جلدًا، فأظهر اللوم المقذع، فطرد لامبرت تشارلز ديكنز من العمل.

والده جون ديكنز



ديكنز في لحظة كتابة

وقد بدأ تشارلز ديكنز في انتظامه في طلب الدرس والعلم مع بزوغ عام ١٨٢٧م، وتفتقت منذ الصغر مواهبه، فهو قارئ جيد، قرأ في تلك الفترة الكاتب الذي ترك أثرًا واضحًا في رواياته، وأقصد «هنري فيلدنج» صاحب رواية «توم جونز»، وقرأ أيضًا في تلك الفترة وليم شكسبير وتوبياس سمولت. وبرعت يراعة ديكنز براعة سامقة في فن التلخيص. وقد نقل في أول عمل له مناقشات البرلمان حول المذكرة الإصلاحية التي نشرها في «المورننج كرونيكل». وفي مجلة شهرية أخرى، أرسل تشارلز ديكنز ابن التاسعة عشرة مجموعة من الأقاصيص أو لنقل من الصور المتحركة الجميلة. وبعد نشر هذه الصور رجا رئيس التحرير الشاب ديكنز أن يعاود الكتابة ثانية.

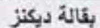


بقالة ديكنز


كاترين ديكنز

بدت للعيان أهم مناحي عبقرية ديكنز، ألا وهي قدرته على رسم الصور الكاريكاتيرية الساخرة، كما ذكر معاصره ثاكري. فديكنز - وإن كان لا يرقى إلى معاصرته جين أوستن في الحبكة القصصية، ولا يرقى إلى معاصره ثاكري في تحليل الشخصية - يفوق الكثير في رسم الصور الكاريكاتيرية الساخرة، وتصوير المواقف والمشاعر الجياشة.

دخول عالم الشهرة



وعندما بلغ ديكنز الرابعة والعشرين من عمره أصدر كتابه الأول «صور بريشة بوز» وأتته الشهرة رخاء، وأصبح علية القوم في لندن من قراء الأديب الشاب، وفي مقدمتهم رئيس الوزراء البريطاني دزرائيلي الذي زار مبنى الصحيفة للقاء النجم الواعد. تداول القراء كتاب الصور، وافتتنوا به موشحاً باللوحات الفنية التي رسمها الرسام جورج كروشانك. وفي العام نفسه طلب أحد الناشرين من ديكنز نشر مسلسلة في حدود ١٢٠٠٠ كلمة، ووافق ديكنز وأرسل يراعه فأصدر كتابه «أوراق مستر بيكويك» عام ١٨٣٦م، فازدادت شهرته، وتزايد عدد قرائه.

ونال ديكنز من ريع كتابه مبلغاً من المال مكنه من الزواج في هذه السن المبكرة من زوجته الوحيدة كاترين هوجارث بعد شباب كان يُظن به العفاف. ولكن الحصول على عدد كبير من رسائله بعد وفاته أظهر أن ديكنز قبل زواجه لم يكن بعيداً عن شخصية ستيرفورث في قصته «دافيد كوبرفيلد».

كان صدور «أوراق المستر بيكويك» بطاقة لصدارة ديكنز في رسم الصورة الكاريكاتيرية الساخرة. وكان من نتائج صدور القصة أن أسند الناشر إلى ديكنز رئاسة تحرير مجلته «بنتلي». وفي أثناء رئاسته لتحريرها سطر فيها رائعته الأخرى «أوليفر تويست»، وذلك عام ١٨٣٧م.


بايرون

أما شخصية أوليفر تويست فهي من الشخصيات التي غدت مألوفة لأطفال العالم، وقد ترجمت في القرن العشرين إلى عدة لغات. وقد تحدث في القصة عن طفل خرج إلى معمعة الحياة عندما وجدت أمه ملقاة على

الأرض قرب ملجأ للأطفال، وهي تعاني من آلام المخاض، فأدخلوها الملجأ حيث ألقت جنينها وماتت على الفور.

وتتناوش الآلام والأحزان الصغير أوليفر حتى يصبح لقمة سائغة للشرير اليهودي فايجن الذي كون في وكر للجريمة مجموعة من الأطفال الأبرياء، ودربهم على السطو على المنازل ليلاً والحوانيت نهاراً. ويساعد هذا اللئيم رجل خبيث يسمى بيل سيكس وخطيبته نانسي. ويشاء الله الخير للطفل أوليفر فيخطئ في أثناء القيام بالسرقة ليلاً ليقع بعد ذلك في رعاية رجل طيب كريم هو السيد براونلو النجار ويحكم على الشرير فايجن بالموت شنقًا.

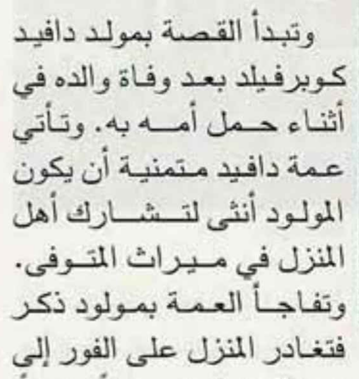


ديكنز أمام شاليه خاص به

غضب القراء!

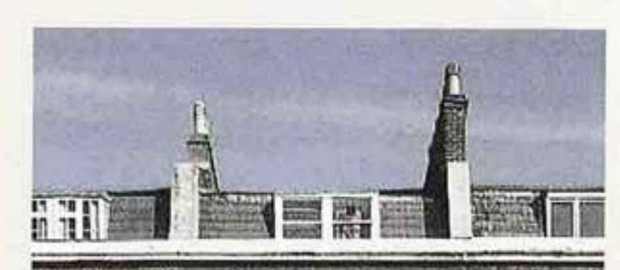
ومع الشهرة والتقدير من القراء يصاب ديكنز بالغرور، فهو، في الصحف التي يرأس تحريرها، أو يشارك فيها، لا ينفك عن الثناء على نفسه وملكاته مقللاً من شأن الآخرين، وأدى ذلك إلى نفور زملائه منه، وبغضهم له، وانتقاله من صحيفة إلى أخرى. ثم أبحر ديكنز وهو في الثلاثين من عمره عام ١٨٤٢م إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك وجد الناشرين قد نشروا كتبه دون إذنه ودون أن يعطوه شيئًا من ريعها، فغضب ديكنز ونالهم، ورفع شكوى ضدهم، وهاجم الرق في أمريكا فاشتعل القراء هناك غضبًا عليه.

وبدأت مشكلاته مع زوجته على الرغم من انجاب عدد من الأطفال، ولم يُعلم تفاصيل هذه الفترة إلا بعد وفاة ديكنز، وقد جمع أشتات علاقاته غير الشرعية في هذه الفترة الكاتب سلاتر، في ديكنز.. والنساء، واستمرت الخلافات الزوجية. وتفاقمت، فكان يهجر المنزل بين الوقت والآخر. وتتابعت أعماله حتى كان العالم الأدبي على موعد مع أعظم أعماله وأغناها بالمشاعر الإنسانية، ألا وهي قصته «دافيد كوبرفيلد» التي أصدرها في كتاب عام ١٨٤٩م. وكانت هذه القصة التي أصدرها ديكنز، وهو في الرابعة والثلاثين، أقرب كتبه إلى الترجمة الذاتية، ولكنها ترجمة فيها الصنعة الأدبية، واللمسة الفنية، مثلها مثل روايته الثانية «الأوقات الصعبة ١٨٥٤ HARD TIMES».



وتبدأ القصة بمولد دافيد كوبرفيلد بعد وفاة والده في أثناء حمل أمه به. وتأتي عمة دافيد متمنية أن يكون المولود أنثى لتشارك أهل المنزل في ميراث المتوفى. وتفاجأ العمة بمولود ذكر فتغادر المنزل على الفور إلى ضيعتها. ثم تزوجت والدة دافيد رجلاً شريراً سامها صنوف العذاب، وأرسل ابنها دافيد إلى مدرسة داخلية، ثم ما لبثت أن توفيت.

وقامت صداقة بين الخادمة بيجوتي ودافيد الذي ذهب معها في رحلة إلى بورمث فتعرف دافيد إلى حبه الأول إميلي. وعاد الصفاء بين دافيد وعمته التي أرسلته إلى مدرسة متميزة، وأوصت أن يقيم في منزله السيد ويكافيلد فيتعرف هناك إلى ابنته أجنس ويكافيلد. وتمر الأحداث بين مد وجزر فتفقد إميلي ذاتها مع الشاب ستيرفورث. وتزوج دافيد من دورا ابنة




منزل ديكنز

أستاذه في المحاماة بعد أن أصبح محاميًا مشهورًا، ثم ماتت زوجته. وانتهت القصة بزواج دافيد من أجنس.

وينشر كتابه «قصة مدينتين» عام ١٨٥٩م محاولاً كتابة القصة التاريخية التي أبدع فيها والتر سكوت، وكان قد نشرها في أجزاء في مجلة «حول العالم» وعلى الرغم من طولها والجهد الذي بذل فيها إلا أنها لم ترق القراء ولا النقاد. وقد تناول ديكنز فيها أواخر العهد الملكي في فرنسا أيام الملك لويس السادس عشر من خلال حياة طبيب نطاسي أورده حظه العاثر سجن الباستيل. وقد رصدت الرواية أحداث سقوط الباستيل والثورة الفرنسية. وقد تنقل ديكنز بأبطاله بين المدينتين لندن وباريس مظهرًا نقمته على الثوار وحبهم لسفك الدماء، ومصورًا السيدة دوفارج المتعطشة دومًا للدماء.

متاعب نفسية وآمال كبيرة

وبعد شجار وخلاف كبيرين يطلق تشارلز ديكنز زوجته، ويتركها ويتركه أبناؤه، ويعيش في شقة بعيدة عنهم؛ وذلك في عام ١٨٥٨م. ويصاب بمتاعب نفسية كثيرة إثر ذلك الحادث. وقد تابع إنتاجه الأدبي منتجًا الكثير، ولكنه لم يستطع أن يأتي بأحسن مما أنتج في شبابه، ولعل أهم عمل أنتجه بعد طلاق زوجته واعتلال روحه قصته «الآمال الكبيرة» التي أحبها القراء. ولكنها تكاد تكون تكرارًا لدافيد كوبرفيلد. فبطل القصة بيب يشبه إلى حد كبير شخصية دافيد كوبرفيلد والسيدة هافيشام ليست بعيدة في ملامحها الداخلية عن عمة دافيد. ونرى شبها - أيضًا - بين أستيلا في هذه الرواية وإميلي في رواية «دافيد كوبرفيلد». ومع ذلك فالقصة ماتعة ومثيرة وملأى بالمشاهد المؤثرة المحزنة التي يتقنها ويفتن فيها تشارلز ديكنز.

وفي يوم التاسع من يونيو/ حزيران عام ١٨٧٠م، وعندما كان ديكنز في قمة مجده في الثامنة والخمسين من عمره، وصل الأديب إلى مجلته الأسبوعية. وفي مجلس ضم أصدقاءه والعارفين بمكانته انطلق الحديث في شتى مناحي الحياة، فتحدث ديكنز، ثم قام كعادته عندما يعبر عن وجهات نظره بقوة وعزم. هناك أحس بتعب شديد وقبل أن يهرع أصدقاؤه إليه سقط ديكنز مغشيًا على الأرض، وعندما وصل إليه محبوه للمساعدة وجدوه قد فارق الحياة.

وعندما احتفل العالم الأدبي عام ١٩٧٠م بذكرى مرور مئة عام على وفاة الكاتب الكبير أحصى محبوه الكتب التي صدرت عنه فوجدوها تزيد على ألفي كتاب، وذلك - لعمري - جوهر العظمة والخلود.

الملف الثقافي

المملكة العربية السعودية وفلسطين: علاقة التاريخ والمصير

رحيل اللغوي السامرائي والمؤرخ الخاطر

جوائز اليونيسكو والإيسيسكو وكانو وكومار والبابطين

بيزا يستعيد عافيته!

لماذا انتحرت فرجينيا وولف؟!

لا للعبرية والتطبيع!!



خاتمة المطاف

الجراد وخطره على المزارع

صور من التاريخ

رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض رئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض مساء ٢٩ أبريل/نيسان الماضي حفل افتتاح معرض «صور من تاريخ المربع» الذي نظمته الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، وقد أكد الأمير سلمان عقب افتتاح المعرض أن الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن كانت حياته حدثًا تاريخيًا حتى وفاته يرحمه الله، منوهًا بالأهمية التاريخية للفترة التي عاشها الملك المؤسس مع أبنائه في مجمع المربع التاريخي، والبرامج المرتبطة بحياته في منطقة قصر المربع.

الأمير سلمان بن عبد العزيز

وتنبع أهمية قصر المربع من معاصرته مرحلة مهمة في تاريخ بناء الدولة السعودية وتكوين مؤسساتها، بالإضافة إلى كونه من أوائل ما بني خارج أسوار المدينة، ويعدّ شاهدًا على مرحلة مميزة في تاريخ الرياض العمراني، فضلاً عما يقدمه من نموذج للبناء التقليدي المحلي.

وقد اشتمل المعرض الذي أُقيم في البيوت التراثية بمركز الملك عبدالعزيز التاريخي واستمر مدة أسبوعين، على صور فوتوغرافية وتقارير وثائقية عن ترميم القصر وتطويره، بالإضافة إلى صور جوية نادرة لمجمع المربع وحياة السكان في فترة تمتد من سنة ١٣٥٧هـ إلى سنة ١٤٢٠هـ، إلى جانب صورة جوية تظهر توسع مدينة الرياض في هذه الفترة. كما عُرضت في هذا المعرض أول مرة وثائق نادرة عن ترميم المجمع وصيانته في عهد الملك عبدالعزيز، وهذه الوثائق لأحد المهندسين الذين زاروا القصر. وكان قد أعد دراسة تقويمية بتكليف من جلالة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - توضح سبل تطوير مجمع المربع والمناطق المحيطة به وتطوير بعض المرافق الخدمية في مدينة الرياض، ومنها الماء والكهرباء.

المملكة العربية السعودية وفلسطين

رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض رئيس مجلس إدارة دارة الملك عبدالعزيز مساء السبت ٢٧ من المحرم الماضي (٢١ أبريل/نيسان) حفل افتتاح ندوة «المملكة العربية السعودية وفلسطين.. علاقة التاريخ والمصير»، التي نظمتها دارة الملك عبد العزيز والتي أقيمت في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات بفندق الانتركونتننتال بالرياض.

ويأتي عقد هذه الندوة، التي استمرت ٣ أيام، تجسيدًا لمواقف المملكة العربية السعودية الثابتة من نصرة القضية الفلسطينية، ودعم جهاد الشعب الفلسطيني ونضاله ضد الاحتلال الصهيوني لاستعادة كامل حقوقه المشروعة، وتناولت الندوة جهود المملكة العربية السعودية ومواقفها الرسمية والشعبية تجاه قضية فلسطين من الجوانب الدينية والتاريخية والسياسية والإعلامية والأدبية منذ عهد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - حتى الوقت الحاضر.



شعار الندوة

وقد شملت أهداف الندوة الآتي:

- إبراز أهمية الثوابت التي قامت عليها العلاقة بين المملكة العربية السعودية والقضية الفلسطينية.
- رصد جهود المملكة العربية السعودية ومواقفها الرسمية والشعبية تجاه قضية فلسطين منذ عهد الملك عبدالعزيز حتى الوقت الحاضر، وتوثيقها.
- توثيق الجوانب التاريخية للقضية الفلسطينية.
- بيان جهود المملكة العربية السعودية ضمن إطار الجهود العربية والإسلامية لخدمة القضية.

وشارك في الندوة كثير من الدبلوماسيين والأكاديميين والباحثين السياسيين والتاريخيين من مختلف الدول العربية والإسلامية ومن داخل المملكة

العربية السعودية وخارجها، وتضمنت الندوة عدة محاور، منها: المنطلقات السعودية تجاه جهاد شعب فلسطين، والموقف السعودي من الهجرة اليهودية وتقسيم فلسطين، والموقف السعودي لدعم القضية الفلسطينية في المحافل الدولية، وإسهام المملكة في حرب ١٣٦٧هـ /١٩٤٨م، واللجان الشعبية لدعم مجاهدي فلسطين ودورها في خدمة القضية، وقضية فلسطين في الإعلام والأدبيات السعودية، وتطور العلاقات الدبلوماسية السعودية الفلسطينية، وموقف المملكة العربية السعودية من الأعمال التخريبية اليهودية للأماكن المقدسة في فلسطين. وتضمنت الندوة خمس عشرة جلسة قدمت خلالها ثلاثة وستون بحثًا وورقة عمل.

وكان من أبرز البحوث التي قدمت خلال فعاليات الندوة، محاضرة ألقاها "الأمير تركي بن محمد بن سعود الكبير وكيل وزارة الخارجية المساعد للشؤون السياسية بعنوان «دور وزارة الخارجية السعودية في دعم قضية فلسطين»، ومحاضرة الأمير مشاري بن سعود بن عبدالعزيز وكيل الحرس الوطني بالقطاع الشرقي وكانت عن «دور الملك سعود في قضية فلسطين»، ومحاضرة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف حول «الأصول الشرعية لاهتمام السعودية بفلسطين»، ومحاضرة الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي التي تناول فيها «رابطة العالم الإسلامي وقضية فلسطين»، والدكتور محمد بن أحمد الرشيد وزير المعارف الذي جاءت محاضرته بعنوان «تعليمنا والقضية الفلسطينية».

وفي ختام الندوة أشاد الباحثون بما حظيت به القضية الفلسطينية من عناية واهتمام ظهرا جليًا من خلال المواقف الثابتة والمستمرة والمبادرات التي قدمتها المملكة العربية السعودية في جميع المحافل وعلى الأصعدة كافة لنصرة فلسطين منذ عهد الملك المؤسس عبدالعزيز حتى اليوم. وانتهت الندوة إلى التوصيات الآتية:

- إنشاء «مركز القدس للدراسات والبحوث» بدارة الملك عبدالعزيز، ليعنى بالدراسات الفلسطينية.
- نشر الوثائق ذات الصلة بموقف المملكة العربية السعودية من القضية الفلسطينية وترجمة الأجنبية منها إلى اللغة العربية ضمن مشروع دارة الملك عبدالعزيز الخاص بالوثائق التاريخية.
- إقامة جسور من التعاون العلمي والثقافي بين الجامعات السعودية والعربية وشقيقاتها الجامعات الفلسطينية.
- عقد ندوة علمية دولية عن القدس والمسجد الأقصى.
- حث الجامعات والكليات على المشاركة بفاعلية من خلال توجيه الطلاب والطالبات في برامج الماجستير والدكتوراه لتسجيل موضوعات تتعلق بالدراسات الفلسطينية.
- تشجيع الباحثين على بذل المزيد من الجهود والمساعي لدعم هذه القضية بالبحوث والندوات العلمية الجادة.
- تضمين المقررات المدرسية للمراحل التعليمية في الدول العربية والإسلامية معلومات عن مدينة القدس، تشمل تاريخ المدينة وواقعها وأوضاعها.
- يقدر المشاركون ما قامت وتقوم به اللجنة السعودية لدعم انتفاضة القدس، التي يشرف على أعمالها صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية.
- يقدر المشاركون ما قامت وتقوم به اللجان الشعبية لدعم أسر مجاهدي شعب فلسطين بالمملكة العربية السعودية.
- تنفيذ كشافات مصدرية لما كتب عن فلسطين وقضيتها في المؤلفات والصحف والمجلات السعودية لما لهذه الكشافات من فائدة تخدم تاريخ القضية الفلسطينية.
- نشر بحوث الندوة بعد تحكيمها علميًا.
- تكوين لجنة علمية لمتابعة توصيات الندوة، والعمل على تنفيذها.

وفي إطار الاهتمام الذي توليه دارة الملك عبدالعزيز في توثيق المواقف والإنجازات التي حققتها المملكة العربية السعودية تجاه القضية الفلسطينية قامت بإعداد عدد من الكتب وطباعتها، وإعادة طباعة بعضها، منها: كتاب «سلسلة وثائق المملكة العربية السعودية والقضية الفلسطينية»، ويتناول هذا الإصدار عرض نحو ٣٠٠ وثيقة تتعلق بالقضية الفلسطينية والجهود السعودية في ذلك.

- كتاب «المملكة العربية السعودية وقضية فلسطين» تأليف الدكتور عبدالفتاح حسن أبو علية والأستاذ شاكر النتشة.. ويقع الكتاب في أكثر من ٦٠٠ صفحة ويشمل ملحقًا للخرائط والوثائق.

- كتاب «مؤتمر فلسطين العربي البريطاني المنعقد في مدينة لندن في ١٣٥٧/١٢/١٨هـ الموافق ١٩٣٩/٢/٧م» ويتضمن هذا الكتاب تسجيلاً دقيقًا لما دار في الجلسات بمؤتمر فلسطين العربي البريطاني، وما يظهر فيه من مواقف مهمة للمملكة. وكان الملك فيصل بن عبدالعزيز - يرحمه الله - الأمير ووزير الخارجية آنذاك، قد أمر بطبعه. وتُرجم إلى العربية سنة ١٣٥٩هـ، وأعادت دارة الملك عبدالعزيز طبعه بمناسبة انعقاد هذه الندوة.

- إعادة طباعة كتاب «الجيش السعودي في فلسطين»، تأليف صالح جمال الحريري، ويتضمن معلومات وصورًا عن مشاركات الجيش السعودي في فلسطين سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، وقد قامت دارة الملك عبدالعزيز بإعادة طباعته بمناسبة هذه الندوة.

- إصدار عدد خاص من مجلة الدارة يتضمن بحوثًا متخصصة عن فلسطين قضية العرب والمسلمين عامة.

- جهود اللجنة الشعبية السعودية لمساعدة أسر مجاهدي فلسطين من تأليف الأستاذ عبدالرحيم جاموس مدير اللجنة الشعبية لمساعدة مجاهدي فلسطين وكاتبها.

المسائية تتحول إلى الأسرة


بيريرا البرازيل

المسائية

أحد أعداد المسائية

صدرت الموافقة الرسمية على تحويل صحيفة «المسائية» إلى إصدار صباحي يهتم بشؤون الأسرة وتعديل مسماها إلى صحيفة «الأسرة». وكانت «المسائية» قد احتجبت عن الصدور ابتداءً من عدد الخميس الموافق ١٩ أبريل/نيسان الماضي مكملة به عشرين عامًا منذ صدور أول عدد منها، وهي الصحيفة المسائية الوحيدة التي كانت تصدر في المملكة ومنطقة الخليج العربي.

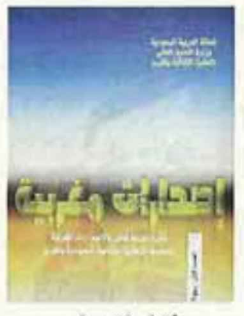
وستعنى صحيفة «الأسرة» بكل قضايا الأسرة الاجتماعية والتربوية والنفسية والثقافية والاقتصادية، وعلاقة الأسرة بالمجتمع وبمؤسسات الخدمات الاجتماعية، وستكون شاملة لمختلف فئات المجتمع مع إعطاء عناية خاصة بالمرأة.

وأوضح مدير عام مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر عبدالرحمن بن فهد الراشد أن المؤسسة أخذت بهذا الخيار؛ لأن التوقيت المسائي لصدور صحيفة بالمملكة يحول دون تحقيق كثير من طموحات أسرة تحريرها، فقد واجهت المؤسسة بسبب توقيت الإصدار صعوبة في توزيع صحيفة المسائية في يوم صدورها وهو عنصر مهم لتحقيق النجاح المنشود، وأوضح أن موعد صدور صحيفة «الأسرة»، وإن لم يتحدد بعد إلا أنه سيكون خلال هذا العام.

إصدارات مغربية

صدر مؤخرًا العدد الأول من مطبوعة «إصدارات مغربية»، وهي نشرة دورية تعنى بالإصدارات المغربية، تصدرها الملحقية الثقافية السعودية بالمغرب.

وقد غطت الإصدارة معظم المطبوعات المغربية


غلاف الإصدار

التي صدرت حديثًا من كتب ودوريات ومجلات، وشملت التغطية صورة لغلاف الإصدار، ووصفًا ببليوجرافيًا يوضح عنوان الإصدار، واسم المؤلف والناشر ومكان النشر وتاريخه وعدد الصفحات مع تلخيص موجز لمحتويات الإصدار. ومن الإصدارات التي جاءت في النشرة: «الديمقراطية والتحولات الاجتماعية في المغرب» لسعيد بنسعيد العلوي وآخرين، و«مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار» لأبي العباس أحمد بن محمد بن يعقوب الولائي، و«جوانب من تطور الأفكار العلمية حتى العصر الوسيط» لعبد السلام بن ميس وآخرين، وغير ذلك من الإصدارات المختلفة.

يشرف على النشرة محمد بن عبدالعزيز العقيل الملحق الثقافي بالمغرب، ويعدها إبراهيم إغلان.

جديد «نشرة الإيداع السعودي»


نشرة الإيداع

أصدرت مكتبة الملك فهد الوطنية العدد الثاني من «نشرة الإيداع السعودي» في ٣٦٨ صفحة، وتضم النشرة حصراً مرتباً حسب الموضوعات المخصصة لما مجموعه ٢٧٤٢ من المطبوعات السعودية الحديثة المودعة والمسجلة في المكتبة الوطنية خلال النصف الأول من سنة ١٤٢١هـ، سواء أكانت الكتب منشورة داخل المملكة أم خارجها لمؤلفين سعوديين. كما اشتمل العدد على توثيق الرسائل الجامعية للطلبة السعوديين باللغة العربية واللغات الأجنبية، وتضم نشرة الإيداع السعودي كذلك كشافات المؤلفين وأسماء الناشرين وعناوينهم.

سلطان بن زايد وأسوار القدس


الشيخ سلطان بن زايد

أعلن الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء بدولة الإمارات العربية المتحدة عن تقديم كل العون المطلوب لترميم أسوار مدينة القدس المعرضة للانهيار، وأكد تحمل تكاليف الترميم من أجل إنقاذ أحد أبرز معالم التراث الإنساني، وتطلع إلى الإسراع في عمليات الترميم بالتنسيق مع الأوقاف الفلسطينية ومنظمة اليونسكو.

وكانت تقارير صحفية أوردتها وكالات الأنباء قد أشارت إلى مخاطر انهيار أسوار القدس، وحملت إسرائيل مسؤولية إهمال هذه الأسوار وعدم الالتفات إلى النداءات المتكررة من أجل ترميمها، كما لفتت التقارير الانتباه إلى عمليات الحفر التي قامت بها سلطات الاحتلال خلال السنوات الماضية تحت الأرض والتي ساهمت في خلخلة الأسوار وتعرضها لخطر الانهيار.

رحيل العالم اللغوي إبراهيم السامرائي

توفي في العاصمة الأردنية عمان في ٢٥ أبريل/نيسان الماضي عن عمر يناهز الحادي والثمانين عاماً العالم اللغوي العراقي الدكتور إبراهيم أحمد الراشد السامرائي أحد أبرز علماء اللغة ومحققي التراث الأدبي العربي.

ولد العالم الراحل في العمارة جنوب العراق عام ١٩٢٠م، وأتمّ دراسته الثانوية في بغداد، ثم التحق بدار المعلمين العالية عام ١٩٤٥م، وعيّن بعد تخرجه مدرساً، ثم أُوفد إلى باريس فالتحق بجامعة السربون، ونال فيها شهادة الدكتوراه عام ١٩٥٥م في اللغات السامية وفقه اللغة العربية، وكان عنوان رسالته لنيل درجة الدكتوراه التي كتبها بالفرنسية «الجمع واسم

الجمع في القرآن». عاد بعد ذلك إلى بغداد أستاذًا في كلية التربية، ثم غادر العراق إلى الأردن عام ١٩٧٨م، ثم انتقل إلى صنعاء ثم عاد إلى الأردن مرة أخرى.

قال عنه خليل إبراهيم عبداللطيف في كتابه «أدباء العراق المعاصرون»، الذي طبع في بغداد عام ١٩٧٢م: «إن الدكتور إبراهيم السامرائي قد اهتم باللغة العربية أشد الاهتمام، وخاصة بفقه اللغة. وحفلت كتبه بآرائه وملاحظاته حول المناحي اللغوية والأدبية وشدد على وجوب استعمال الفصحى في كلامنا اليومي من دون العامية».

وقال عنه الدكتور داود سلوم: «إن السامرائي مدرس لغة، وصناعته المفردات يقلبها ويرجعها إلى أصولها العربية القديمة أو اللغات السامية البائدة. وهو كاتب يتبع الأساليب الحديثة ليضعها في مكانها، وينسبها إلى أصولها الأجنبية في اللغات الأوربية الحديثة. وشغلت مؤلفاته الباحثين والجامعيين والنقاد سنوات طويلة وتلمذت لكتبه ودراساته أجيال من اللغويين والباحثين في جامعات عربية وعراقية خلال أكثر من خمسين سنة».

شغل الراحل كثيراً من المناصب العلمية؛ فهو عضو بمجامع اللغة العربية بالقاهرة ودمشق وعمان، وحضر كثيراً من الندوات العلمية والمؤتمرات في القاهرة وبيروت وتونس وبنغازي وباريس وروما وغيرها. وكان يجيد ست لغات هي: العربية والإنجليزية والفرنسية والعبرية والآرامية والكردية، وله كثير من الكتب، وعشرات الأبحاث والمقالات التي نشرت في مجامع اللغة العربية بالقاهرة ودمشق وعمان والهند.

ومن أهم مؤلفاته: «نظرة في التنوين» (١٩٥٩م)، تعابير أوربية في العربية الحديثة» (١٩٥٩م)، «الجمع في العربية» (١٩٦٠م)، «في تاريخ المشكلة اللغوية»، (جزآن ١٩٦٠ - ١٩٦٤م)، «الأب أنستاس ماري الكرملي وآراؤه اللغوية» (١٩٦٠م)، «الأعلام: بحث تاريخي في اللغة واللهجات» (١٩٦١م)، «الأعلام في الشمال الإفريقي» (١٩٦٣م)، «الأعلام العربية: دراسة لغوية اجتماعية» (١٩٦٤م)، «بداية الفكر الجغرافي عند العرب» (١٩٦٤م)، «دراسات في اللغة» (١٩٦١م)، «مبدأ التطور في اللغة» (١٩٦٤م)، «من الأدب التونسي الحديث» (١٩٦٤م)، «أصول اللغة العامية البغدادية» (١٩٦٥م)، «التصغير في أصوله ودلالته» (١٩٦٥م)، «الجديد في اللغة والمعجم الحديث» (١٩٦٥م)، «رحلة الخياري» (١٩٦٥م)، «لغة الشعر بين جيلين» (١٩٦٥م)، «أبو سعيد السيرافي وكتاب سيبويه» (١٩٦٦م)، «التطور اللغوي التاريخي» (١٩٦٦م)، «الفعل: زمانه وأبنيته» (١٩٦٦م)، «في الجديد اللغوي»» (١٩٦٦م)، «في اللهجات المغربية والأندلسية» (١٩٦٧م)، «اللغة التونسية» (١٩٦٧م)، «في النحو العربي: نقد وبناء» (١٩٦٨م)، «نظرة مقارنة في التذكير والتأنيث» (١٩٦٨م)...إلخ.



إبراهيم السامرائي

حقق السامرائي كتبًا كثيرة منها: «خلق الإنسان لأبي اسحق الزجاج» (١٩٦٢م)، «رسائل في اللغة» (١٩٦٤م)، «نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء لابن الأنباري» (١٩٥٩م)، «الجبال والأمكنة والمياه لمحمود بن عمر الزمخشري»(١٩٦٨)، «رسالة في السمسرة والسمسار وأحكامه لأبي العباس الأبياني التونسي» (١٩٦٥م)، «شعر الأحوص» (١٩٦٩م)، «فوائد لغوية من شمس الأدب لأبي سعيد السمنائي» (١٩٦٨م)، «المتشابه لأبي منصور الثعالبي» (١٩٦٧م)، «التذكير والتأنيث للسجستاني»(١٩٦٩م)...إلخ. كما شارك في تحقيق ديون القطامي، وديوان قيس بن الخطيم، وشعر عروة بن حزام، وله ديوان شعر يقع في ٧٠٠ صفحة، كان من المؤمل أن يصدر قريبًا.

والجدير بالذكر أن السامرائي كان أحد كتّاب (مجلة الفيصل) البارزين، فقد خصها الراحل بكثير من البحوث والدراسات القيمة، وله في هذا العدد مقالة عنوانها «مع الفعل في العربية المعاصرة»، كما أن له مقالات لم تنشر بعد. وكان - يرحمه الله - قد نشرت له في «الفيصل» قصيدة بعنوان «مع الثمانين» تزامناً مع بلوغه هذه السن، وقد تضمنت رؤيته للحياة والناس.

جائزة البابطين في دورتها الثامنة


عبدالعزيز البابطين

أعلنت مؤسسة جائزة عبدالعزيز البابطين للإبداع الشعري عن فتح باب الترشيح لجائزتها في الدورة الثامنة للمؤسسة والتي تحمل اسم شاعر الإحساء علي بن المقرب العيوني.

وقد فتح باب الترشيح في ثلاثة مجالات: الجائزة الأولى خصصت للإبداع في مجال نقد الشعر، وقيمة الجائزة (أربعون ألف دولار) وتمنح لواحد من نقاد الشعر ودارسيه ممن بذلوا جهوداً متميزة في تحليل النصوص الشعرية وشرحها، أو دراسة ظاهرة فنية شعرية محددة وفق منهج يقوم على أسس علمية، على أن تكون الدراسة مبتكرة وذات قيمة فنية عالية تضيف جديداً إلى الدراسات النقدية في مجال الشعر، على ألا تكون رسالة علمية نال عنها صاحبها درجة الدكتوراه أو الماجستير، وألا يكون قد مضى على صدورها أكثر من عشر سنوات تنتهي في ٣١ أكتوبر/تشرين الأول عام ٢٠٠١م.

وخصصت الجائزة الثانية لأفضل ديوان شعر، وتبلغ قيمتها عشرين ألف دولار وتمنح لصاحب أفضل ديوان شعر صدر خلال خمس سنوات تنتهي بتاريخ ٣١ أكتوبر/تشرين الأول عام ٢٠٠١م، والجائزة الثالثة مخصصة لأفضل قصيدة وتبلغ قيمة الجائزة عشرة آلاف دولار، وتمنح لصاحب أفضل قصيدة منشورة للمرة الأولى في إحدى المجلات الأدبية أو الصحف أو الدواوين الشعرية أو في كتاب مستقل خلال العامين الأخيرين.

واشترطت مؤسسة الجائزة أن يكون الإنتاج باللغة العربية الفصحى، وحدد يوم ٣١ أكتوبر/تشرين الأول عام ٢٠٠١م آخر موعد للتقدم لفروع الجائزة الثلاثة، وستعلن النتائج في النصف الثاني من عام ٢٠٠٢م، وتوزع الجوائز في حفل عام يقام في شهر أكتوبر/تشرين الأول من العام نفسه.

كما أن المؤسسة خصصت جائزة تكريمية للإبداع في مجال الشعر قيمتها خمسون ألف دولار تمنح لأحد الشعراء العرب الذين أسهموا بإبداعاتهم في إغناء حركة الشعر العربي من خلال عطاء شعري متميز، وهي جائزة لا تخضع للتحكيم بل لآلية خاصة يضعها ويشرف عليها رئيس مجلس الأمناء.

تقدم الطلبات باسم الأمين العام للمؤسسة، وترسل إلى مندوب المؤسسة في المنطقة الشرقية الأستاذ محمد الجلواح على ص.ب: ٣٥٠٤٥ الأحساء ٣١٩٨٢.

فهرس مخطوطات مكتبة الغازي خسروبك



فهرس المخطوطات

صدر حديثًا في لندن الجزء الأول والثامن من «فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية والبوسنية» ضمن مخطوطات مكتبة الغازي خسرو بك في سرايفو؛ وذلك بتعاون بين رئاسة الجماعة الإسلامية في البوسنة مع مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي. وكان هذا المشروع قد استغرق وقتًا طويلاً حتى بدأه الباحث البوسني محمد خانجيتش عام ١٩٣٧م، وعمل فيه حتى توفي عام ١٩٤٤م. وتابع العمل بعده حازم شعبانوفيتش في الفترة ما بين ١٩٥٠م و ١٩٥٣م،

حيث حالت أشغاله الكثيرة دون المواصلة، ليتولى العمل في المشروع قاسم دوبراتشا الذي استمر في العمل مدة عشر سنوات تُوجت بإصدار الجزء الأول عام ١٩٦٣م.

واستمر قاسم دوبراتشا في العمل الذي تعثر بسبب المصاعب المالية ولم يصدر الجزء الثاني إلا عام ١٩٧٩م في سراييفو والقاهرة، ثم تأخر صدور الجزء الثالث الذي أعدّه زينل فاييتش حتى عام ١٩٩١م ليستغرق صدور الأجزاء الثلاثة الأولى من هذا المشروع نحو ثلاثين عامًا. ثم جاءت حرب البوسنة (١٩٩٢م - ١٩٩٥م) التي دُمرت فيها المكتبة الوطنية ومكتبة معهد الاستشراق في سراييفو، لتنجو مكتبة الغازي خسرو بك بأعجوبة، فتسارع العمل بعد استقرار الوضع في البوسنة عام (١٩٩٥م) لتتبنى مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي إصدار بقية الأجزاء، فقد صدر الجزء الرابع عام ١٩٩٨م، أنجزه فهيم علي ناميتاك، ثم الجزء الخامس عام ١٩٩٩م أعدّه زينل فاييتش، والسادس الذي أعدّه مصطفى يحيتش، وفي عام ٢٠٠٠م صدر الجزء السابع أنجزه حاسو بوبارا وزينل فايتش، ثم الجزء الثامن الذي أنجزه مصطفى يحيتش، كما صدر الجزء الأول من هذا الفهرس الذي أصبح نسخة نادرة بل تكاد تكون معدومة.

وتنبع أهمية هذا الفهرس - كما جاء في صحيفة الحياة في عددها رقم ١٣٩٢١ - «من قيمة المخطوطات التي تراكمت عبر القرون في مكتبة الغازي خسرو بك، وكانت هذه المكتبة التي حملت اسم والي البوسنة الغازي خسروبك أسست سنة ٩٤٤هـ/١٥٣٧م لتكون مكتبة لمدرسته المعروفة التي بناها قرب جامعه المشهور في سراييفو».

وتضم المكتبة نحو ٩ آلاف مخطوطة ما بين كتاب ورسالة في اللغات الشرقية (العربية والتركية والفارسية) واللغة البوسنية، إضافة إلى السجلات الشرعية والوقفيات والوثائق التاريخية والمصادر المطبوعة في اللغات الشرقية والأوربية، ومن أهم هذه المخطوطات، مخطوطة «الإيضاح في علم المعاني والبيان» للقزويني نسخت في خوارزم سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م، و«حاشية» الجرجاني على «المطول» للتفتازاني نسخت سنة ٨١٤هـ/١٤١١م.

واحتفظت هذه الفهارس بالأسس نفسها التي وُضعت للجزء الأول على الرغم من تغيّر القائمين على هذا العمل وطول الزمن الذي استغرقه إنجازه. وقد جاء تقسيم مخطوطات المكتبة على حسب المواضيع، فجاءت في ١٤ بابًا هي «دوائر المعارف والقرآن وعلومه، والعقائد، والأدعية والأذكار، والفقه، والأخلاق والمواعظ، والتصوف، والحكمة والفلسفة، وعلوم اللغة، والتاريخ والجغرافيا، والطب والبيطرة، والطبيعة والحساب، وأخيرًا المتفرقات». وجاءت الفهرسة مقتصرة على العناوين والمقدمات والنهايات في اللغات الأصلية «العربية والتركية والفارسية»، بينما الشروحات والتعليقات في اللغة البوسنية، وعليه تكاد الإفادة من هذا المشروع تكون مقصورة على الذين يجيدون اللغة البوسنية/اليوغسلافية، والأمل معقود أن تقوم مؤسسة الفرقان بإصدار نسخة باللغة العربية لهذا الفهرس حتى تعم الفائدة.

وتجدر الإشارة إلى أن الجزء الثامن من هذا الفهرس توقف عند المخطوطة رقم ٥٢٥٧ من مخطوطات المكتبة، وقد جاء مشتملاً على مخطوطات في علم النحو والصرف العربي وما يتعلق بهما، إضافة إلى قواعد اللغة العثمانية وقواعد اللغة الفارسية.

إعلان جائزة كانو


عبد العزيز كانو

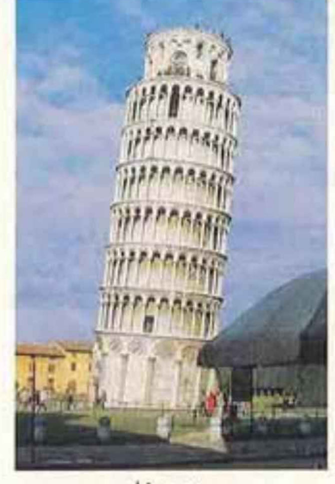
أعلن الأستاذ عبدالعزيز جاسم كانو رئيس مجلس الأمناء في جائزة يوسف بن أحمد كانو للتفوق والإبداع، نتائج الجائزة التي جاءت على النحو الآتي:

- منحت جائزة التراث

الإسلامي للباحث خالد بن سليمان بن علي الخويطر من المملكة العربية السعودية عن بحث بعنوان «جهود العلماء المسلمين في تقدم الحضارة الإنسانية».

- حجبت جائزة الاقتصاد والأعمال وجائزة الرياضة والتربية الاجتماعية، لأن جميع البحوث والكتب التي قدمت للمنافسة على الجائزة لم ترق إلى مستوى الجائزة، ولا تنطبق عليها شروط البحث العلمي، وقرر المحكمون استبعادها جميعًا.

بيزا يستعيد عافيته!



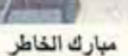
برج بيزا

أعلن وزير الأشغال العامة الإيطالي نيريو نيسيو أن برج بيزا المائل سيعاد فتحه أمام الجمهور في شهر نوفمبر/ تشرين الأول القادم بعد أن ظل مغلقًا طوال أحد عشر عامًا بسبب أعمال الترميم في مواجهة خطر سقوطه، وقد استعاد البرج جزءًا من ميل يقدر بـ ٣٩.٦ سنتيمترًا، مما جعله يعود إلى وضعه الذي كان عليه في نهاية القرن السابع عشر.

وكانت لجنة من الخبراء قد عملت طوال العقد الأخير على صيانة هذا البرج الذي يعد أشهر النصب التذكارية في إيطاليا، ويعود تاريخ إنشائه إلى القرن الثاني عشر، وقدرت ميزانية صيانته بنحو ٢٧ مليون دولار.

وفاة الخاطر

توفي مؤخرًا المؤرخ البحريني مبارك راشد الخاطر بعد حياة حافلة بالعطاء الفكري أثرى خلالها التاريخ الأدبي والثقافي في البحرين والخليج العربي بإسهاماته التي فتحت آفاقًا جديدة أمام الباحثين والدارسين لتاريخ المنطقة وحضاراتها.



مبارك الخاطر

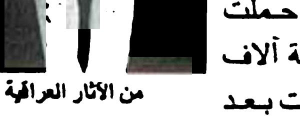
ولد الخاطر في مدينة المحرق عام ١٩٣٥م، وعمل باحث وثائق ومخطوطات بوزارة شؤون مجلس الوزراء والإعلام في قطاع الثقافة والتراث، وأصدر كثيرًا من الكتب والمقالات، أبرزها: «عبدالله الزايد» الذي تناول فيه حياة المثقف وتاجر اللؤلؤ البحريني الذي نفته سلطات الحماية البريطانية إلى الهند، و«القاضي الرئيس قاسم بن مهزع»، و«الكتابات الأولى الحديثة لمثقفي البحرين من ١٨٧٥م إلى ١٩٤١م» و«المنتدى الإسلامي بالمنامة من ١٩٢٨م إلى ١٩٣٨م»، و«الأديب الكاتب ناصر الخيري»، و«المسرح التاريخي في البحرين والخليج» و«التعليم الأهلي في الخليج قبل التعليم الحديث»، و«المؤسسات الثقافية الأولى في الخليج»، وغيرها من الكتب والمقالات. وتقلد كثيرًا من المناصب منها: عضو المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب بدولة البحرين، وعضوية رابطة العالم الإسلامي العالمية، واتحاد المؤرخين العرب، ونال عددًا من الجوائز والأوسمة منها جائزة الدولة للعمل الوطني، وجائزة الدولة التقديرية للإنتاج الفكري، ومنح وسام المؤرخ العربي، ووسام جمعية تاريخ وآثار البحرين، ووسام جمعية الإصلاح.

آثار مهربة واكتشافات حديثة في العراق

تعرضت الآثار العراقية في الآونة الأخيرة خاصة بعد حرب الخليج الثانية لهجمة شرسة من عصابات تهريب الآثار، التي نهبت كثيرًا من المواقع الأثرية، واستولت على الآلاف من التحف النادرة، حتى إن المتحف العراقي الذي ظل مغلقًا طوال عشر سنوات

لم يسلم من هذه الهجمة فتعرضت مقتنياته للضياع والنهب.

وفي سبيل حماية هذا التراث النادر والمحافظة عليه واسترجاعه من خارج الحدود قام العراق بتسليم الشرطة الدولية (الأنتربول) نشرة حملت أسماء نحو أربعة آلاف قطعة أثرية سرقت بعد حرب الخليج وأوصافها. وقد صرح رئيس هيئة الآثار والتراث العراقية ربيع القيسي: أن الشرطة الدولية أبدت اهتماماً بملاحقة الجهات التي تتعامل في الآثار العراقية المسروقة. وكانت هيئة الجمارك العراقية قد أحبطت مؤخراً عملية تهريب عدد من النسخ النادرة من التوراة كانت في طريقها إلى إسرائيل.



من الآثار العراقية

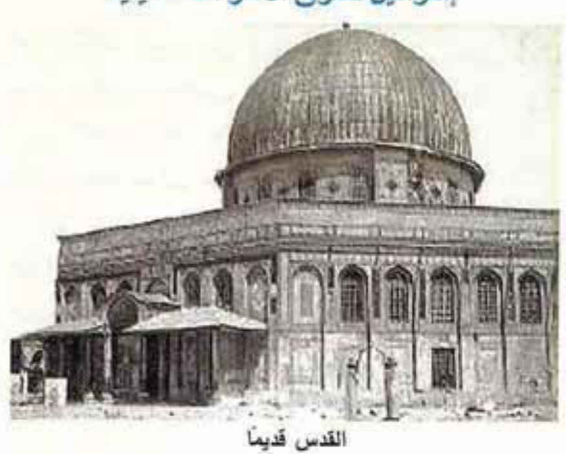
ومع قلة إمكانات هيئة الآثار والتراث العراقية إلا أن بعثات التنقيب مازالت توالي الاكتشافات الأثرية الحديثة، فقد توصلت البعثة الأثرية في مشروع ضفاف دجلة إلى اكتشاف بناء معماري يعود تاريخه إلى فترة تأسيس مدينة بغداد، كما تم العثور أيضاً بالقرب من مدينة الشرقاط (في شمال العراق) على وحدة سكنية آشورية قيل: إنها تعكس نمطاً من المعمار السكني للعاصمة (آشور).

وقد أشيع مؤخراً أن الهيئة عثرت على قبر الخليفة العباسي المعتصم، وهو ما نفاه رئيسها ربيع القيسي قائلاً: «إنه لا صحة لما أشيع في شأن اكتشاف قبر المعتصم»، مؤكداً أن «الدراسات مستمرة لغرض تحقيق ذلك الهدف».

ابن رشد في نواكشوط

أعلنت جامعة نواكشوط الموريتانية عن صدور كتاب «الضروري لصناعة النحو» لابن رشد الحفيد، وهو كتاب نادر ظل قروناً طويلة يشكل حلقة مفقودة من التراث الرشدي. وأكدت الجامعة، في حفل نظم في ٢٠ أبريل/نيسان الماضي بمناسبة صدور هذا الكتاب النفيس، أن كتاب «الضروري لصناعة النحو» قد ذُكر في الفهارس القديمة والحديثة لكتب ابن رشد ومؤلفاته إلا أنه ظل مفقوداً إلى أن عُثر عليه العام الماضي في مكتبة العلامة الموريتاني هارون ولد الشيخ سيديا الواقعة بمدينة أبي تلميت شرق نواكشوط، حيث بدأت الجامعة في تحقيقه وتهيئته للنشر. وأكد بابا ولد هارون الذي ورث المخطوط عن والده، وقدمه للنشر أن ابن رشد مفكر أندلسي أنار بعلمه الفكر العربي والإسلامي.. بل ساهم، إلى جانب غيره من المفكرين العرب والمسلمين، في تهيئة الصحوة الفكرية التي أيقظت أوربا من سباتها، وهيأتها لما عرفته من رقي.

إسرائيل تسرق الآثار الفلسطينية



القدس قديماً

حذرت شخصيات فلسطينية من عمليات نقل إسرائيل لآثار المتحف الفلسطيني في القدس المحتلة إلى أماكن مجهولة، واستمرار أعمال الحفر في منطقة المتحف باتجاه المسجد الأقصى المبارك، وذلك بعد أن كشف العاملون في المتحف عن قيام سلطات الاحتلال الإسرائيلية بنقل القطع الأثرية الفلسطينية بكثافة وتحت غطاء من السرية التامة.

ووصفت هذه الشخصيات ما تقوم به إسرائيل من نقل للآثار الفلسطينية بواسطة الحاويات المغلقة إلى أماكن

مجهولة، بأنه عمليات سرقة منظمة تجرى تحت حراسة مشددة.. منددين بنقل السلطات الإسرائيلية أتربة من منطقة المتحف، مما يشير إلى أن سلطات الاحتلال الإسرائيلية تقوم بعمليات حفر واسعة أسفل المتحف باتجاه الحرم القدسي الشريف.

وقد حذر الشيخ عكرمة صبري مفتي القدس والديار الفلسطينية رئيس الهيئة الإسلامية العليا في تصريحات لصحيفة «الدستور» الأردنية من عواقب هذه الممارسات.. مشدداً على أن للمسجد الأقصى خطاً أحمر لن يسمح لأحد بتجاوزه.

ووصف الدكتور يوسف النتشة مدير قسم الآثار بالقدس هذه الحفريات الإسرائيلية بالقدس بأنها ترمي إلى خلق جذور مصطنعة لليهود خلافاً للمعطيات التاريخية كافة.. وأشار إلى أن الآثار الموجودة بالمتحف الفلسطيني بالقدس تمثل تاريخاً فلسطينياً في حقب تاريخية قديمة جداً، وكذلك موجودات ووثائق تاريخية مهمة في تاريخ فلسطين.

لماذا انتحرت فرجينيا وولف؟!


فرجينيا وولف

هذا السؤال.. يجيب عنه كتاب صدر مؤخراً عن دار النشر الفرنسية «روشيه»، ويتناول سيرة حياة الروائية البريطانية الشهيرة فرجينيا وولف، قامت بإعداده الكاتبة الفرنسية بياتريس موسلي، ويحكي الكتاب عن أسرة وولف التي تخصصت هي وإخواتها في الأدب وكتابة الروايات. وفرجينيا وولف روائية بريطانية ولدت عام ١٨٨٢م، وتوفيت عام ١٩٤١م، وتركت كثيراً من الروايات بالإضافة إلى يومياتها.

لوتريك والملصقات

يقيم المتحف القومي الأمريكي للفنون حالياً بمدينة سان فرانسيسكو الأمريكية معرضاً لإبراز الدور الذي أداه الرسام الفرنسي تولوز لوتريك في إغناء فنون وأشكال فن الملصقات الفنية خلال القرن التاسع عشر.


تولوز لوتريك

ويضم المعرض، الذي يقام تحت عنوان «لوتريك والملصقات»، أكثر من أربعمئة لوحة وملصق فني يظهر فيها الطابع السريالي الذي تمتاز به أعمال هذا الفنان، وقد خصص جناح خاص في المعرض لعرض مجموعة من الأعمال النحتية المصنوعة من البرونز الخالص، ومن المقرر أن يستمر هذا المعرض حتى الأول من يونيو/حزيران المقبل.

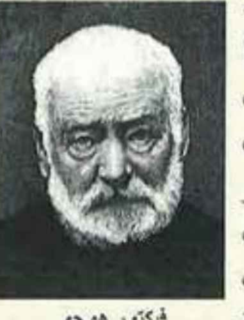
مدينة تحت البحر

أعلن عالم الآثار البحرية الفرنسي فرانك جوديو عن اكتشاف الخريطة البحرية الكاملة الأولى لمدينة الإسكندرية القديمة الغارقة. وكان جوديو قد اكتشف عام ١٩٩٦م هذه المدينة الأسطورة، ومنذ ذلك الوقت ظل علماء الآثار البحرية والخبراء يعملون في رسم المدينة بقصورها ومعابدها الخيالية وجزيرة أنتيرهودوس الملكية المشهورة.

وقال جوديو وهو يقدم هذه الخريطة: «بعد المسوح الإلكترونية الأولى للمدينة مباشرة أدركنا أن السمات السطحية للأحياء الأربعة القديمة للإسكندرية تختلف تماماً عما هو مفترض حتى الآن، وكشفت الأعماق المظلمة عن كنوز أثرية أخرى حيث شاهد الغواصون وجهاً لوجه تماثيل لأبي الهول الذي يمثل لغزاً».

وأضاف جوديو: «لا يمكن رؤية شيء في البداية عندما تغوص، ولكنه كان شيئاً ممتعاً عند القاع. أتمنى أن يمضي فريقنا في الاستكشاف لسنوات وسنوات وأنا على يقين أننا سنجد المزيد من الكنوز».

مخطوطات هوجو


فيكتور هوجو

شهدت قاعة «دروو» الفرنسية للمزادات مؤخراً مزاداً لبيع المخطوطات الأصلية لأعمال الكاتب الفرنسي الشهير فيكتور هوجو، وشملت المخطوطات المعروضة خطاباً من الكاتب الراحل إلى محبوبته المطربة الفرنسية جوليت (١٨٠٦ - ١٨٨٣م).

ولد هوجو عام ١٨٠٢م وتوفي عام ١٨٨٥م، وتم نقل رفاته إلى مقبرة العظماء في باريس، وكان عضواً في الأكاديمية الفرنسية، وتعد روايته «البؤساء» من أشهر أعماله الروائية.

النفحة العنبرية في أنساب البرية

أنجز الباحثان العراقيان الدكتور عباس كاظم مراد، وسعاد حمد السوداني تحقيق مخطوطة بعنوان: «النفحة العنبرية في أنساب البرية» لمؤلفها السيد محمد أبي فضيل كاظم بن أبي الفتوح الموسوي من أدباء القرن التاسع الهجري.

وهذه المخطوطة من الوثائق المهمة في علم الأنساب، وأفاد الباحثان أنهما اعتمدا في التحقيق على نسخة مصورة موجودة في إحدى مكتبات القاهرة ونسختين موجودتين في بغداد والكوفة.

حوسبة التراث العربي

في محاضرة بعنوان «حوسبة التراث العربي» في مجمع اللغة العربية الأردني ضمن فعاليات الموسم الثقافي التي بدأت في ٢٠ أبريل/نيسان الماضي، وتستمر حتى الخامس من يونيو/حزيران، أكد رئيس الاتحاد العالمي لحوسبة اللغة العربية الدكتور علي موسى أهمية الاستجابة لتحديات القرن، واستغلال قدرات الحاسوب والتقنيات المعاصرة لخدمة اللغة العربية وتطويرها، لتكون العربية لغة العلوم والتقنيات الحديثة والبحث العلمي في المعاهد والجامعات والحياة العلمية.

وبيّن الإعجاز القرآني البلاغي الذي تم التوصل إليه من خلال نتائج الحاسوب التي أجراها الاتحاد العالمي لحوسبة اللغة العربية.

وقال رئيس مجمع اللغة العربية الدكتور عبدالكريم خليفة في افتتاح فعاليات الموسم الثقافي للمجمع إنه لا يمكن لأمتنا العربية أن تبدع إلا من خلال استعادة اللغة العربية سيطرتها وسيادتها بوصفها لغة للحضارة والعلوم الحديثة.

جائزة كومار الذهبية

منحت جائزة كومار الذهبية الثقافية التونسية لعام ٢٠٠١م للكاتبين التونسيين عبدالجبار العش عن روايته الصادرة بالعربية «وقائع المدينة الغريبة»، وآمنة بلحاج يحيى عن روايتها «تاشاراج» الصادرة بالفرنسية.

وتبلغ قيمة الجائزة خمسة آلاف دولار لكل من الفائزين. وكانت الجائزة الخاصة للجنة التحكيم من نصيب الكاتبين عبدالواحد براهم، وعزة الفلالي عن روايتيهما «حب الزمن المجنون» و«وديان الضوء». وتبلغ قيمة هذه الجائزة ٢٥٠٠ دولار.

وأحرز الثنائي محمد الجبالي ورفيق الدراجي جائزة العمل الأول وقيمتها ألف دولار عن باكورة عمليهما «مرافئ الجليد» و«صقر إسبانيا».

ونوهت لجنة التحكيم برواية «صانع القمصان» لهيلينا بوراش.

وقد شارك في هذه الدورة، وهي الخامسة، التي تنظمها مؤسسة تأمينات كومار الفرنسية، ٢٩ كاتباً باللغتين العربية والفرنسية، وكان الغرض من هذه الجائزة الإسهام في النهوض بالفن الروائي التونسي باللغتين العربية والفرنسية.

وكانت جائزة العام الماضي قد منحت للروائيين عبدالقادر بلحاج نصر، وعبدالمجيد الحوسي.

غرفة خاصة لموناليزا



الموناليزا

نقلت مؤخراً لوحة «الموناليزا» للرسام الإيطالي ليوناردو دافينشي إلى موقع في متحف اللوفر في باريس لتبقى فيه مؤقتاً إلى حين الانتهاء من مشروع كلفته ٣.٥ ملايين دولار، لتخصيص قاعة مستقلة لها ينتهي العمل فيه بحلول عام ٢٠٠٣م.

وكان اللوفر يعرض لوحة دافينشي الشهيرة في قاعة، وإلى جوارها لوحة «عرس في قانا» للإيطالي باولو فيرونيزي، مما جعل زواره الذين يقدر عددهم بستة ملايين في العام، يتزاحمون لإلقاء نظرة عليها.

وشبه أمين إدارة الرسم في المتحف جان بيير كوزين التزاحم الذي كان يحدث على الموناليزا بذاك الذي تشهده أكثر محطات المترو اكتظاظاً في باريس .

وتعرض اللوحة التي ترجع إلى ٥٠٠ عام، الآن في قاعة تضم لوحات من السنوات الأخيرة لعصر النهضة.

وثائق نابليون

نابليون

أعلنت دار الكتب والوثائق القومية في مصر مؤخراً أنها ستنشر قريباً للمرة الأولى مجموعة من الوثائق الفرنسية المهمة التي تكشف الأسباب الحقيقية للحملة الفرنسية على مصر. وقالت مديرة مشروع نشر الوثائق الفرنسية النادرة عن حملة نابليون بونابرت على مصر في الدار مديحة دوس لوكالة فرانس برس: توجد سبعة مجلدات من الوثائق المخطوطة لعدد من ضباط وجنرالات الحملة الفرنسية على مصر تضمن بعضها دفاعاً عن قرار نابليون احتلال مصر (١٧٩٧م - ١٨٠١م)، بعد إخفاق حملته على إيطاليا، لأسباب اقتصادية والحفاظ على تماسك الجيش والدفع به إلى مناطق جديدة تحقق المكاسب لفرنسا. وأضافت أن الوثائق تعري الادعاءات التنويرية التي استهدفتها الحملة في الأساس على الرغم من أنها كانت لاحقًا سببًا في الاندفاع باتجاه التنوير كردة فعل طبيعية لمواجهة أي حملة جديدة تستهدف مصر. ويعود تاريخ كتابة الوثائق، التي سيرفق بها ملخص لمحتواها باللغة العربية، إلى عامي ١٨١٥م - ١٨١٧م وذلك في سياق الدفاع عن نابليون على أثر هزيمته في معركة واترلو ١٨١٥م. ورجحت مديرة المشروع أن تكون الوثائق الأصلية قد تم شراؤها من فرنسا من خلال المزادات في عهد الملك فؤاد الأول الذي حكم مصر بين عامي ١٩١٧م و ١٩٣٦م. وأضافت أن هذه الوثائق نادرة أصلية لا يوجد نسخة أخرى منها حسب علمنا حتى الآن. وقد تأكدت من عدم وجود مثيل لها في أرشيف تاريخ الجيش الفرنسي الذي أمر الملك فؤاد بنسخ أغلب وثائقه عن الحملة وإضافتها إلى الدار.

ومن الوثائق النادرة أيضًا - ضمن ٥٧ محفظة تحتوي كل منها على ما يقارب ٣٠٠ وثيقة - رسالة من جوزيف سكاكيني المولود في مرسيليا عام ١٩٢٦م يطالب فيها بالحصول على الجنسية الفرنسية استناداً إلى الخدمات التي قدمها والده للجيش الفرنسي ضمن الكتيبة العربية التي عملت مع نابليون.

التايم تسيء وتعتذر

قدمت مجلة التايم الأمريكية اعتذاراً على نشرها كاريكاتيراً يسيء إلى الإسلام في عددها الصادر بتاريخ ١٦ أبريل/نيسان الماضي والذي أدى إلى احتجاجات واسعة النطاق في منطقة كشمير بالهند.

وأعرب أدى إيجناتيوس مسؤول المجلة بمنطقة آسيا عن أسفه لنشر الكاريكاتير ضمن مقالة بعنوان القدس في عهد المسيح مشيراً إلى أنه أمر غير متعمد للإساءة إلى الإسلام.

وكان محتجون قد قاموا بالاشتباك مع رجال الشرطة في كشمير، ورفعوا شعارات معادية للولايات المتحدة، بينما قامت السلطات بحظر بيع عدد المجلة المعني.

وقد طالت الاحتجاجات أيضًا كلاً من باكستان وماليزيا، فقد صدرت الأوامر لمسؤولي الرقابة في كوالالمبور بسحب العدد المعني على أثر ورود شكاوى من مسؤولي الحزب الحاكم هناك بهذا الصدد.

جوائز الإيسيسكو

تعتزم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة منح جوائز للعلماء والتكنولوجيين المسلمين في الدول الأعضاء الذين قدموا إسهامات جليلة في مجالات عملهم الخاصة. وتخصص جوائز الإيسيسكو للعلوم الأساسية «علوم الأحياء والكيمياء والجيولوجيا والرياضيات والإحصاء والمعلوميات والفيزياء» للإسهامات البارزة في ميدان البحث. وجوائز التكنولوجيا لابتكار أو ابتكارات تقنية مهمة. وتبلغ قيمة كل جائزة من جوائز الإيسيسكو خمسة آلاف دولار أمريكي. وستمنح الجائزة مشفوعة بشهادة تتضمن بيانًا بالإسهامات الرئيسة للفائز. وتسلم الجوائز خلال حفل خاص يقام بالمناسبة.

ومن شروط الترشيح لهذه الجائزة: أن يكون المرشح عالمًا أو تقنيًا مسلمًا من إحدى الدول الأعضاء بالإيسيسكو، وأن يكون مشتغلاً ببلده ومقيمًا فيه، ويرفق مع استمارة الترشيح نبذة من سيرته العلمية تتضمن بيانًا بأهم إنجازاته العلمية/التقنية، ونسخ من إصداراته الخمسة الأكثر أهمية، وقائمة كاملة بإصداراته.

وترسل الاستمارات بعد ملئها إلى الإيسيسكو عن طريق نقطة الاتصال بالدول المعنية، وهي اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة، وذلك في موعد أقصاه ٣١ أكتوبر/تشرين الأول عام ٢٠٠١م، على العنوان الآتي:

المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة
مديرية العلوم - حي الرياض
ص.ب ٢٢٧٥ - ١٠١٠٤ - الرباط - المملكة المغربية
الهاتف: ٧٧٢٤٣٣/ ٧١٥٣٠٥ (٣٧ - ٢١٢+)
الناسوخ: ٧٧٧٤٥٩/ ٧٧٢٠٥٨ (٣٧ - ٢١٢+)
البريد الإلكتروني: cid@isesco. org.ma

دورة لصيانة المخطوطات وترميمها

بدأت في جامعة اليرموك الأردنية في ٢٠ أبريل/نيسان الماضي الدورة التدريبية في مجال صيانة المخطوطات والكتب القديمة وترميمها، والتي ينظمها قسم المصادر التراثية بمعهد الآثار والأنثروبولوجيا في الجامعة بالتعاون مع الاتحاد الأوربي، وقد التحق بها كثير من المكتبات والمؤسسات ذات الصلة.

وتضمنت الدورة التي نظمت في إطار مشروع «مانوميد»، وهو أحد مشاريع الشراكة الأوربية المتوسطية، سلسلة من المحاضرات النظرية التي تناولت تركيبة الورق وكيماويته، والعوامل التي تؤدي إلى تلف الكتب والمخطوطات القديمة والأساليب والطرائق المستخدمة في صيانة المخطوطات القديمة، إلى جانب تدريبات عملية.

صور من بيروت القديمة



بيروت قديمًا

افتتح في ٢٣ أبريل/نيسان الماضي معرض للصور القديمة من مجموعة اللبناني فؤاد دباس بعنوان «صور من بيروت» ضمن سلسلة معارض الصور الفوتوغرافية التي تقام دوريًا حول تاريخ المدن العربية في معهد العالم العربي في باريس.

ويأتي هذا المعرض، الذي يستمر حتى العاشر من يونيو/حزيران، بعد أشهر من معرض مماثل حول مدينة دمشق ضم مجموعة صور اللبناني بدر الحاج

الذي يعدّ إلى جانب دباس أحد أكبر جامعي الصور عن لبنان وسورية.

وتعود الصور بالذاكرة إلى بيروت في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وتجسد لحظات تاريخية ومشاهد للمدينة بمرفئها وكنائسها وجوامعها وقلبها وشخصياتها أيضاً.

المؤتمر البريطاني المغاربي الأول

بدعوة من مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، وبالشراكة مع معهد الدراسات العربية والإسلامية، ومركز الدراسات المتوسطية لجامعة اكستر، تم في الفترة ما بين ٢٣ و ٢٦ مارس/آذار الماضي عقد المؤتمر البريطاني المغاربي الأول حول : «بريطانيا والمغرب العربي: حالة الأبحاث والعلاقات الثقافية» الذي شارك فيه أكثر من خمسة وأربعين باحثًا متخصصًا من الجامعات والمراكز البحثية للدول الآتية: إيطاليا وبريطانيا وتونس والجزائر وليبيا وفرنسا وكندا ومالطا والمغرب الأقصى والولايات المتحدة الأمريكية. وقد قدمت خلال الجلسات العلمية الثماني، أربعة وثلاثون بحثًا متخصصاً شملت عدداً وافراً من الملفات الدقيقة، وتناولت وضعية الأبحاث عن المغرب العربي في الجامعات والمراكز البريطانية، كما ألقت الضوء على المصادر والمخطوطات البريطانية الكثيرة عن المغرب العربي التي لم يتم الاهتمام بها بصورة مباشرة من مختلف الباحثين المغاربيين والبريطانيين والمتخصصين في المغرب العربي. وأثير في هذا السياق مدى أهمية المخزون الوثائقي عن المغرب العربي بمالطة. واتضح من خلال المحاضرات، مدى أهمية الوجود البريطاني على صعيد المؤسسات المغاربية، وسعيها لتحديث هياكلها والعمل على انفتاحها الحقيقي والمتوازن على العالم الخارجي خلال العصر الحديث. وهناك عدة محاضرات أخرى تناولت صورة كل من المغرب العربي وبريطانيا في أعين البريطانيين والمغاربيين على حد سواء، ودور عدد من الشخصيات السياسية البريطانية والمغاربية البارزة من سفراء وقناصل في العلاقات البريطانية ـ المغاربية ومحاولتهم فهم الطرف الآخر، ممّا أثر مباشرة في تفعيل التحديث السياسي، والتواصل التجاري والاقتصادي، ومدى تقاطع ذلك مع الأحداث والفترات الحاسمة التي ميزت العلاقات البريطانية ـ المغاربية بصفة عامة، ثم دور الرحالين والمبعدين والسجناء، ومدى تعامل كثير من الزعامات المحلية مع السلطة السياسية البريطانية في المغرب العربي.

واقترح المشاركون العمل على توفير أدوات البحث من خلال نشر المصادر الوثائقية البريطانية الغنية جداً عن المغرب العربي والتي لم تطلها بعد يد الباحثين، وأن سعي الجامعات والمؤسسات البريطانية في هذا المجال سوف يكون - ولا شك - ذا أثر محمود في إنجاز ذلك، وشددوا على أهمية العمل على تكوين حلقات بحث مشتركة ومستديمة بين الباحثين البريطانيين والمغاربيين - لدراسة كثير من الملفات البحثية؛ وذلك بإشراف علمي، وبالتنسيق مع كل من جامعة إكستر ومؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات.

ويعقد المؤتمر الثاني: مبدئياً في ديسمبر/ كانون الأول من العام القادم في جامعة إكستر.

السجين الفائز

منحت منظمة اليونسكو الصحفي يو وين تين (ميانمار) الجائزة العالمية لحرية الصحافة (يونسكو جيرموكانو) للعام الحالي وقيمتها ٢٥ ألف دولار.

ويرقد يو وين حاليًا في مستشفى رانجون عاصمة ميانمار بعد أن ساءت حالته الصحية بسجن ميانجيان الذي يمضي فيه عقوبة السجن بتهمة انتمائه إلى حزب محظور في البلاد، وقد تسلم بريسكوت لاو ممثل الجمعية العالمية للصحف الجائزة نيابة عن يو وين خلال الاحتفال باليوم العالمي لحرية الصحافة الذي أقيم في العاصمة الناميبية ويندهوك في الثالث من مايو/ أيار الحالي واستمر ثلاثة أيام.

وتمنح اليونسكو هذه الجائزة سنويًا بمناسبة يوم حرية الصحافة الذي يوافق الثالث من مايو/أيار من كل عام، وذلك بناء على توصية من هيئة تحكيم دولية مستقلة

تضم ستة عشر صحفيًا وإعلاميًا من دول مختلفة، وممثلين عن مؤسسة (جيرموكانو) التي تحمل اسم الصحفي الكولومبي جيرموكانو الذي اغتيل بسبب نشره معلومات عن أقطاب المخدرات في بلاده. وكانت الصحفية الصينية (جاو يو) هي أول من حصل على هذه الجائزة بعد إنشاء مؤسسة جيرموكانو عام ١٩٩٧م بمبادرة من المجلس التنفيذي لليونسكو لتكريم المدافعين عن حرية الصحافة في بقاع العالم المختلفة.

قرطبة في العصر الأموي

افتتح الملك الإسباني خوان كارلوس الأول، والرئيس السوري بشار الأسد في الثالث من مايو/أيار الحالي معرض «عظمة وبهاء قرطبة في العصر الأموي» في مدينة الزهراء التي تقع غرب مدينة قرطبة في جنوب إسبانيا. والمعروف أن هذه المدينة لم تدم مقراً للخلافة سوى أربعين عاماً، منذ أن نزل فيها الخليفة عبدالرحمن الناصر سنة ٣٢٥هـ، حتى نهاية عهد ولده المستنصر سنة ٣٦٦هـ.

وعلى الرغم من اهتمام المعرض بعرض الآثار الأندلسية في العصر الأموي، إلا أنه شمل كثيراً من القطع الأثرية التي تؤرخ لحقب تاريخية أخرى، كالعصرين العباسي والفاطمي، وقد جمعت هذه القطع من عدد من المتاحف من سورية وإسبانية والمغرب وتونس وإيطاليا وألمانيا وفرنسا والمملكة المتحدة، بالإضافة إلى مجموعات تعود ملكيتها إلى شخصيات تهتم بالفنون والآثار.

وكانت القاعة الثانية هي بهو الخليفة عبدالرحمن الثالث، وقد أقيمت في المكان نفسه الذي كان الخليفة يستقبل فيه كبار رجال الدولة وسفراء الدول الأجنبية، واشتملت هذه القاعة على قطع أثرية نفيسة من الجواهر والسيراميك والعاج والزجاج والخشب والجلود والمسكوكات والبرونز والنحاس وغيرها من المعادن، وقد جمعت هذه المقتنيات من متاحف دمشق وتونس وعمان وباريس والبندقية، بالإضافة إلى المتاحف الإسبانية.

لا للعبرية والتطبيع!!


محمد برادة

تباينت آراء الروائيين المصريين حول اقتراح تقدمت به دار نشر إسرائيلية لترجمة أعمالهم إلى اللغة العبرية عبر أحد المثقفين المغاربة، مع إجماعهم على عدم التعامل مع أي جهة إسرائيلية.

وقد عبر كثيرون منهم عن رفضهم الاقتراح الذي تقدمت به «دار الأندلس» الإسرائيلية التي تملكها ياعيل ليرر الناطقة الرسمية السابقة لعضو الكنيست عزمي بشارة عن طريق الناقد المغربي محمد برادة الذي قام بالاتصال بمجموعة من الروائيين المصريين، من بينهم صنع الله إبراهيم وإبراهيم عبدالمجيد.

وعن سؤال الروائي صنع الله إبراهيم عن حقيقة الموضوع قال: «لقد رفضت العرض على أساس مبدئي أولاً، وثانيًا أن الترجمة للغة العبرية لا تشكل إضافة إليّ، فهي لغة ميتة».

وأضاف: «لقد طرح برادة الموضوع معي على أرضية قناعته بأن الروايات المقترح ترجمتها قد تساهم في تفتيح العقلية الإسرائيلية على حقيقة ما يجري في المنطقة العربية».

وقال الروائي يوسف أبو رية: «هنالك موقف مبدئي يرفض أي تعامل مع العدو بغض النظر عن التلوينات السياسية التي يطرحها بعض الناس، مثل تلوينات ركاح أو حركة السلام الآن وغيرهما، فليس لديهما أي موقف حقيقي كتنويع سياسي سوى استمرارية وجود إسرائيل على الأرض العربية».

وأضاف: «لقد فاجأني أن يكون الوسيط رجلاً بحجم الناقد المغربي محمد برادة ومستواه الذي يعد من أحد الطلائع في زمننا العربي الراهن، وأنا أستهجن طرح الموضوع الآن، خصوصًا أن المطبعين قد توقفوا عن دعواتهم في ظل الانتفاضة الحالية، فكيف نسمح لأنفسنا أن نخوض في هذا المجال الآن؟».

وقال أبو رية: «يجب أن نخرج من إطار القفز في الهواء، فنحن - بوصفنا روائيين - بحاجة أولاً إلى التواصل مع جماهيرنا العربية قبل أن نهرول سعياً وراء الترجمة للغات الأخرى، فما قيمة معرفة الآخر بي وأنا مجهول في وطني».

واستذكر حادثة وقعت له ولنظيره يوسف القعيد عام ١٩٨٣م عندما نشرت صحيفة الاتحاد الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الإسرائيلي لهما قصصًا، وكيف أصدروا بيانًا يستنكر ذلك، ويرفض سطو الصحيفة المذكورة على قصتيهما ضمن رفضهما لسياسة التطبيع، بغض النظر عن التلوينات السياسية.

أما الروائي إبراهيم عبدالمجيد فقد قال: «أرفض من حيث المبدأ التعامل مع الإسرائيليين، ولكن لا مانع لدي من ترجمة أعمالي التي يملك قسم النشر في الجامعة الأمريكية في القاهرة حق ترجمتها».

وكانت دار الأندلس قد قامت بترجمة رواية «الخبز الحافي» للروائي المغربي محمد شكري التي ترجمها نواف عثامنة، وكذلك رواية «باب الشمس» للبناني إلياس خوري وترجمها موشيه حاخام.

وذكرت أسبوعية «أخبار الأدب» المصرية أن هناك مشروعات ترجمة مازالت قيد الإعداد لروايات «عرس الزين» للسوداني الطيب صالح، و«البئر الأولى» للفلسطيني الراحل جبرا إبراهيم جبرا، و«حكاية زهرة» للبنانية حنان الشيخ.

وكانت الروائية هدى بركات قد صرحت للصحيفة نفسها من باريس «بأنها ترفض وإلياس خوري (ضمن المقترحين للترجمة) ترجمة أعمالها إلى العبرية لأن بلادها في حالة حرب مع إسرائيل وأنها حتى لا تستطيع مقاضاة الدار في حالة ترجمتها؛ لأن المقاضاة هنا تحمل اعترافًا».

إعلان مجلس أمناء مكتبة الإسكندرية

أعلنت سوزان مبارك قرينة الرئيس المصري محمد حسني مبارك في مؤتمر صحفي عقدته بمقر مكتبة الإسكندرية في الثالث من مايو/أيار الحالي أسماء



مجسم لمكتبة الإسكندرية

أعضاء مجلس أمناء المكتبة الـ ٢٢، وذلك بوصفها رئيسة المجلس بتكليف من رئيس الجمهورية، والأعضاء هم: الدكتور أحمد كمال أبو المجد (مصر)، والدكتور أحمد زويل (مصر)، والدكتورة أديل سمونز (الولايات المتحدة)، والدكتور إمبرتو إيكو (إيطاليا)، والدكتور جاك آتالي (فرنسا)، والدكتورة حنان عشراوي (فلسطين)، والدكتور جاي جولد (الولايات المتحدة)، وطاهر بن جلون (المغرب)، وعبداللطيف الحمد (الكويت)، والدكتور فاروق الباز (مصر)، وفيجرسي فينو جادتير (إيسلندة)، وكارل ثام (السويد)، وكازو تاكاهاش (اليابان)، ولويس مونريالا (إسبانيا)، والدكتورة ليلى تكلا (مصر)، ومارجريت كاتلي (كندا)، ومريانا فاردينو ياتسي (اليونان)، ومونكو ميوسوا فياثان (الهند)، وهانس بيترجته (ألمانيا)، ووليام وولف (الولايات المتحدة)، وول سونيكا (نيجيريا)، وبولند كاكا بيدزو (الأكوادور).

وقد تم اختيار الدكتور إسماعيل سراج الدين مديراً للمكتبة بصفة مؤقتة حتى اجتماع مجلس الأمناء المقرر عقده في الثامن والعشرين من مايو/أيار الحالي، إذ يتم اختيار المدير الجديد الذي تستمر فترة إدارته خمس سنوات.

ومن المقرر أن يتم افتتاح المكتبة رسميًا في ٢٣ أبريل/نيسان القادم بمشاركة أكثر من ثلاثة آلاف مدعو من مختلف أنحاء العالم.

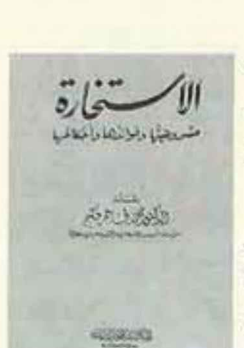



الطويل، أحمد بن أحمد بن محمد عبدالله/ فن الترتيل وعلومه.. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٠هـ، ٢مج ١١٢٧ص.

بسط المؤلف في هذا الكتاب مجموعة من الآداب والأحكام المتعلقة بالقرآن الكريم وتجويده وعلومه وأحكامه، ووثّق معلوماته بتخريج الآيات والأحاديث، والحكم عليها، واختيار أرجح الأقوال في مواطن الخلاف، وأفرد عناوين في آخر كل موضوع: الخلاصة، والتطبيق، والمناقشة، وعرّف بمن يرى الحاجة إلى التعريف بهم من الأعلام.

جاء الكتاب في جزأين، اشتمل الجزء الأول على خمسة أبواب، تناول في الأول «المصحف والأحرف السبعة والقراءات»، وفي الثاني «ضوابط التلاوة وحكم التجويد»، وناقش في الثالث «تعليم القرآن وتعلُّمه وآدابه وتلاوته»، وأفرد الرابع للحديث عن «البسملة والتكبير بين القرّاء والفقهاء»، وجاء في الخامس «أحكام التلاوة الفقهية».

وجاء الجزء الثاني عن (التجويد)، تناول فيه المؤلف أحكام التجويد المحضة، واشتمل على أربعة أبواب، جاء في الأول «مقدمات علم التجويد والاستعاذة والبسملة»، والثاني عن «حق الحرف»، وتناول في الثالث «مستحق الحرف»، وتمحور الأخير حول «معرفة الوقوف».

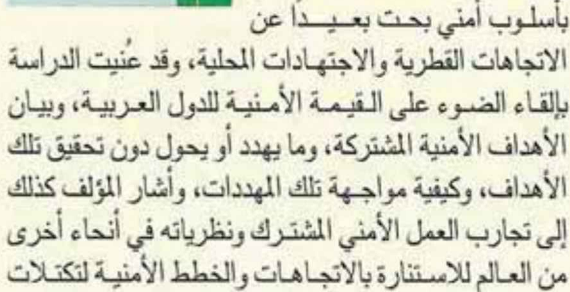


حكيم، محمد طاهر/ الاستخارة: مشروعيتها وفوائدها وأحكامها.. مكة المكرمة: المكتبة الإمدادية، ١٤٢١هـ، ١١٢ص.

الاستخارة مظهر من مظاهر الرجوع إلى الله، وطلب التوفيق منه، والاستعانة به، والاعتماد عليه، والرضا بحكمه وقدره، وهي تعلم المسلم كيف يرتبط بالله تعالى في كل أحواله، ويعيش في دائرة العبودية الجسدية والفكرية والشعورية والوجدانية بتحقيق ما يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من قول اللسان والقلب، وعمل القلب والجوارح.

اعتمد الكاتب في الأساس على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما كتبه السلف في هذا الموضوع، مراعياً الجانب العلمي، فخرّج الأحاديث، وشرح الكلمات الغريبة، ورتّب الموضوعات ليسهل الرجوع إليها.

جاء البحث في مقدمة وخمسة مباحث، تناول في المبحث الأول «تعريف الاستخارة وأهميتها وحكمها»، وفي الثاني «هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الاستخارة والأحاديث الواردة فيها»، وجاء الثالث عن «نماذج من التزام العلماء والصالحين بالاستخارة»، وناقش في الرابع «آداب الاستخارة وحكمها وفوائدها»، وتعرض في الخامس لـ «بعض أحكام الاستخارة».



البشرى، محمد الأمين/ الأمن العربي: المقومات والمعوقات.. الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ٣٦١ص.

الكتاب دراسة حاول فيها المؤلف تناول مسألة الأمن العربي بأسلوب أمني بحت بعيداً عن الاتجاهات القطرية والاجتهادات المحلية، وقد عُنيت الدراسة بإلقاء الضوء على القيمة الأمنية للدول العربية، وبيان الأهداف الأمنية المشتركة، وما يهدد أو يحول دون تحقيق تلك الأهداف، وكيفية مواجهة تلك المهددات، وأشار المؤلف كذلك إلى تجارب العمل الأمني المشترك ونظرياته في أنحاء أخرى من العالم للاستنارة بالاتجاهات والخطط الأمنية لتكتلات إقليمية مماثلة.

جاء الكتاب في ستة فصول: تناول الفصل الأول «مفهوم الأمن العربي وبيان القيمة الأمنية للدول العربية»، وحمل الثاني عنوان «محاولة لبلورة نظرية أمنية عربية من خلال عرض للنظريات الأمنية السائدة في العالم وتطبيقاتها»، بينما حدد في الفصل الثالث «الأهداف الأمنية العربية المشتركة ومهددات تلك الأهداف»، وتناول الفصل الرابع «كيفية تحقيق الأمن العربي وآلياته»، وعرّف في الفصلين الخامس والسادس بالإستراتيجيات والخطط الأمنية العربية والاتفاقيات والقوانين النموذجية العربية التي تعد خطوة جادة على طريق العمل الأمني العربي المشترك.

كوب، كاتي ووايت، هارولد جولد/ إبداعات النار: تاريخ الكيمياء المثير من السيمياء إلى العصر الذري، ترجمة: فتح الله الشيخ.. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠١م، ٤٨٨ص (سلسلة عالم المعرفة؛ ٢٦٦).



يتناول هذا الكتاب تاريخ العالم بثقافاته وحضاراته من منظور سيميائي كيميائي، والسيمياء هي ممارسة الكيمياء القديمة قبل ظهور المنهج العلمي واستقراره، حيث كانت السيمياء جزءاً لا يتجزأ من العلوم القديمة التي مارسها جميع الفلاسفة والأطباء منذ فجر التاريخ، وقد ترك لنا السيميائيون تراثاً من التقنيات مازال قسم منه يطبق حتى اليوم.

كذلك يعرض الكتاب لنشوء كثير من الحضارات والثقافات القديمة في مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين والهند والصين وفارس وروما وازدهارها ثم اضمحلالها، كما يتناول تاريخ حياة العشرات من رجال العلم ونسائه، وينتهي عند منتصف القرن العشرين.

ولمّا كان المدى الذي يتناوله هذا التاريخ كبيراً (نحو ١٠٠ ألف سنة) قسّم المؤلف كتابه ثلاثة أقسام، تمايز بعضها من بعض في الزمن، إذ يتناول القسم الأول (الفصول من ١ إلى ٧) الفترة من مئة ألف عام قبل العصر المكتوب، حتى القرن الثامن عشر، وفيه يتعرض الكاتب لخلفية الثورة الكيماوية، ويعالج القسم الثاني (الفصول من ٨ إلى ١٤) الفترة من أواخر القرن الثامن عشر حتى الحرب العالمية الأولى، ويتعرض للثورة الكيماوية وما تبعها، ويبحث في القسم الثالث (الفصول من ١٥ إلى ٢٠) من فترة الحرب العالمية الأولى حتى عام ١٩٥٠م، ويقدم الثورة الكيماوية وتوابعها، كما يقدم إشارات لثورات قادمة.

الفرفور، ولي الدين محمد صالح/ مدارك الحق: الإجماع ومباحثه.. دمشق: دار الفرفور، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٣٩٢ص.

الإجماع قطب الدين، ومناط الأحكام، ونظام الإسلام، ومعتصم المسلمين في كل زمان ومكان، وهو يأتي في المرتبة الثالثة في مصادر التشريع الإسلامي بعد الكتاب والسنّة.

قد يسأل سائل: كيف يكون الإجماع حجة قاطعة في الشرع، وليس في كتاب الله تعالى نص في إثبات الإجماع غير قابل للتأويل وكذلك الشأن في السنة النبوية. إذاً ما مستند اليقين والقطع بثبوت الإجماع في الشرع، مادام أننا لم نجد له مسلكاً معقولاً، وأصلاً في السمع مقطوعاً به ومنقولاً؟

عالج المؤلف هذا الموضوع من خلال مقدمتين وثمانية فصول، جاءت المقدمة الأولى عن «الحاجة إلى الإجماع»، والثانية عن «نشوء فكرة الإجماع وتطوره»، أما الفصول فهي: «في أصل الإجماع ومستنده»، و«في المجمعين»، و«في محل الإجماع»، و«في أنواع الإجماع»، و«فيما أخرج من الإجماع وهو منه»، و«فيما أدخل في الإجماع وليس منه»، و«في نسخ الإجماع، ومعارضته الأدلة، واستصحاب حكمه»، و«في نقل الإجماع ومراتبه وأحكامه». وختم الكتاب بعدد من الفهارس العامة.

عبيد، أحمد محمد/ العصر الجاهلي وأدبه في مصادر التراث العربي المفقودة والمخطوطة والمطبوعة.. أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ١٣٨ص.

أولى الباحثون اهتماماً كبيراً بالعصر الجاهلي، فحققوا آثاره الأدبية والتاريخية سواء أكانت هذه الآثار خاصة بالعصر الجاهلي وحده أم كان العصر الجاهلي جزءاً منها حتى بلغت هذه المؤلفات رقماً كبيراً.

ولما كثرت هذه المؤلفات حاول بعض الباحثين جمعها في فهرس يستدل به الدارسون على ما كتب حول ذلك العصر، فظهر كثير من المؤلفات منها: «تاريخ التراث العربي» للدكتور فؤاد سزكين، و«مكتبة العصر الجاهلي وأدبه»، و«الأدب الجاهلي في آثار الدارسين» للدكتور عفيف عبدالرحمن، و«تاريخ الأدب العربي» لكارل بروكلمان.

هذا الكتاب استقصاء لكل أثر دلّ على أيّ كتاب التفت إلى العصر الجاهلي، في مختلف المظان والمصادر من كتب الأدب والتراجم وقوائم الكتب والدواوين وغيرها، ولم يلتفت المؤلف فيه إلى كتب الأدب والمعاجم والنوادر والأنواء - مع ورود أشياء من آثار الجاهلية فيها - لأنها كتب لغة بالدرجة الأولى.

أورد الكاتب عناوين المؤلفات مفهرسة على حسب الحروف الهجائية.



الحازمي، حسن حجاب يحيى/ البطل في الرواية السعودية حتى نهاية ١٤١٢هـ: دراسة نقدية.- جازان: نادي جازان الأدبي، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. ٧١٧ص (سلسلة الرسائل الجامعية؛٣).

يعد هذا الكتاب أول دراسة علمية تعنى بشخصية البطل في الرواية السعودية، وقد تناولت شخصية البطل وفق خطة تنظر إليه على أنه جزء أساسي في البناء الروائي يرتبط بجميع عناصره الفنية مؤثراً ومتأثراً، كما أنها لم تغفل علاقته المهمة بالمضمون، إذ إن البطل - وفق هذه الدراسة - هو حامل فكرة العمل الروائي إلى القارئ.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من كونها شملت جميع عناصر البناء الروائي من خلال علاقة البطل بها، وتغلغلت في البنية الروائية للفن الروائي في المملكة العربية السعودية منذ نشأتها حتى نهاية سنة ١٤١٢هـ، متناولة أكثر من مئة عمل روائي، وقدمت تصوراً شاملاً للحركة الروائية في المملكة العربية السعودية، وقد جاء ذلك في سبعة فصول، تناول الأول «صورة البطل في الرواية السعودية في ضوء المذاهب الأدبية الحديثة»، والثاني «علاقة البطل بالشخصيات والأحداث في الرواية السعودية»، وتناول الثالث «علاقة البطل بالبيئة في الرواية السعودية»، وتطرق الرابع إلى «علاقة البطل باللغة في الرواية السعودية،» وتحدث في الخامس عن «أبعاد شخصية البطل في الرواية السعودية»، وفي السادس عن «مشكلات البطل في الرواية السعودية»، وفي السابع والأخير عن «العلاقة بين الكاتب والبطل الروائي في الرواية السعودية».

وختمت الدراسة بعدد من الفهارس الفنية.

مجموعة من الكتاب/ البرج: ساحة الحرية وبوابة المشرق.- بيروت: دار النهار للنشر بالتعاون مع مؤسسة الأمير طلال بن عبدالعزيز آل سعود (منشورات الفاخرية)، ٢٠٠٠م، ٢٣٥ص.

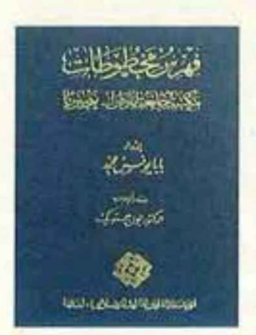
تعد ساحة البرج أحد أبرز المعالم التاريخية في بيروت، حيث شهدت كثيراً من الأحداث الجسام التي غيرت مجرى التاريخ في لبنان، وكان الحدث الأقوى في ذاكرة اللبنانيين عام ١٩٤٣م، يوم تسلقوا سراي البرج ليرفعوا على واجهتها العلم اللبناني الجديد.



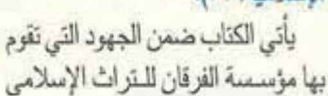
هذا الكتاب ليس موسوعة عن الساحة الموسوعة - كما يقول غسان تويني في المقدمة - بل هو: «محاولة متواضعة إذا ما قيست بحجم البرجين «البرج الكشاف» الذي زالت حجارته بعد أن تأبد ذكراه في حياة الساحة.. ثم «الساحة البرج» التي كانت دائماً مسرح حياة بيروت العاصمة، ومختصر مطامع اللبنانيين وأطماعهم، وباب العالم إلى المشرق عبر المدينة التي غدت إلى حين إحدى عواصم المتوسط، اقتصاداً وثقافة وعمراناً».

شارك في تأليف الكتاب عدد من الشعراء والأدباء منهم: فؤاد سليمان، ورستم حيدر، وجرجي زيدان، وغادة السمان، وخليل حاوي، وأمين نخلة وغيرهم، وبدأ الكتاب بست مقطوعات شعرية صغيرة للشعراء نزار قباني، ومحمود درويش، والجواهري، وخليل حاوي، وبلند الحيدري، وأدونيس.

احتوى الكتاب على عدد كبير من الصور الفوتوغرافية النادرة التي تؤرخ للبرج ولبنان، وجاءت أغلب موضوعاته باللغة العربية والقليل منها باللغة الفرنسية.



محمد، بابا يونس/فهرس مخطوطات مكتبة جامعة إبادان بنيجيريا، تحقيق: جون هنويك.- لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ١٣٧ص (سلسلة فهارس المخطوطات الإسلامية؛ ٣٧).



يأتي الكتاب ضمن الجهود التي تقوم بها مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي من أجل توثيق التراث الإسلامي والمحافظة عليه للأجيال القادمة، ويمثل هذا الكتاب المجموعة الثالثة من سلسلة قوائم المخطوطات الإسلامية في نيجيريا والخاصة بمكتبة جامعة إبادان بعد أن أصدرت المؤسسة الفهرس الأول والثاني لدار الوثائق القومية النيجيرية بكادونا.

وتعد مجموعة مخطوطات مكتبة جامعة إبادان من أقدم مجموعات المخطوطات الإسلامية العربية في نيجيريا حيث يرجع تاريخها إلى عام ١٩٠٠م، ويتكون معظمها من آثار سكوتو الأدبية

«مؤلفات زعماء خلافة سكوتو»، وتليها مؤلفات متنوعة من شمال إفريقية والشرق الأوسط وآسيا، بالإضافة إلى عدد من المخطوطات التي تم جمعها من مالامز القريبة من إبادان ومن منطقة إلورن.

ويضم الفهرس ٤٢٢ مخطوطة من مجموعة يبلغ عددها ما يقرب من ١٥٠٠ مخطوطة. جاء ترتيبها في الفهرس حسب موضوعها «القرآن وعلومه، الحديث وعلومه، أصول الفقه وفروعه، التوحيد والعقائد وعلم الكلام،...»، وشملت الفهرسة عنوان المخطوطة، والاسم الكامل للمؤلف مع تاريخ وفاته بالتقويمين الهجري والميلادي، وتاريخ التأليف واسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه، وأسلوب الخط الذي نسخت به المخطوطة، والموضوع، واللغة. كذلك تم تسجيل التفاصيل المتعلقة بحالة المخطوطة وعدد الملازم التي تتكون منها وعدد السطور المكتوبة ومقاييس الغلاف ومقاييس المساحة المكتوبة، وبعد وصف كل مخطوطة تم تدوين قائمة بالمراجع المتعلقة بها.

قدم للفهرس الشيخ أحمد زكي يماني رئيس مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، وختم بعدد من الكشافات.



ابن الهيثم، الحسن/ الرياضيات التحليلية بين القرن الثالث والقرن الخامس، تحقيق: رشدي راشد.. لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، مج٣ (١٠٤١ص).

هذا الكتاب هو الثالث في هذا الحقل، إذ سبقه الكتاب الأول الذي تناول كيف بدأ البحث بالعربية في هذا الميدان عند الكندي وأعدائه الأداء بني موسى، وكيف تطورت أبحاث أرشميدس التي تُرجم بعضها إلى العربية، وكذلك أبحاث غيره من الرياضيين ومراحل تطورها على أيدي أجيال من الرياضيين أمثال ثابت بن قرة وحفيده إبراهيم بن سنان والخازن والقوهي وابن سهل وغيرهم، وتناول الكتاب الثاني أعمال ابن الهيثم في هذا الميدان تحقيقاً وترجمة وتحليلاً وتاريخاً، وبين كيف زاد ابن الهيثم على ما ورثه إحكاماً ويقيناً، وعموماً فقد بيّن السفران الأولان من هذا الكتاب - كما يقول المؤلف: «أن الهندسة العربية لم تكن كما اعتقد - ويعتقد - البعض استمراراً باهتاً للهندسة اليونانية، ولكنها كانت امتداداً لها في بعض الميادين، وتجديداً لها في ميادين أخر، وإبداعاً لم يُسبق إليه في ميادين أخر مثل الهندسة الجبرية وبداية الهندسة الإسقاطية، وهندسة التحويلات الأفينية...إلخ».

حصر المحقق بحثه في هذا الكتاب على أعمال ابن الهيثم «القطوع المخروطية - الأعمال الهندسية - الهندسة العملية»، وحتى توضع هذه الأعمال في وضعها التاريخي والعلمي الصحيح، كان لابد من أمرين: وضع بحوث ابن الهيثم في التقليد العلمي الذي أراد البلوغ به إلى نهايته، والثاني: وضع «الرياضيات التحليلية» نفسها بين أعمال ابن الهيثم الهندسية. الأمر الأول جاء في السفر الأول من هذا الكتاب، أما الأمر الثاني فألزم تحرير السفر الثالث كما سيلزم تحرير ما سيليه من أسفار، لذا احتفظ المحقق بعنوان الكتاب (الرياضيات التحليلية) في كل الأسفار حتى وإن كانت تعالج فصولاً هندسية أخرى.

جاء الكتاب باللغتين العربية والفرنسية.



أبو النصر، ممدوح الصدفي محمد (وآخرون) الدور التربوي والاجتماعي للمسجد.. الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م،٤٦ص.

أجمل ابن تيمية وظائف المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «وكانت مواضع الأئمة ومجامع الملة هي المساجد، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أسس مسجده المبارك على التقوى، ففيه الصلاة، والقراءة والذكر والتعليم، والخطب، وفيه عقد الألوية وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم».

وترمي هذه الدراسة الموثقة، التي قام بإعدادها مجموعة من الأساتذة من جامعة الأزهر، إلى توفير معلومات عن دور المسجد عبر التاريخ، وتوثيق الصلة بين المسجد ومحيطه، من خلال إحياء دوره في حل مشكلات المجتمع، وإعادة الاهتمام بالأدوار المختلفة التي كان يقوم بها، وقد تناول ذلك تحت خمسة عناوين هي: المسجد ومكانته، والأسس التربوية لأساليب الدعوة الإسلامية في المسجد، والأدوار التربوية والاجتماعية للمسجد وأثرها في تنمية المجتمع الحديث، ونماذج لمساجد أثرت المجال التربوي مثال المسجد النبوي في المدينة المنورة، والجامع الأموي في دمشق، ومسجد البصرة، ومسجد الكوفة، وجامع المنصور في بغداد، وجامع قرطبة في الأندلس، وجامع القرويين في فاس بالمغرب، وجامع عمرو بن العاص في الفسطاط (القاهرة)، والجامع الأزهر في (القاهرة)، وأخيراً سبل الإفادة من المسجد في وقتنا الحاضر لتنمية المجتمع.



الدرعية (س٣، ع١١، ١٢، رجب ١٤٢١هـ/أكتوبر ٢٠٠٠م، شوال ١٤٢١هـ/يناير ٢٠٠١م).

مجلة فصلية محكّمة تعنى بتاريخ المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية وتراث العرب.

جاء هذا العدد من الدورية مزدوجًا يحمل العددين الحادي عشر والثاني عشر، وقد بدأ بافتتاحية كتبها عبداللطيف الأرناؤوط، ثم كتب الشيخ حمد الجاسر عن «الإمام محمد بن علي الشوكاني وموقفه من الدعوة السلفية الإصلاحية»، والشيخ سعد بن عبد الله الجنيدل عن «معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم»، وتناول د.محمد بن سليمان السديس «الإشراف في منازل الأشراف وتحقيقاته الأربعة»، ود. سعد بن ناصر الشثري «العلماء الذين لهم إسهام في علم الأصول»، وناقش د. سهيل صابان «علاقات شمر الجزيرة الفراتية بالدولة العثمانية من خلال الأرشيف العثماني»، وتناول فائز بن موسى البدراني الحربي «أخبار القبائل في نجد (١٢٠٠هـ - ١٣٠٠هـ)»، و د. أحمد عبدالحميد إسماعيل «الزمن في شعر المتنبي»، وناقش الشيخ محمد بن ناصر العبودي «الكناية والمجاز في لغتنا الدارجة»، ووثق د.إسماعيل بن محمد البشري لـ «إمارة أبو عريش (١٢٣٥ - ١٢٥٩هـ/ ١٨٢٠ - ١٨٤٣م) دراسة وثائقية»، وكتب د. محمد بن عبدالرحمن الثنيان عن «نقش تجديدي مؤرخ لبئر محطة السعدية»، وتناول د. محمد خير البقاعي «مخطوطة ترجمة العلامة السيوطي لأبي عبدالله شمس الدين محمد الداودي»، والأستاذ عبدالله بن حمد العسكر «رحلة مع وثيقة عمرها ٢٥٨ عامًا». وختم د.عبدالله بن محمد المطوع بعرض لكتاب: «عرب الصحراء».

العنوان: ص.ب (١٥١٨٥٨) الرياض: (١١٧٧٥)
هاتف: (٤٢٦٤٦٩٢) ناسوخ: (٤٢٦٤٦٩٢)
المملكة العربية السعودية.



الثقافة العالمية (ع ١٠٥، مارس ٢٠٠١م)

حفل هذا العدد من الدورية بعدد كبير من البحوث المترجمة تناولت مختلف ضروب الثقافة العالمية، فجاء أول البحوث بعنوان «الدبلوماسية الأمريكية وحل الواحد في المئة» بقلم ريتشارد ن. جاردنر، ترجمة: محمد علي ثابت، وكتب إليخاندرو بورتيز بترجمة ماجدة أباظة عن «العولمة التحتية»، وتناول إيان روكسبورو «استمرار الحرب قضية اجتماعية»، وقد ترجم الموضوع محمد يونس، وناقش إدوارد. أ. تيرياكيان بترجمة د. عاطف أحمد «الجانب المستتر للحداثة»، وغير ذلك من الموضوعات المختلفة.

وجاء ملف هذا العدد بعنوان «التاريخ الطبيعي للذكريات: أين؟ متى؟ كيف؟» بقلم ليزا غارنييه، ترجمة: محمد ياسر منصور، ومراجعة: د. فائز قنطار، و«عندما يقوي الانفعال الذاكرة» بقلم إليزابيث فيلبس، و«الذاكرة والمخدرات» بقلم ميريل فينو هرملان، وغير ذلك من الموضوعات.

العنوان: ص.ب: ٢٣٩٩٦ - الصفاة - الرمز البريدي ١٣١٠٠، دولة الكويت.



الإداري (س٢٣، ع ٨٤، ذو الحجة ١٤٢١هـ/مارس/آذار ٢٠٠١م)

مجلة دورية محكمة متخصصة تصدر عن معهد الإدارة العامة في مسقط.

انطلاقًا من اهتمام «الإداري»، بوصفها دورية متخصصة في مجال العلوم الإدارية، فقد أفردت الدورية هذا العدد لنشر مجموعة من البحوث تدور في فلك الإدارة المالية، بدأت بموضوع «حجم المنظمة وأثره في تصميم الهيكل التنظيمي لمنظمات البنوك التجارية الأهلية في الأردن» للدكتور حسين حريم، وكتب د. مؤيد محمد الفضل عن «العلاقة بين الإفصاح المحاسبي، وكل من حجم الشركة وأسعار أسهمها في السوق المالية ونوع نشاطها: دراسة ميدانية في العراق»، وتناول د. مجيد جاسم الشرع «الدور الإعلامي للمحاسبة في ظل معطيات السوق المحلية»، وختم البحوث د. علي محمد شاهين بـ «مناقشة للتطبيقات التنظيمية الحديثة لإدارة العمليات في نظام الإنتاج المتدفق».

وضم العدد مجموعة من الأبواب الثابتة: قراءات، ووثائق وتقارير، والقسم الإنجليزي الذي جاء فيه بحث بعنوان

Innovation In Management and Organization: Reexamination and Future Implication.
By: Abdulrahman AL- Ateeq.

العنوان: ص.ب ١٩٩٤، الرمز البريدي: ١١٢،
ناسوخ: ٦٠٢٠٦٦
مسقط - سلطنة عمان.

التاريخ العربي (ع١٧، شتاء ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)

مجلة علمية محكَمة تعنى بالتاريخ العربي والفكر الإسلامي تصدر عن جمعية المؤرخين المغاربة.

جاءت الدورية حافلة بعدد كبير من البحوث والدراسات التي تتعلق بالتاريخ العربي والفكر الإسلامي بدأها د. أحمد محمود صابون بموضوع عنوانه «القدس أسماؤها بين الحقائق التاريخية وتحديد الهوية العربية»، وتناول د. محمد الأوراغي «فصوص العربية وقوالب نحوها»، وأرّخ د. خالد إسماعيل نايف الحمداني لـ «البحرية الإسلامية في الخليج العربي والمحيط الهندي خلال العصور الإسلامية»، وتناول الأستاذ عبدالعزيز بنعبدالله «حضارة الرباط والتطور الحضاري في مصب أبي رقراق»، وغير ذلك من الموضوعات.

وخصص «ديوان المجلة»، عن انتفاضة الأقصى، وتضمن قصيدة الشاعر محمد الحلوي «الله معك»، وقصيدة للشاعر عبدالواحد أخريف بعنوان «على أبواب النصر».

العنوان: جمعية المؤرخين المغاربة: قصبة الأوداية - الرباط - المملكة المغربية.
هاتف: ٥٤ - ٢٩ - ٧٣ ٧٠ - ٣٥ - ٧٢
ناسوخ: ٣٠ - ٧٥ - ٢٠

الإسلام اليوم (ع١٦و ١٧، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)



مجلة دورية تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - باللغات الثلاث: العربية والإنجليزية والفرنسية.

هذا عدد مزدوج يحمل بين دفتيه العددين ١٦ و ١٧، وقد جاء عامراً بكثير من الموضوعات التي تهم المسلمين باللغات الثلاث (العربية والإنجليزية والفرنسية)، بدأ العدد بالافتتاحية التي جاءت عن «العولمة في المستقبل»، ثم عنون الرئيس علي عزت بيجوفيتش مقالته بـ «رؤية حضارية إلى الغرب»، وناقش د. أحمد بن عثمان التويجري موضوع «الدين والعولمة»، وقدّم محمد صلاح الدين المستاوي مقترحات «من أجل اندماج حقيقي للإسلام في فرنسا»، وناقشت د. سعاد إبراهيم صالح «احترام حياة الجنين في الشريعة الإسلامية»، وبيّن علي محمد شمّو «دور الاتصاليين في التنمية الثقافية»، وناقش د. جمال نصار حسين «الظاهرة الإنسانية في ضوء الإعجاز المعرفي للقرآن العظيم».

وفي باب التعريف بالبلدان الإسلامية جاءت معلومات مفصلة عن «دولة قطر»، وختمت المجلة بكشاف مجلة الإسلام اليوم (من العدد ١ إلى العددين ١٦ و ١٧).

العنوان: ص.ب: ٢٢٧٥ الرمز البريدي: ١٠١٠٤ حي الرياض، الرباط، المملكة المغربية.
هاتف: ٧١٥٢٩٤/ ٧١٥٣٠٥/ ٧١٥٢٨٥
ناسوخ: ٧٧٢٠٥٨/ ٧٧٧٤٥٩ (٧-٢١٢)

الإحياء (السلسلة الجديدة رقم ٢٩، ع١٧، ذو القعدة ١٤٢١هـ - فبراير/شباط ٢٠٠١م)

مجلة إسلامية نصف سنوية جامعة تعنى بالأبحاث والدراسات الإسلامية تصدرها رابطة علماء المغرب.

جاء هذا العدد من الدورية زاخراً بالبحوث والدراسات التي تناقش كثيراً من القضايا الإسلامية، بدأه د. عبدالرزاق بن إسماعيل هرماس بموضوع عنوانه «الأخذ بالظاهر من القرآن بين ابن حزم والجمهور»، ثم د. يوسف الكتاني «المستشرقون والسنة»، وتناول د. إبراهيم الوافي «كتاب تفسير سور المفصل للشيخ عبدالله كنون»، وناقش د. مزيان حدو بناصر «جريمة الزنا وحكمة تحريمها»، وسلطت د. وداد العيدوني الضوء على «كتاب تقريب المسالك لموطأ الإمام مالك للفقيه المحدّث أحمد بن الحاج المكي السدراتي (ت ١٢٥٣هـ)»، وعبدالرحيم العلمي «نحو تأسيس منهج شمولي في دراسة الحديث - بغية الرائد للقاضي عياض نموذجاً -»، وتناول الهبطي المواهبي «الضوء الأحمر بين المسلمين والكفار»، وشرح د. محمد يعقوبي خبيزة «دور البصيرة في المعرفة عند الإمام الغزالي»، وتتبع أحمد العلوي اليوسفي «القضاء وحقوق الإنسان في الإسلام»، وبيّن د. التهامي محمد الوكيلي «البدعة: بدايتها وأسباب ظهورها»، وشرح د. عبدالخالق أحمدون «أصول الطريقة الزروقية الشاذلية من خلال كتاب «الدرة الثمينة» لأبي عبدالله محمد الخروبي (ت ٩٦٣هـ)»، وغير ذلك من البحوث والدراسات الإسلامية.

العنوان: إقامة الموحدين - العمارة ١٠٧، الشقة ٧ - الطابق الرابع - شارع الأمير فال ولد عمير
حي أكدال - الرباط
هاتف ٣٧٦٧٠٣٥١

الجراد: أخطاره وغزواته

إبراهيم محمد الزيد
جدة - السعودية

الجـراد أمـة من الأمم التـي خلقـهـا اللـه، ومن أنواعـه: الإيطالي، والمراكشي، والتركماني، والصحراوي. والجراد ضار بالمحاصيل الحقلية، والغابات، والحنطة، والشعير، والفواكه، والتمور. ويظهر بأعداد هائلة في بعض السنين، ويغزو المناطق الزراعية، ويسبب خسائر اقتصادية جسيمة إذا لم تتخذ إجراءات فعالة لمكافحته(١).

والجرادة الكاملة ذات لون أسمر غامق مشوب بصفرة مع وجود بقع سمراء اللون على الجناحين الأماميين، ويبلغ طول الجرادة ٣٠مم (٢). ويعنينا هنا الجراد الصحراوي الذي اعتاد أن يمر ببلادنا، ويغزو الحقول والمزارع، وهو يوجد في القارتين الآسيوية والإفريقية(٣). ويؤدي غزو الجراد إلى نقص حاد في المواد الغذائية، وظهور شبح المجاعة في بعض المناطق.

ويتكاثر الجـراد الصـحـراوي في السـودان، وإريتـريا، والحبشة، واليمن، والمملكة العربية السعودية. وأهم صفات السرب الزاحف هو شكله المثلث فتكون قاعدته في المقدمة ورأسه في المؤخرة، وقد يصل عرض مقدمة سرب الجراد إلى أكثر من ٣٠كم(٤).

ويتغذى الجراد بالنباتات التي تنمو خلال فصل الأمطار، ثم يطير إلى سواحل البحر الأحمر بأعداد كبيرة إلى اتجاهات مختلفة نحو الموطن الأصلي (شرق السودان، وإريتريا، والحبشة)، وبعضه يتجه شمالاً لغزو فلسطين، وسورية، والأردن، والعراق، ومصر(٥)، ويتم تكاثر الجراد بواسطة تلقيح الذكر للأنثى عدة مرات، ثم تقوم الأنثى بوضع البيض في حفرة في التراب تحفرها بواسطة آلة في مؤخرة بطنها(٦). ويبقى البيض في التربة في حالة سبات حتى يبدأ في الفقس(٧). وبعد خروج الحوريات الصغيرة من حفر البيض تعرض أجسامها لأشعة الشمس خلال ساعات الصبح والمساء، وتتسلق الصخور، وفي الظهيرة تلجأ للاختباء تحت النباتات لحماية نفسها من الحرارة، وتعود للزحف ثانية عند شروق الشمس(٨).

موجات الجراد

سجل المؤرخون موجات ظهور الجراد والدَّبى والخَيْفان التي غزت مناطق المملكة العربية السعودية وشبه الجزيرة العربية منذ القرن الحادي عشر فقالوا:

- في سنة ١٠١٩هـ كثر الجراد(٩).
- وفي سنة ١٠٦٥هـ كثر الجراد في شدة عظيمة وسمي جرادات(١٠).



- وفي سنة ١٠٧٠هـ ظهر الجراد كثيراً في الحجاز واليمن وأعقبه دبى(١١) أكل جميع الأشجار والزراعات وطبق بعض الأدباء تاريخاً على قوله: غلاء وبلاء(١٢).
- في سنة ١٠٨٧هـ كثر الجراد، ومات الناس من أكله(١٣). وزاد ابن بشر: وموت الناس من شدة الوقت والغلاء والجوع(١٤).
- في سنة ١٠٩٧هـ ورد الخبر من قرى الطائف بأنه قد طاف عليها «الدَّبى» طائف بتهافت على الأشجار والزروع، وعلا تلك الساحات والربوع، يأكل كل ما دب عليه ودرج، ويُقرئ الناس كتاب الشدة والفرج، وأناف على القمل والضفادع، وبذل نفسه لهم في المأكل والمشرب والمضاجع، وترك الأشجار عارية كأنها محروقة، والأرض من تلك البقول والقطاني مجردة مطروقة(١٥).
- وفي سنة ١٠٩٩ كثر الجراد(١٦).
- وفي سنة ١١٢٢هـ أكل الدَّبى الزروع، وهي سنة الدَّبى الثانية(١٧). قال الفاخري: «في سنة ١١٢٢هـ جاء دبى (وخيفان)(١٨) أكل غالب الزروع وثمر النخل»(١٩).
- في سنة ١١٢٣هـ أذهب الخيفان الثمار(٢٠).
- في سنة ١١٣٧هـ أكل الجراد ثمار جميع البلدان إلا ما (كُمَّ)(٢١) في النخيل(٢٢).
- في سنة ١١٤٨هـ أجل الدَّبى والخيفان(٢٣). قال ابن عيسى: «في هذا العام جاء جراد كثير وأعقبه دبى أكل الثمار والأشجار.
- في سنة ١٢٢٢هـ كثر الجراد وأعقبه دبى أكل الزروع والأشجار(٢٤).

- في سنة ١٢٢٩هـ كثر الجراد وأكل الدّبى با بعض الزروع واستأصل بعضها في بلدان القصب والوشم والمحمل(٢٥).
- في سنة ١٢٣٤ كثر الجراد جداً ثم كثر الدّبى وأكل الزروع خصوصاً بلدان سدير(٢٦).
- في سنة ١٢٢٥هـ كثر الدّبى في البلدان وأكل الزروع(٢٧).
- في سنة ١٢٦١هـ كثر الجراد، وأكل غالب الزروع في غالب البلدان، فتحركت الأسعار بعد ذلك(٢٨).
- في سنة ١٢٧٩هـ ظهر الجراد، وكان قد انقطع عن أهل نجد سبعة عشر عاماً لم يروه فيها (٢٩).
- في سنة ١٢٩٤هـ كثر الجراد في نجد، وأعقبه دبى أكل كثيراً من الزرع والثمار، وأكل الأشجار(٣٠).

مكافحة الجراد

وإذا كان الإنسان في هذه الجزيرة العربية قد وقف فيما سلف من السنين حائراً لا يدري ماذا يصنع لحماية ثماره ومزروعاته - فإن الإنسان السعودي بعد قيام المملكة العربية السعودية أكثر حظاً، فقد وفرت الدولة ممثلة في وزارة الزراعة والمياه العناصر البشرية المؤهلة علمياً، والآليات الحديثة والطائرات، ووفرت فرقاً تجوب مناطق المملكة للمسح والمكافحة حتى قلّ وجود الجراد في السنوات الأخيرة. وقد انضمت المملكة إلى جهود دولية لمقاومة أسراب الجراد، ومن الهيئات التي تشترك فيها المملكة هيئة مكافحة الجراد الصحراوي بالقاهرة، وتضم في عضويتها ثلاث عشرة دولة،، وقد تم إنشاء برنامج طوارئ يعتمد على الإنذار المبكر، وشبكة لتداول المعلومات عن طريق البريد الإلكتروني، ومساهمة المملكة تتمثل في توفير الإمكانات لمكافحة الجراد ضمن حدودها الإقليمية لوقف هجرة الجراد إلى جنوب شرق آسيا ودول شرق الجزيرة العربية وشمالها، ولصد الهجرة المعاكسة لدول شرق إفريقية، وإبلاغ إدارة معلومات الجراد الصحراوي في روما بما يجب(٣١).

وأخيراً فقد وجد في العرب قديماً من يدافع عن الجراد، ويمنع الناس من صيده، مثل أبي حنبل - مدلج بن سويد الطائي الذي كان يعد في الأوفياء، ويضرب به المثل «أحمى من مجير الجراد» قال ابن الأعرابي، عن ابن الكلبي قال: «دخل أبو حنبل يوماً في خيمته فإذا هو بقوم معهم أوعيتهم فقال: ما خطبكم؟ قالوا: جراد نزل بفنائك، فجئنا لنأخذه فركب فرسه، وأخذ رمحه فقال: والله يعرض له أحد منكم إلا قتلته، إنكم رأيتموه في جواري، فلم يزل يحرسه حتى حميت الشمس فطار، وتحول عن جواده وقال: شأنكم به». يقول فيه الشاعر:

ومنا ابن مُرّ أبو حنبل
أجار من الناس رجل الجراد(٣٢).

ومن أحسن ما قرأت:

مرّ الجراد على زرعي فقلت له
الزم طريقك لا تولع بإفساد
فقام منهم خطيب فوق سنبلة
إنا على سفر لابد من زاد!

المراجع والهوامش

١. ٨ - حشرات المحاصيل الزراعية، الدكتور علي عبد رب الحسين، كلية الزراعة، البصرة، ١٤٠٥هـ، الصفحات: ١٢، ١٣، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٦، ١٥، ١٦.
٩. تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور، تحقيق: الدكتور عبدالله الخويطر، مطابع مؤسسة الجزيرة، ١٣٩٠هـ، ص٦٤.
١٠. تاريخ ابن عباد، محمد بن أحمد بن عباد، تحقيق: الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل، الناشر العربي، الرياض ١٤١٩هـ، ص٦٢.
١١. هو أولاد الجراد.
١٢. سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، عبدالملك حسين العصامي، المطبعة السلفية، القاهرة، الصفحتان ٤، ٤٧٠، و«الأخبار النجدية»، ص٧٢، و«عنوان المجد»، ص٢٠٩.
١٣. الأخبار النجدية، محمد بن عمر الفاخري، تحقيق: الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص٧٧، و«تاريخ ابن ربيعة»، ص٦٩.
١٤. عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، وزارة المعارف، ١٣٩٤هـ، ص٢١٣.
١٥. سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، الصفحتان ٥، ٥٦٧.
١٦. الأخبار النجدية، ص٧٢.
١٧. تاريخ ابن عباد، الصفحتان ٧٥، ٨٤.
١٨. الخيفان: نسل الجراد بعد أن يطير.
١٩. الأخبار النجدية، ص٩٤.
٢٠. تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور، ص٨٢.
٢١. كمُ عذوق النخيل أن يغلف بخيش أو قماش مع شيء من الطين حتى لا ينفذ الجراد إلى الثمر.
٢٢. تاريخ ابن عباد، ص٧٩.
٢٣. تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، إبراهيم بن عيسى، تحقيق: الشيخ حمد الجاسر، منشورات اليمامة، ص١٠٤.
٢٤. المصدر السابق، ص٨٩.
٢٥ - ٢٦. الأخبار النجدية، ص١٤٤، ١٥٤.
٢٧. عنوان المجد في تاريخ نجد، ص٢٩٩.
٢٨. الأخبار النجدية، ص١٧٨.
٢٩. تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص١٧٥.
٣٠. عقد الدرر في ما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ذيل به كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد، ص٩١.
٣١. تحد وإنجاز عبر مئة عام للزراعة والمياه في المملكة العربية السعودية، ص٥٠٨ - ٥١٠.
٣٢. المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب، تحقيق: الدكتور إبراهيم محمد الزيد، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص٢٤٧.